سلسلة التاريخ: الجانب الآخر: إعادة قراءة للتاريخ المصري | 2

د. لطيفة محمد سالم

فاروق الأول وعرش مصر

بزوغ واعد.. وأفول حزين
١٩٢٠-١٩٦٥



فاروق الأول وعرش مصر

بزوغ واعد.. وأفول حزين

الطبعة الأولى
١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٥م

القاهرة: ٨ شارع سيبويه المصرى
رابعة العدوية ـ مدينة نصر ـ
تليفون: ٤٠٢٣٣٩٩ ـ فاكس: ٤٠٣٧٥٦٧ (٢٠٢)
البريد الإلكترونى: email: dar@shorouk.com

د. لطيفة محمد سالم

فاروق الأول وعرش مصر

بزوغ واعد.. وأفول حزين

دار الشروق

تقـديم

دون وجل من سوء حكم، يمكن القـول إن فـاروقـا، ملك مصـر بين عـامى ١٩٣٧ و١٩٥٢، كـان الحـاكم الأسوأ حظا من أبناء أسرة محـمد على، من حيث الصـورة التى استقرت له فى الوجدان الوطنى العام.

ولأول وهلة يبدو أن سبب ذلك ما آل إليه عهد هذا الرجل من خلع عن العرش، ولكنه لم يكن الوحيد من أبناء الأسرة العلوية الذى انتزع عنوة من على كرسى الحكم، فقد سبقه إلى ذلك اثنان من هؤلاء، جده الخديو إسماعيل (١٨٧٩) وابن عمه الخديو عباس حلمى الثانى (١٩١٤)، غير أن الأمر مختلف، فقد تم خلع الحاكم الأول بعد مؤامرة اشتركت فيها حكومتا باريس ولندن، وانتهت بأن أصدر السلطان العثمانى فرمان الخلع، مما كان محل سخط المصريين، ثم إنه قد خلفه ابنه الخديو توفيق، الذى لم يكن حريصا على الإساءة لسمعة أبيه. وكان الخلع أكثر درامية مع عباس حلمى الثانى الذى استبعد عن العرش بأمر من وزارة الخارجية البريطانية، الأمر الذى جعل المصريين لا يقرون مثل هذا الخلع، ولا يعترفون بشرعيته، وهفا فريق كبير منهم إلى عودة عباس على أسنة الرماح التركية والألمانية، حتى إنه انتشرت بينهم خلال الحرب العظمى (١٩١٤ - ١٩١٨) الأهزوجة التى ظلوا يرددونها «الله حى عباس حى»!

ونرى أن تلك الظروف قد أبقت لكل من الخديويين المخلوعين، إسماعيل وحفيده، مكانة خاصة فى الوجدان الوطنى المصرى، والذى ظل يحنو عليهما.

اختلف الأمر مع فاروق الذى تم خلعه من جانب المصريين، وبانتهاء عهده انتهى عصر الأسرة العلوية برمته، ولم يكن هناك على سدة الحكم من يدافع عنه بحسبان أنه فى الوقت نفسه حفظ لمكانة الأسرة كما حدث فى المرتين السابقتين، بل تحول الأمر إلى وصم الرجل وعهده بكل نقيصة.

وبدا ذلك من أكثر من حقيقة :

١ ـ إدانة عهد الرجل بكل الأدوات التى كان النظام الجديد يملكها، من صحف وإذاعة وما إلى ذلك من وسائل الإعلام، حتى شاع توصيف عصره «بالعهد البائد»!

٢ ـ إن ما توصلت إليه الدراسة التى بين أيدينا من وصم الملك المخلوع «بانفصام الشخصية» كان صحيحا، لأنه الأمر الذى شهد عليه كثيرون من أكثر المقربين للملك المخلوع، وهى الشهادة التى أدلى بها المرحوم حسن باشا يوسف وكيل الديوان الملكى خلال الفترة بين عامى ١٩٤٢ و١٩٥٢ لكاتب هذه السطور شخصيا. ومن سوء حظ الملك المخلوع أن شخصيته السيكوباتية قد غلبت عليه خلال النصف الثانى من عهده، مما تشكلت معه اللقطة الأخيرة من صورته، وكانت سلبية بكل المقاييس.

٣ ـ فضلا عن كل ذلك، فإن الظروف التى عانت منها مصر فى أعقاب الحرب العالمية الثانية (١٩٤٥ ـ ١٩٥٢) والتى كابدت منها بلدان كثيرة فى العالم كانت فى حاجة إلى قيادة واعية تنتشلها منها، وهو ما لم يكن فاروق مؤهلا له!

وعندما تساءلنا فى هيئة تحرير هذا الكتاب عن صحة هذه الصورة كان الإجماع أنها تقدم جانبا من الحقيقة، وأن رسالتنا ألا ننساق مع ما هو شائع، وإلا تصبح هذه السلسلة أقرب إلى رجع الصدى، وإنما تتركز المهمة فى تحرى جوانب هذه الحقيقة كافة.

كان من الطبيعى أن نسند عملية التحرى تلك للأستاذة الدكتورة لطيفة محمد سالم أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر، ومن أكثر المؤرخين إلماما بحياة الملك المخلوع بحكم ما لها من أعمال موسوعية تخص عصره.

وبعد عنت فى الدراسة، ومكابدة نعلم حجمها، خرجت الأستاذة المؤلفة بنتيجة مفادها أنه كان هناك فاروقان وليس فاروقا واحدا. . . الأول حكم مصر خلال الفترة بين عامى ١٩٣٧ و١٩٤٤، وكان واعدا بكل المقاييس، وربما كان من أكثر حكام أسرة محمد على قبولا بل وشعبية عند المصريين.

غير أن انقلابا قد حدث فى شخصية الرجل بعد إقالة الوفد فى أكتوبر عام ١٩٤٤،

وبينما كانت الحرب العالمية الثانية تلفظ أنفاسها الأخيرة، وأصبح لدينا فاروق آخر، وقد نجحت المؤلفة، ليس فحسب فى تقديم صورة هذا الآخر، وإنما قبل ذلك فى أن تقدم الأسباب المقنعة التى أدت إلى هذا التحول، الأمر الذى نأمل أن يشاركنا فيه القراء.

وعلى الله قصد السبيل،،

مدينة نصر فى ٢٠ نوفمبر ٢٠٠٤

دكتور يونان لبيب رزق

رئيس تحرير الكتاب

مقـــدمـة

ورث الملك فاروق الأول العرش عن أبيه، واحتل الرقم الثانى فى القائمة الملكية التى لم تضم معه سوى الملك الأب أحمد فؤاد، والملك الابن أحمد فؤاد الثانى، حيث أسس الأول الملكية فى مصر، تلك التى سقطت رسميا De Jure فى عهد الوصاية على الملك الأخير، ولكنها فى الواقع De Facto كانت قد انهارت بنهاية حكم فاروق.

واتسمت فترة عهد فاروق بسمات خاصة تفرَّدت بها، فالبداية مع عام ١٩٣٦ عندما وُقِّعَت المعاهدة بين مصر وبريطانيا في ٢٦ أغسطس، عقب ثلاثة أشهر وعشرين يوما من جلوس الملك على العرش، وذلك بعد طريق شاق وطويل من المفاوضات. والنهاية مع عام ١٩٥٢، حينما قامت ثورة ٢٣ يولية لتكون حدثًا كبيرًا ليس فى مصر فقط، وإنما أيضًا خارجها.

وتُعد تلك الفترة من أهم فترات التاريخ المصرى المعاصر، إذ ماجت بالأحداث، وارتبطت بعوامل، كان منها المتآلف، ومنها كذلك المتنافر. فهناك الملك الحاكم، والذى أضفى عليه الدستور السلطات التى مكنته من الإمساك بزمام الأمور. وهناك القوى السياسية المختلفة، وتربَّع على قمتها الوفد حزب الأغلبية، والذى دخل فى صراع مع سلطة الملك الأوتقراطية، تلك التى ساندها معارضو الحزب السياسيون. وهناك بريطانيا التى حكمتها ظروف أقلقتها وأرَّقتها، وبخاصة الخارجية، فوضعت نصب عينيها الإطاحة بما يتعارض مع مصالحها، وأن تبقى هيمنتها على مصر مستمرة. والجميع دار فى فلك منظومة اعتراها الكثير من فقدان التناغم.

* * *

والدراسة التى نُقدِّمها عبر هذه الصفحات تركز على فاروق، ذلك الملك الذى جاء بزوغه واعداً، واستمر متألقًا، مما انعكس على المصريين بتدفق مشاعرهم نحوه إلى أن أفل نجمه ـ عندما تغيرت أحواله ـ على أيدى نفر من هؤلاء المصريين أنفسهم، والذين اصطحبوا معهم نهاية حزينة لهذا الملك الذى كان واعداً.

وقد ثار الجدل حول شخصية فاروق، ومن ثم غدت شخصية خلافية، حيث كثرت الكتابات عن سلبياتها، واستُخدمت المعاول فى هدمها، ووضحت تماما بعد ثورة ٢٣ يولية. ثم صدرت كتابات أخرى فى فترة لاحقة، رصدت بين سطورها إيجابيات، ولكنها معظمها جاءت من منظور التعاطف. وفى الحالتين، فإن المنهج العلمى فى البحث التاريخى مُغَيَّب، وبالتالى أصبح لزاما على المشتغلين بالكتابة التاريخية إعادة الدراسة لتقييم تلك الشخصية، فى إطار الظروف التى عاشت فيها وأحاطت بها، وذلك بالاعتماد على الحياد والموضوعية واستخدام المصادر الأصلية التى غالبا ما تعطى الصورة دون إضافات سواء للتجميل أو التشويه.

* * *

وعلى طول طريق هذه الدراسة، هناك المحطات التى مرت بها. والبداية مع ظروف مولد فاروق، الذى استقبلته الدنيا فى ١١ فبراير ١٩٢٠، ورافقته الدراسة فى أثناء فترة طفولته وصباه وحتى توليه سلطاته الدستورية فى ٢٩ يولية ١٩٣٧، وهى ما أطلق عليها فترة التكوين، التى تمثل الكيان الذى تتشكل وتتبلور فيه الشخصية، ويدخل تحتها النشأة والتربية والإعداد والتعليم والثقافة.

وتشاء الأقدار، أن يموت الملك فؤاد، دون أن يكتمل البرنامج المعد لفاروق، ويعود من بعثته التعليمية ليتولى سلطاته الدستورية، ويبدأ فى ممارسة حكمه. وتُمثِّل تلك المرحلة أهمية كبيرة، فهى محطة جديدة فى حياة الملك الشاب، لازمه فيها التوهج، الذى شارك فيه عاملان: الأول، الصفات المحببة للمصريين التى وجدوها فى مليكهم الجديد فاروق، بعد صورة أبيه البغيضة لهم. والثانى، إتقان صناعته، ومهارة القائمين عليها. والنتيجة، تلك الشعبية الفيَّاضة التى تمتع بها، واعتمد عليها فى مسيرة الحكم،

ومكَّنته من الدخول فى صراع مع أعدائه، سواء الوفد أم الإنجليز، وما صاحب ذلك من أحداث فُرضت عليه.

* * *

ومع الإقالة الملكية للوزارة الوفدية فى ٨ أكتوبر ١٩٤٤، ينتقل فاروق إلى محطة أخرى، لا تقل أهمية عن سابقتها، ولكنها على النقيض إذ تحول فيها الملك إلى آخر، وبالطبع وُجدت الأسباب التى أدت إلى هذا التغيير، فهناك ما اكتسبه من صفات سلبية، وهناك المحيطون به من الحاشية الفاسدة، الذين مهدوا له السبل ليزداد سوءا، مما أسفر فى النهاية عن قيام ثورة ٢٣ يولية ١٩٥٢.

ويرحل فاروق بعد تنازله عن العرش ومرور أربعة أيام من قيام الثورة إلى المحطة الأخيرة، وهو على شكله الآخر، ليقضى فترة النفى التى واصل فيها حياته المعتادة، عاقداً الأمل على إمكانية العودة إلى مصر، واسترجاع العرش مرة أخرى. وبالفعل فقد عاد فى ٢٧ مارس ١٩٦٥، ولكن ليدفن فى ترابها، وكانت وفاته مثاراً للقيل والقال، والتى لم يتم التوصل بعد إلى الحقيقة حولها.

وهكذا عاشت الدراسة مع فاروق خمسة وأربعين عاما وستة أسابيع، منذ مولده وحتى وفاته ثم وصول جثمانه ودفنه بالقاهرة، وحاولت أن تدلى بدلوها فى القضية الخلافية حول هذه الشخصية، وتبرز من خلال تحوّلها الإيجابيات والسلبيات.

* * *

واعتمدت الدراسة فى مقامها الأول على الوثائق البريطانية غير المنشورة ـ تضم وثائق وزارة الخارجية بأنواعها، ووثائق مجلس الوزراء، ووثائق رئيس الوزراء ـ حيث كانت لندن هى مطبخ المعلومات، تلك التى كانت تأتى لها من سفرائها ومسئوليها بالخارج، من مصر موضع الاهتمام الأكبر، ومن العواصم الخارجية وبخاصة واشنطن، وتتعلق بأحداث مصر، بالإضافة إلى أنها ـ أى لندن ـ كانت صانعة القرار، ولم تغب عنها صغيرة ولا كبيرة، وبالتالى مثَّل أرشيفها معينًا لا ينضب.

واستقت الدراسة من الدوريات باتجاهاتها المتعددة، وقد دخل تحتها أكثر من

مصدر : الذكريات التى سجلها ذوو الشأن فيها ، والشهادات التى أدلى بها أصحابها - من العهد البائد - أمام المحاكم الجديدة للثورة ، وأخيراً ما نقلته عن الصحافة الأجنبية ، كما استعانت الدراسة ببعض المراجع .

وبناء على تلك المعلومات الوفيرة ، وبعد إخضاعها للقواعد المنهجية ، خرجت الدراسة على هذه الصورة .

والله ولى التوفيق،،

الإسكندرية فى ٢٧ أكتوبر ٢٠٠٤

د. لطيفة محمد سالم

التمهيد

تمكن محمد على باشا مؤسس مصر الحديثة (١٨٠٥ -١٨٤٨) من أن يضمن لأسرته حكم مصر، وقد خضع نظام تولية العرش لقواعد أسهمت فيها الدول الكبرى، واستطاع الخديو إسماعيل أن يُغيِّر من المسار بحيث حصر أصحاب الولاية على العرش في صُلبه. واستمر الأمر كذلك حتى قامت الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ -١٩١٨)، وأعلنت بريطانيا حمايتها على مصر، وعزلت الخديو عباس حلمى الثانى، ومضت تبحث عن بديل له فى دائرة الأسرة العلوية. وأخيرا استقرت لندن على اختيار الأمير حسين كامل بن إسماعيل، فاعتلى العرش ولُقِّب بالسلطان. وعندما سيطر عليه المرض، ولم يكن ابنه الأمير كمال الدين راغبًا فى أن يتبوأ مكان أبيه، وجد المسئولون فى الأمير أحمد فؤاد الأخ الأصغر للسلطان حسين البديل، وعقب وفاة الأخير اعتلى السلطان فؤاد العرش فى ٩ أكتوبر ١٩١٧.

* * *

كان السلطان الجديد فى سن الخمسين، شغوفا بالسلطة، ساعيا للحصول عليها سواء حينما تاق لحكم طرابلس عام ١٩١١ أم عرش ألبانيا بعد ذلك بعامين، وعليه فقد غمرته النشوة بجلوسه على عرش أبيه. وبطبيعة الحال دفعته قوى نفسه إلى أن يتوارث نسله هذا العرش. وبحكم نشأته وتكوينه وحنكته فى الحياة، وحتى يحقق غرضه المنشود، رأى أنه من الضرورى أن يخلق نوعا من الملاءمة لسياسته بين اتجاهين، تمثل الأول فى الإنجليز، وبالطبع أعطاهم الأهمية البالغة لأنهم أصحاب فضل عليه، ومصر تحت حمايتهم، وظروف الحرب تجعله يُسلِّم لهم كلية من ناحية، كما أن مستقبل ملكه أصبح بين أيديهم، إذ لم تعد هناك فرمانات عثمانية تضمن له ذلك من ناحية أخرى.

أما الثانى، فقد وضح مع نهاية الحرب، وطوَّعه ليخدم به هدفه، وانحصر فى استغلال المشاعر الوطنية التى كانت على أهبة التحرك ليستخدمها بوصفها ورقة رابحة فى تحديد

علاقته بالإنجليز، فأعلن لهم رغبته فى ٣ نوفمبر ١٩١٨ والتى تختص بجعل مصر ملكية دستورية. وسرعان ما تطورت الأحداث وقامت ثورة ١٩١٩، وخشى من أن تمسه بسوء، فولى وجهه شطر الاتجاه الأول وبذلك تحددت سياسة السلطان فؤاد.

* * *

وتحتم الأمر وجود آلية للتنفيذ، تضمن لفؤاد استمرار الحكم فى صلبه، بمعنى أن يكون له ولى عهد، وكان قد سبق أن ولد له طفل من الأميرة شويكار - قبل أن يُطلّقها - ولم يكتب له من العمر سوى شهور، وتوفى عام ١٨٩٧، ومن ثم كان لابد له من أن يتزوج ليحقق ما يصبو إليه، وليدعّم وضعه الاجتماعى كحاكم. ووقعت عيناه على نازلى، الفتاة الجميلة، صغيرة السن، وابنة عبد الرحيم صبرى باشا وزير الزراعة آنذاك وصديق سعد زغلول، وبالتالى صاحب الهوية الوفدية، وجدها الأكبر هو محمد شريف باشا الذى تزوج من ابنة سليمان باشا الفرنساوى. وكانت نازلى مرتبطة بعلاقة عاطفية مع قريب لها، فاستنجدت به ليخلصها من هذا المأزق، ولكنه وجد أنه لا مفر من الاستسلام. وعليه سيقت نازلى إلى مصيرها الذى قرره لها السلطان، إذ تم الزفاف فى ٢٤ مايو ١٩١٩، واستطاع فؤاد بأسلوبه الأوتقراطى أن يظفر بعروسه فى وقت اشتعلت فيه المشاعر الوطنية.

وفى أعقاب ذلك، علم فؤاد أن نازلى تحمل فى أحشائها طفلا، وبالطبع لم يكن يدرى نوعه، أذكر هو أم أنثى، وراح يعد الاستعدادات، وفى داخله أمل كبير بأن الطفل المنتظر ولد. ومثلما هو مألوف أن أول شيء يفكر فيه الأب والأم هو الاسم، فقد أعدت للسلطان قوائم بالأسماء التى تبدأ بحرف الفاء لتكون سلسلته السمة التى تميز أسماء خلفاء فؤاد، فبالإضافة إلى بداية اسمه به، فإن أمه فريال تحمله. وكثرت الأسماء بين يديه، وبالذات التى تحمل العراقة العربية، لأن سمة الأسماء التركية اختصت بالإناث أكثر من الذكور. وبما أنه لم يعرف العربية، فقد قام من عرّفه بمعانى الأسماء.

واختلى بنفسه كثيرا ليصدر قراره، وانتهى الأمر إلى تفضيله اسم فاروق، وكان فريدا، وارتبط بالفاروق عمر بن الخطاب من حيث شخصيته من ناحية، وأنه من أشهر الخلفاء الراشدين، ذلك المركز الذى هفا إليه قلبه من ناحية أخرى.

* * *

ومع شروق يوم ١١ فبراير ١٩٢٠ ، تحققت الأمنية الغالية لفؤاد بمولد ولى العهد ، ومن المعروف ما تردد فى تلك الفترة من أقوال ترجمت غضب المصريين إزاء تصرفات السلطان الشخصية ، وانتشرت مسألة اقتناصه للعروس ، وطرقه التى سلكها بما يصم أخلاقه ، مما زاد من النقمة عليه ، وظهرت أزجال بيرم التونسى التى رددها ، وانطلقت من الإسكندرية إلى أنحاء مصر ، لتكون مفهومة المقاصد ، سريعة فى تلميحاتها ، ذكية فى إشاراتها ، وخاصة فيما يتعلق بأن وريث العرش ولد قبل مضى تسعة أشهر على إعلان الزواج ، مما ألجأ فؤادا إلى نفى الزجال خارج مصر .

وكاد فؤاد أن يطير فرحًا يوم ميلاد فاروق ، إذ وجد أن الحلم الذى لم يفارقه قد تحقق ، وأصدر أمره إلى رئيس الوزراء يوسف وهبة بإعلان ميلاد ولى العهد ، وزُفَّ الخبر إلى جميع أنحاء مصر ، وأبلغت السفارات الأجنبية . وبرغم ما هو متداول عن أن السلطان من الصعب عليه جزل العطاء ، فإنه كسر هذه القاعدة وبسط يده ، وبالتالى امتدت البشارة إلى أوجه الخير ، وعفا عن المحكوم عليهم بعقوبات من المحاكم الأهلية والذين استوفوا ثلاثة أرباع المدة ، وازيَّنت القاهرة وعواصم المديريات ، وعُدَّ يوم الميلاد عطلة رسمية .

* * *

وأراد السلطان أن يدشن هذا الميلاد بموافقة دار الحماية البريطانية على حق المولود فى ولاية العهد ، وبعد اثنين وستين يوما ، جاءت الموافقة البريطانية ، وفقا لنظام حددته ، تمثل فى الاعتراف بالأمير فاروق ونسله من الذكور على قاعدة الأكبر من الأولاد فالأكبر من أولاده وهكذا . ونشرت الصحافة تهنئة المندوب السامى البريطانى أللنبى Allenby والتى قرنها بالمصالح البريطانية المصرية وارتباطها بالعرش .

وكان ما حدث تكليلا لما ذهب وسعى إليه فؤاد ، وما لبث أن انشغل بالأحداث السياسية المتلاحقة التى انتهت بصدور تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ ، لتبدأ مرحلة جديدة ، إذ شكَّل عبد الخالق ثروت وزارته الأولى فى أول مارس ، وأصبح فؤاد ملكا على مصر عقب أسبوعين ، وبعد أقل من شهر ، وفى ١٣ إبريل أصدر أمرًا بوضع نظام وراثة العرش للمملكة ، وفقًا لما خطط له ، ووافقت عليه لندن ، وفى الوقت ذاته وضعت الأسس المتعلقة بمجلس الوصاية ، وتثبتت أيضا قواعد الملكية فى مصر والتى استندت إلى دستور ١٩٢٣ الذى أغدق الكثير عليها . ومضى فؤاد فى إعداد ولى العهد ليكون ملك مصر القادم .

١ ـ التكـــوين

أولاً ـ العـــزلة

ثانيًا ـ الانطلاق

ثالثًا ـ العـــودة

رابعًا ـ الانفتاح

ذهب علماء النفس إلى أن فترة التكوين للشخص والتى تمتد إلى نهاية مرحلة الصبا وبداية مرحلة الشباب تعد من أهم فترات الحياة، حيث تتشكَّل فيها الشخصية التى تعتمد على المكوِّنات الوراثية والمكتبسة، والأخيرة تتدخل فيها البيئة المحيطة بكل محتوياتها لتدمغها بخاتمها، تلك الدمغة التى تلازمها على طول طريقها وحتى لحظات النهاية، وعليه فإن هذه الفترة هى الأساس الذى تقام عليه القواعد التى تحمل خصائص الشخصية. وإذا طبقنا هذا المفهوم على فاروق، نجد أن فترة تكوينه كان لها المردود القوى على شخصيته، مما أثر فى أحداث مصر فى عهده.

* * *

ومع مولد فاروق، كان فؤاد قد دخل العقد السادس من عمره، وبمقاييس ذلك العصر، فإنه بلغ من الكبر مرحلة لا تنبئ بسنوات كثيرة متبقية تضمن له الإعداد الجيد لولى العهد، وأراد منذ الحظة الأولى أن يترجم ما استقر عليه للتعامل مع هذا البرعم، وكانت هناك عوامل متعددة ومتشابكة قد مثلت أمامه، فهناك شخصيته المستبدة والمتسلطة والتى لازمت الأسرة العلوية، وغدت النموذج الذى تأصل فى حكام مصر. أيضًا هناك الإحساس بالنقص فى بعض الجوانب، مما جعله يريد تعويض هذا النقص فى ابنه، وكان يفتقد معرفة اللغة العربية وضعيفا فى اللغة الإنجليزية، وبالتالى لم يغب ذلك عن ذهنه. كذلك هناك وجود بريطانى آثر مع النظام الجديد أن يغير لون الحياة فى القصر، وينأى به عن المؤثرات الإيطالية بأنواعها التى احتضنها فؤاد من ناحية، ويجعل الصبغة التركية باهتة الملامح من ناحية أخرى، وذلك حتى يصبح الطابع إنجليزيا، مما يحقق لبريطانيا مصالحها فى مصر. وأخيرًا هناك الصورة الوردية التى تخيَّلها ورغب فيها فؤاد لابنه، وبالطبع هى كاملة الأوصاف، وبالتالى كان عليه أن يضع ذلك جميعه فى حسبانه.

أولا ـ العـــزلة

دارت المراسلات بين دار المندوب السامى البريطانى فى القاهرة ولندن عن كيفية تمكُّن

النفوذ البريطانى بشأن تربية الوليد، وتمخضت أولى الخطوات عن أن عهد فؤاد بابنه إلى مربيتين أيرلندية وإنجليزية، وأبعد نازلى عنه، حيث لم تكن تراه وتهدهده إلا فى أوقات محدودة للغاية. واستطاعت المربية الإنجليزية مسز تايلور Tailler صاحبة الشخصية القوية والمتسلطة أن تمسك بزمام تربية الطفل وراحت تمارس قسوتها فى معاملته، فهى تطبق عليه أقسى العقوبة على أصغر الأشياء التى يرتكبها وتكون مخالفة لأوامرها التى حاصرته من كل جانب، وفوق ذلك لابد له من أن يعتذر لها.

وبينما كانت الأم تضج من هذا الأسلوب، ولم يكن لها أن توقفه لأن كلمتها غير مسموعة على الإطلاق، مضى الأب يشجعه، ويطلب المزيد من التشدد، وكثيراً ما كافأ هذه المربية، وفى الوقت نفسه يؤكد عليها ويحذرها من تدليل فاروق، كما نهى عن مخاطبته بلقب الإمارة، والاكتفاء بمناداة اسمه مجردا من اللقب. وبناء على تلك المعاملة، وكرد فعل طبيعى، راح الطفل يتلصص، ونفذ إلى باب خدم القصر، واندمج معهم، ووجد ما حرِّم عليه لديهم، مما كانت له الآثار العميقة التى ترسبت فى نفسيته، وانعكس على سلوكياته فى المستقبل.

* * *

وغدت العلامة الواضحة فى سياسة تربيته هى العزلة، إذ عاش كما لو كان أسيراً، فلم تصرح مسز تايلور له إطلاقًا بمخالطة ومصادقة من هم فى مثل سنِّه، واللعب معهم، سواء من أولاد الأمراء أم الباشوات، وإنما المسموح به فى هذا الصدد أن يقتصر الأمر على أخواته فقط، وبالتالى فقد عنصراً أساسيًا فى تكوين شخصيته، إذ وجد نفسه وحيدا، فليس هناك من يشاركه فى الهواية أو الرأى والتبادل الثقافى والمعرفى. ومن هنا افتقد التعامل من منطلق الند للند، بالإضافة إلى أن هذا الأمر جعله فى المستقبل يكره أن يكون بمفرده، وإنما لابد له من الصحبة. والواقع أن ما طبقته تلك المربية على فاروق لم يكن الأسلوب الإنجليزى الذى يختلف عما اتبعته، ولكن طبيعتها الحازمة، وانصياعها لرغبات فؤاد، دفعاها إلى ذلك السلوك الذى كان ينتقده المندوب السامى البريطانى.

* * *

وبدأت مرحلة تعليمه، وكان فؤاد حريصًا على أن يتلقى ابنه الدروس فى اللغات، وبخاصة العربية والإنجليزية والفرنسية، وتعلّم العربية، لكنه لم يكن يجيدها تماما من

حيث القراءة والكتابة، واستخدم اللهجة المصرية فى حديثه مع أمه وأخواته ومن يخدمونه، وألم بالألفاظ المتداولة، لدرجة أنه استوعبها، ودخل مباريات فيها، وأطلق النكات والقفشات، وهذا أيضا مما جعله مرحا ومحبوبا. وبالنسبة للإنجليزية، فقد أتقنها بحكم هوية من تربى على يديها. أما عن الفرنسية فإنه عرفها جيداً، ولكن ليس بقدر تمكُّنه من الإنجليزية. كذلك تلقى الدروس فى التخصصات المختلفة، واحتلت دراسة القرآن الكريم وعلوم الدين المكانةفى البرنامج المعد، وجُهِّزت له مكتبة زُوِّدت بما يفيده من ثقافة، وتم اختيار من يقوم بالتدريس له وفقًا لمعايير معينة.

وعلى جانب آخر، وُضع لفاروق برنامج اتصل بالرياضة البدنية، وبخاصة أنه بدا عليه الاستعداد للسمنة منذ طفولته. ومما يذكر أن مسز تايلور قد أخضعته لنظام غذائى صارم، خوفا من تعرضه لهذا الداء، فما كان منه إلا أن يغافلها ويمد يده ليأخذ الطعام دون أن تدرى مما أصل فيه شهوة الأكل، ودفعه ليتلذذ من الاستحواذ على ما هو ممنوع منه. وشمل البرنامج الرياضى ألعابًا مختلفة منها الشيش والبولو والسباحة والفروسية والرماية، ومما لا شك فيه أن الرياضة الأخيرة علَّمته كيف يقبض على الزمام ويقتنص الفريسة.

* * *

وعاش ولى العهد فى هذا المناخ اثنتى عشرة سنة منغلقًا على نفسه داخل القصور التى كان ينتقل إليها وفقا للمناسبات مع أخواته فوزية وفايزة وفايقة وفتحية والمربيات. وقد ظهر لأول مرة على الملأ عندما اصطحبه فؤاد في ٧ إبريل ١٩٣٢ لحضور الحفل الرسمى الخاص بالمرشدات الذى أقيم فى النادي الأهلى، وفى ٢٦ إبريل من العام التالى احتُفل بتنصيبه كشافًا أعظم، كما لقب بأمير الصعيد فى ١٢ ديسمبر من العام نفسه، ولأول مرة يستخدم هذا اللقب، إذ أراد الملك أن يتبع التقاليد العريقة السائدة فى البيوت الملكية الأوربية.

* * *

وعندما بدأ المرض يتسلل إلى فؤاد، وللمرة الأولى أناب عنه ولى العهد فى الحفل الرسمى لسلاح الطيران البريطانى بمصر الجديدة فى ٢٣ فبراير ١٩٣٤، كذلك افتتح مؤتمر البريد الدولى فى العام نفسه. وحينما وجد فؤاد أن فاروقًا لم يتعرَّف بعد على الحضارة المصرية القديمة، وبخاصة إبَّان البحث عن إمكانية سفره للخارج، قرر أن يقوم ابنه بجولة

يزور فيها آثار القاهرة، مما جعله شغوفا بحب الآثار. وقد كانت تلك التحركات لقطات سريعة، تقدم خدماتها لولى العهد وقت أن يعتلى العرش. ومن اللافت للنظر أن ذلك انعكس بصورة حسنة على الناس الذين رأوا فى ابن الرابعة عشرة البزوغ الواعد الذى ينتظرونه.

وأصبح من الواضح أن الدور البريطانى فى تنشئة ولى العهد لم يكن مكتملا، إذ فرضت تحكمات فؤاد نفسها فى أثناء تلك الفترة، وباءت المحاولات التى قام بها المندوب السامى البريطانى لويد Lloyd بالفشل بشأن ضرورة إلحاق فاروق بمدرسة إنجليزية عامة، حيث تلقى الرفض من الملك الذى تعلّل بصغر سن ابنه، ثم عاد المندوب السامى البريطانى لورين Loraine ليطرق الموضوع ذاته، مؤكداً على ما تفرضه الصلة الوثيقة التى ترتبط بريطانيا بمصر، وما يتطلبه ذلك من استفادة، ولكن الملك لم يستجب، مصرحًا بأن الوقت لم يحن بعد.

* * *

والواقع أن الأمور تعقدت أمام فؤاد بعد ازدياد مرضه، ومن أجل ذلك خشى من سفر ابنه فى مثل تلك الظروف، بالإضافة إلى حرص الملكة الشديد على عدم مفارقة ابنها الوحيد، وبالذات مع الصعوبات التى اكتنفت حياتها مع زوجها، فتمسكت كلية ببقاء فاروق فى مصر. وبرغم أن فؤادا لم يعر رغباتها أى اهتمام فيما سبق، فإنه هذه المرة وافقها لما يتفق ذلك مع رغبته. فضلا عن أن سوء الأوضاع السياسية جعله يرجئ التفكير فى مسألة سفر ولى العهد.

ولم تكن بريطانيا لتقبل تأجيل هذا الأمر، وصممت على حتمية تنفيذ تخطيطها، فالتقى المندوب السامى البريطاني لامبسون Lampson مع رئيس الوزراء عبد الفتاح يحيى فى ١٩ فبراير ١٩٣٤، وأبلغه أن ملك بريطانيا يبدى رغبته فى سفر الأمير فاروق ليستكمل تعليمه. ولما كان رئيس الوزراء على يقين من استمرارية المعارضة الملكية، ساق الحجج تجاه ذلك لينهى الموضوع، مصرحًا بأن السن المناسبة هى الستة عشر عاما.

وواصل المندوب السامى البريطانى سعيه، وعرض على الملك أن يلتحق فاروق بأكاديمية وولوتش Woolwich الحربية، وبيّن له كيف أنها ذات مستوى راق، إذ تضم الأمراء وأبناء الأسر الأرستقراطية، وأن الاستفادة منها، ستعطى أكلها المثمرة. ولما كان

سن الالتحاق بتلك الأكاديمية ثمانية عشر عاما، رأى لامبسون ضرورة سفر فاروق إلى بريطانيا ليتعايش داخل المجتمع الإنجليزى، ويتجاوب مع عاداته وتقاليده، وذلك حتى يبلغ السن المطلوبة، وأنه فى خلال هذه السنوات سوف يخرج إلى الدنيا، ويكتسب الخبرة، ويتحرر من العزلة التى أحاطته، لما لها من تأثيرات ضارة على تكوين شخصيته.

* * *

وضح تماما الإصرار البريطانى على سفر فاروق، والتوجيه الكامل ليس فقط بشأن تعليمه، ولكن أيضا لصناعته وصبغه بالثقافة الإنجليزية، وإعداده ليكون الملك المصرى اسما، والإنجليزى فعلا. وبناء على ضغط لندن المتزايد، لم يملك فؤاد إلا الموافقة، فأبدت ارتياحها، وأيقنت أن خطتها فى الطريق إلى النجاح.

ومضى التجهيز لسفر ولى العهد، وكانت أولى الخطوات تحديد المرافقين، ومنذ اللحظة الأولى، وقعت عين المندوب السامى البريطانى على أحد المقربين له وهو أحمد حسنين، وله تاريخه مع الإنجليز، فقد تخرج من جامعة أكسفورد، وشغل منصب سكرتير خاص للقائد البريطانى العام فى أثناء الحرب العالمية الأولى، ثم عُيِّن فى وزارة الداخلية التى سيطر عليها النفوذ البريطانى، وتردد على لندن، وأخيراً أصبح أمينا لفؤاد. ووافق الأخير على اختياره، ليكون رائداً لفاروق ومعنياً بشئونه ورئيساً لبعثة تعليمه، وفى البداية تمنَّع أحمد حسنين واعتذر لما عليه من التزامات مالية، ولكن سوِّيت ديونه فى الحال.

* * *

ولما كان الملك حريصاً على استمرار أسلوب التشدد فى تربية ولى عهده، اختار عزيز المصرى ليكون نائبًا للرائد ومرشداً عسكريا وكبيرا للمعلمين الذين سيتولون التدريس لفاروق، ولم تكن دار المندوب السامى البريطانى ترتاح له نظرا لمواقفه المضادة لها، ولكنها لم تعترض. وتم اختيار البكباشى (المقدم) عمر فتحى الحارس الأمين، وعباس الكفراوى الطبيب الخاص، وصالح هاشم مدرس اللغة العربية والدين، وموظف من الإدارة الإفرنجية بالديوان ليعمل سكرتيراً خاصا. وفى الوقت ذاته كان حافظ عفيفى وزير مصر المفوض فى لندن يبحث عن القصر المناسب لنزول ولى العهد ومرافقيه، وجاء قصر كنرى هاوس فى ضاحية كنجستون على أطراف لندن بكل أبهته وجماله ليكون المقر الجديد لملك الغد وحاشيته.

وكان اتخاذ قرار سفر فاروق صعبا وقاسيا على الملك فى ظل ظروفه الصحية السيئة، وذلك بأن يترك ابنه الوحيد الذى لم يفارقه طوال خمسة عشر عاما، وخاصة بعد أن استُبعد نهائيا إمكانية أن يصبح أبًا لابن آخر بعد أن أنجب أربع بنات. كذلك كان حال الملكة التى انتُزعت موافقتها على سفر ابنها، ولذا كان لتوديع الأمير الصغير المشهد التراجيدى الذى ترك الأثر فى نفسية فاروق، لأنه كان آخر لقاء له مع أبيه.

ثانيا - الانطلاق

انتقل فاروق إلى مرحلة أخرى فى حياته، استطاعت أن تتغلل داخله بعمق، وبدأت أولى خطواتها مع رحلته الخارجية، حيث استقل الباخرة الإنجليزية «سترا شهيرد» فى ٦ أكتوبر ١٩٣٥، ووصل لندن بعد اثنى عشر يوما، واستقبل استقبالا رسميّا، ثم انتقل إلى مقر إقامته.

وأعد لولى العهد البرنامج الذى اشتمل على السماح له بالتردد على الأكاديمية، ليس بصفته طالبا منتظما، ولكن كزائر، له أن يستفيد منها حتى يبلغ السن المقررة للالتحاق بها. ووافق وزير الحربية البريطانى - استثناء - على السماح لبعض أساتذتها بإعطاء دروس خصوصية له فى الرياضيات والكيمياء والطبيعة. وحضر أستاذان من جامعة لندن، ليدرسا له اللغة الإنجليزية والتاريخ، وتولى أستاذ فرنسى تعليمه اللغة الفرنسية وآدابها، ودرّبه رئيس مدربى الرياضة البدنية بالأكاديمية.

وعلى صعيد آخر، كان هناك برنامج اختص بإطلاعه على الثقافة العامة، ودراسة المجتمع وأوضاعه وعاداته وتقاليده، بالإضافة إلى جدول للرحلات التى خصصت لأوربا، وذلك فى أثناء الإجازات. وتحدد هذا البرنامج العام بفترة الانتقال التى سوف تستغرق حوالى ثلاث سنوات حتى ينتظم فى الدراسة بالأكاديمية.

* * *

وشغلت مسألة ارتباط ولى العهد بالعرش البريطانى المكانة فى الخطة المرسومة، فبعد أيام معدودة من وصوله لندن، تلقى دعوة ملكية لحضور مأدبة خاصة بالقصر، كما ناب عن والده فى تشييع جنازة الملك چورج الخامس فى ٢٨ يناير ١٩٣٦، وهى المناسبة

الرسمية الوحيدة التى حضرها. وكثرت لقاءاته مع أمير ويلز الذى رحب به وأبدى كل الود نحوه. وبذلك انجلى الهدف الذى سعت السياسة البريطانية إلى تحقيقه باحتضانها لولى العهد، ومن ثم اطمأنت للبداية.

والسؤال الذى يطرح نفسه: ما المدى الذى وصلت إليه خطوات التنفيذ للبرنامج المعد لفاروق؟ الواقع أن هناك عاملين أدَّيا الدور فى ذلك. الأول اختص بحياة الأمير على الأرض الإنجليزية، والآخر ما طرأ على مصر واستلزم قطع الرحلة العلمية والعودة إليها بعد شهور معدودة.

* * *

وتمثل العامل الأول فى أن الدنيا الجديدة التى التقاها فاروق فى بريطانيا، اختلفت كل الاختلاف عن دنيا العزلة التى عاشها داخل مصر، ومن هنا كانت النقلة كبيرة بما يفوق طاقة الأمير بكثير، فالأمير انفكت قيوده، وأطلقت له حريته. عندئذ خالجته المشاعر، منها ما ترسب فى أعماقه، ومنها ما وجده واختص بالتشجيع من خارجه. أما عن المشاعر، فإنه قرر توديع حياته السابقة ـ بكل ما احتوته من أساليب ـ كلية بلا رجعة، وعدَّ ما قضاه من عمره قد سقط وأصبح فى طى النسيان، وعليه أن يُعوِّضه فى ظل مجتمع حضارى جديد انبهر به من جميع النواحى.

وغمرته أحاسيس العظمة، واشرأبت عنقه للمجد، وساعدته على ذلك مسألة الوراثة، من ناحية الأب: محمد على وإبراهيم وإسماعيل، ومن جهة الأم: سليمان باشا الفرنساوى وشريف باشا اللذان لهما الدور المشرف فى التاريخ المصرى. وبطبيعة الحال، فإن ارتباط الملكية الحديثة بمصر الفرعونية صاحبة الانتصارات والأمجاد منذ الأزمنة البعيدة، فاضت عليه أيضًا بمشاعر الفخر والزهو، وبالتالى فقد وجد فى نفسه الوريث لعرش الفراعنة، والملك الذى تنتظر مصر على يديه كل الخير والرخاء. كذلك تلك الخلقة الحسنة. إذ كان يتمتع بجمال أخَّاذ، وهيئة جذابة، ووسامة فائقة، ورومانسية حالمة، وجسم واف، حتى لقد وصفته صحيفة التيمز بأنه يبدو أكبر من عمره بخمس سنوات. هذا بالإضافة إلى تمتعه بقدر كاف من الذكاء، وبحضور ملموس، وسماحة هادئة، وسرعة بديهة، وخفة دم مستلفتة للنظر.

* * *

وفى ظل هذه الظروف الجديدة، قرر فاروق أن يستمتع بحياته، ومنذ البداية وجد القبول، بل والترحاب من أقرانه الإنجليز الذين رأوا فيه مميزات الشاب الشرقى، وما يتمتع به من إمكانات فطرية، ومضى فى ممارسة التدريبات الرياضية معهم، واهتم بلعبة الإسكواش، وكان بطلها عبد الفتاح عمرو الذى ارتبط به، وسوف يكون له شأن معه فيما بعد. ونزل إلى الشارع، واستخدم المواصلات، وتنقَّل بين المسارح والسينما، وارتاد المكتبات لشراء الكتب وبخاصة القديمة، وبدا واضحًا عليه تلك الميول إلى اقتناء القديم، وارتبط ذلك فى داخله بعمق، وتعود جذوره إلى ما تلقاه عن تاريخ مصر القديم، حقيقة أنه لم يزر الأهرامات إلا فى وقت متأخر، لكنه كان يقرأ فى التاريخ ويسأل، ومن ثم تغلغل فى أعماقه الانتماء للقديم الذى أصبح يمثل تراثا لا يقدر بثمن. ولم يقتصر الأمر على حضارة مصر القديمة، وإنما كل ما يتصل بالأصالة فى أى مكان. ومما يذكر أنه فى أثناء ذلك الوقت كانت حركة اكتشاف الآثار المصرية ودراستها وصداها فى الخارج ملحوظا، وقد شغف الإنجليز بالحضارة المصرية، وتكلموا مع فاروق بشأنها. وبذلك تجمَّعت لديه الأدوات التى جعلته يعشق القديم ويتبارى فى اقتنائه.

* * *

وكان للاختلاط بالمجتمع الإنجليزى الوجه الآخر الذى حمله الليل من اللهو والصخب، ومثل هذا المناخ لم يألفه فاروق من قبل، وعليه فإنه عندما جذبه أصحابه الإنجليز إليه، انساق لهم وانبهر به. حقيقة أنه منذ نعومة أظافره وهو مع الجنس اللطيف الذى تمثل فى مربيته وأمه وأخواته، ولكنه فى ذلك الوقت اختلفت المشاعر، وبخاصة أن الأمير الصغير فى سن المراهقة، وسيئات المجتمع المفتوح تفرض نفسها عليه، كما أن سيطرة العنصر الذكورى عليه، حيث نشأ وحيدًا دون أخوة، كان له تأثير فيه.

وأمام تلك الأجواء، ماذا كان عن موقف الرائد ونائبه؟ من المفروض أن يكون هناك كبح جماح لأى تصرف غير لائق يصدر من ولى العهد، ولكن ما حدث أنبأ بفشل مهمتهما، والسبب الجوهرى يعود إلى اختلاف رؤيتهما. والواقع أن فؤادًا لم يكن موفقا فى الاختيار، بمعنى أن الشخصين كانا على النقيض تماما، أحمد حسنين يمتلك من الدهاء والمناورة والمهارة، ما يؤهله للتفوق على عزيز المصرى الرجل العسكرى الصارم ذى

الأخلاق القويمة. وقد فهم كل منهما الآخر، ومضيا يعملان فى طريقين منفصلين مختلفين لجذب الأمير.

* * *

وبرغم التوصيات التى أوصى بها الملك رائد ولى عهده، والتى انطوت على تشاؤم فؤاد لاعتلال صحته، والتى كان ينبغى على أحمد حسنين أن يراعيها، فإنه لم يأبه بها، وخطط لمستقبله مع وريث العرش المنتظر، وكيف تكون له المكانة والحظوة عنده حين يتسلم العرش - وهذا ما حدث بالفعل - ومن ثم، وهو الرجل المحنَّك، فقد تمكن من الأمير الصغير ذى الخمسة عشر ربيعا، والذى تفاعلت مشاعره حينئذ، فتغاضى عن تصرفاته الطائشة، وشجعه أيضا على سلوك خرج به عن الخط المرسوم له.

وعلى الجانب الآخر، شدد عزيز المصرى على فاروق، وراح يحاصره ويفرض عليه أوامره العسكرية، لدرجة أنه عندما يجده منحنيا، يضربه على ركبتيه، ويذكره بأنه سيكون القائد الأعلى للجيش، ويأمره بالإيواء إلى فراشه مع دخول الليل، ليستطيع الاستيقاظ مبكرا، ليستغل يومه جيداً، وبالتالى أصبحت النتيجة معروفة ومحسومة، وهى أنه انجذب كلية لرائده، ونفر تماما من نائبه.

* * *

ووجد عزيز المصرى أن ضميره وأمانته وواجبه تحتم عليه نقل ما يحدث من أحمد حسنين للملك، فكتب التقارير، وصوّر له ما يحدث، وكيف أن الرائد بمعاونة عبد الفتاح عمرو يصحبان ولى العهد إلى الأماكن الخاصة ليلا. ولكن أحمد حسنين حال دون وصول هذه التقارير من ناحية، واستمر على الدرب نفسه لكن بطريقة مستترة للتمويه على عزيز المصرى من ناحية أخرى، وإن كان الأخير قد اكتشف بعضها، ورأى أن يواجه الرائد، ويبيِّن له أن ما يقوم به خطأ لا يرتكب فى حق الأمير فقط، وإنما كذلك فى حق مصر التى تنتظره ليجلس على عرشها. ولكن مجهوداته فى هذا الشأن ذهبت سدى. ولم يقتصر الصدام بين الطرفين على الأسلوب الأخلاقى وحده، إذ شمل أيضًا المفهوم الوطنى. فعلى سبيل المثال حينما قادهما الحديث عن الزعيمين أحمد عرابى وسعد زغلول، أراد عزيز المصرى أن يلقن فاروقًا أنهما وطنيان، فعلق أحمد حسنين بالقول: «إن الأول أراد خلع الخديو توفيق، والآخر هو عدو لأبيه»، وبالفعل فقد تأصل هذا المعنى داخل فاروق.

وفشلت خطة التربية والتعليم التى وضعها الرجل العسكرى، مما اضطره إلى أن ينسحب، تاركا الأمور للرائد والحارس الأمين. وسرعان ما أسدل الستار على هذه المرحلة العلمية التى ظهرت بوادر فشلها، وربما كان الأمر سوف يتغير إذا طالت فترة البعثة، بمعنى أن البريق للحياة الجديدة الذى استولى على انتباه فاروق، سيخفت بعد استيعاب المنظومة الجديدة، ويصبح بعد ذلك ذا مقدرة على أن يفرق بين شغل وقت الفراغ بالتسلية بما يعود بالنفع، وبين الدراسة الى تحددت له.

* * *

وقدم العامل الثانى نفسه لقطع رحلة ولى العهد والعودة إلى مصر، واختص بوفاة الملك فؤاد فى ٢٨ إبريل ١٩٣٦. ففى أثناء غياب فاروق ساءت حالته الصحية وتدهورت، وكان الأمير على اتصال به ومتابعا للنشرات الطبية. وقد أبدى الملك والملكة رغبتهما فى عودة الابن على وجه السرعة، ليكون بجوار أبيه وقت احتضاره. ولكن تمنعت لندن فى ذلك، إذ لم تكن تضمن أن يعود إليها مرة أخرى. والتقى رئيس الوزراء على ماهر المندوب السامى البريطانى، الذى انتقد هذا الموقف، وذلك فى وقت توتر فيه ولى العهد وطلب العودة إلى مصر. وبعد مناقشات انتهى الأمر بأن كتب لامبسون إلى حكومته، لتسيهل عودة الأمير فى يوم الوفاة ذاته.

وعقب موت فؤاد مباشرة، اجتمع مجلس الوزراء، وأصدر ثلاثة بيانات، الأول المناداة بفاروق ملكا على مصر، والثانى ممارسة مجلس الوزراء السلطات الدستورية للملك لحين تشكيل مجلس وصاية، والثالث إعلان الحداد لمدة ثلاثة شهور.

* * *

ثالثا - العـــودة

تلقى فاروق نبأ وفاة أبيه بحزن وأسى، حيث كان مثله الأعلى، وتوافدت عليه برقيات التعازى الرسمية، سواء من داخل بريطانيا أم خارجها، وغير الرسمية من زملائه. وعندما تحدد ميعاد السفر فى ٣٠ إبريل، التقى مع إدوارد Edward الثامن وزوجته، كما كان فى وداعه دوق كَنْت موفدا من الملك، ووزير الخارجية إيدن Eden. ولقى من الحفاوة

أقصاها، وسافر على الباخرة «ڤيس روى أوف إنديا»، وبناء على أمر وزارة الحربية البريطانية، خصصت مدمرتان حربيتان لحراستها، إذ إنه أصبح ملك مصر الجديد، الذى ستترك لديه مثل هذه التصرفات، وتلك المظاهر الأثر فى علاقته المستقبلية ببريطانيا.

* * *

وكان فاروق قد أناب الأمير محمد على فى تشييع جنازة أبيه، وفى الوقت ذاته، أصدرت المحاكم أحكامها باسم الملك الجديد، كما دُعى له فى صلاة الجمعة بالمساجد، وتردد الدعاء فى الكاتدرائيات، وصدرت طوابع البريد التى تحمل صورته.

وفى أثناء رحلة العودة - استغرقت ستة أيام - تزاحمت الأفكار فى ذهن الملك الجديد، وجالت الخواطر فى نفسه، إذ تأزم من الفشل الذى أصابه فى العملية التعليمية التى أعدت له، فهو لم يمكث فى بريطانيا سوى ستة أشهر وستة عشر يوما، قضى معظمها فى التعرف على الدنيا الجديدة. وبالفعل فقد صرَّح لرئيس وزرائه عند وصوله بأسفه فيما يتعلق بذلك.

وهذا الأمر نتج عنه عاملان، الأول أنه استسلم للواقع، ولم يعمل على تفادى ما اعتراه من نقص برغم وفرة إمكاناته، وشجعه على ذلك أنه وجد فى مصر من يؤصِّل فيه الهروب من التعليم، بالإضافة إلى التعلل بالتفرغ للحكم. والثانى العقدة التى تمكنت منه، وهى تصيب من هم على درجة متواضعة من التعليم، وذلك بالإعلان الدائم عن معرفة كل شىء أمام الآخرين. كما تسلَّط وسيطر عليه إبَّان رحلة العودة الدافع الذى كان المقربون إليه يغذونه به، ويتمثل فى جعله يزداد فخرا، لكونه أول حاكم لمصر يتبوأ عرشها بناء على الدستور المصرى، وليس بفرمان يصدره السلطان العثمانى، أو باختيار بريطانى كما حدث من قبل.

وبينما كان فاروق منهمكا فى قراءة برقيات التهنئة والولاء التى بعث بها المسئولون وغيرهم من مصر، أراد أحمد حسنين أن يجس نبض الملك الصغير، فبين له أن من واجبه إطلاعه على نوعية العلاقة بين أصحاب التهانى والقصر، خاصة فيما يتعلق بهويتهم السياسة، ولكن فاروقا رده بقوله: «إن صفحة جديدة قد بدأت، وإن المصريين متساوون أمام الملك». فكانت تلك بادرة طيبة من الملك الجديد، سرعان ما ذابت مع تلاحق الأحداث.

* * *

وفى مساء ٥ مايو ١٩٣٦ رست الباخرة فى ميناء الإسكندرية، ووطئت قدماه الميناء فى صباح اليوم التالى - أصبح ٦ مايو العيد الرسمى لجلوسه على العرش - وتضاربت عواطفه، فقد ظهرت على وجهه مسحة كآبة لفقدانه أبيه، فبرغم شدته وقسوته عليه، فإن ارتباطه به كان قويّا. ولم تستمر هذه الحالة طويلا، إذ تراءى أمامه أنه أصبح الحاكم لتلك البلاد، فى وقت أقبل عليه مستقبلوه بعد أن أعدوا عدتَّهم بطريقة دعَّمت فى نفسه المزيد من العظمة والكبرياء، حيث وجد أن قبلات الباشوات تطبع على يده، فنقلت له المعانى، وأعطته الضوء الأخضر الذى اهتدى به إلى تطبيق مبدإ أبيه بأن «الملك يملك ويحكم»، وأن أدواته لذلك أصبحت فى متناول هذه اليد.

وعلى الفور، صعد فاروق إلى قاعة العرش بقصر رأس التين، يرافقه رئيس الوزراء على ماهر الذى وضع الخطة بشأن احتضانه، وجعل القصر الحصن المنيع للملكية. وتبوأ فاروق أريكة الملك. وبعد استراحة، رافقه رئيس الوزراء فى المركبة الملكية المكشوفة إلى محطة مصر، ليستقلا القطار إلى محطة باب الحديد بالقاهرة.

* * *

ومع باكورة هذه الفترة، تغلغل فى تكوين فاروق، واختلط مع نسيجه عامل مهم لم تُشكِّل فيه الصناعة إلا جزءا بسيطا فى ذلك الوقت، لأنه كوَّن نفسه، وتمثَّل فى صدق مشاعر المصريين تجاه ملكهم الشاب، مما عمق فى داخله أن هناك قوة تسانده، لم يظفر بها أى من الحكام قبله. وجاءت البداية مع استقبال الشعب له عقب عودته سواء فى الإسكندرية أم على طول الطريق حتى القاهرة، مما أدهش المندوب السامى البريطانى، فكتب لحكومته يسجل الهتافات، ويصفها بأنها فاقت مثيلاتها التى كان سعد زغلول يقابل بها، وأنها نابعة من القلوب، وأن فى ذلك فألا حسنا للمستقبل. ويعود ويؤكد أن هذا الاستقبال تعدى كل تصورٍ، ودل على امتزاج الشعب بالعرش. وكانت هذه الصورة هى خير إثبات للواقع مع إطلالات البزوغ الأولى الواعدة، إذ غدا هناك فرق شاسع بين صورتى الأب والابن، فالأول العابس والمتجهم والمتعالى والأوتقراطى وصنيع الإنجليز والغريب عن المصريين الذى لا يعرف العربية والمنعزل عنهم، بينما الابن يمتلك الإمكانات التى أحبها المصريون، ووجدت طريقها السهل إلى قلوبهم.

* * *

والتقط على ماهر الخيط، واستغل قربه وملاصقته للملك الجديد، وانتهز فرصة ما تبقى له من عمر وزارته، ووقف وراءه بقوة، وظهرت البوادر مع صدور الأمر الملكى الأول الذى يشكر فيه صاحب الجلالة شعبه على استقباله له، ويصدر الأمر الملكى الثانى ليشكر جميع الهيئات المساهمة، ويُدلى بحديث ملكى أعد له عن طريق الإذاعة يوجهه إلى شعبه، ويستشف منه أنه يستدر عطفه، وذلك عندما عبر عن حرمانه من رؤية أبيه وهو فى مرحلته الأخيرة، كما بذل الوعود لإسعاد شعبه، وضغط على مسألة حبه له وتعلقه به، وربط بين مجد الملك ومجده. أيضًا وضع الترتيب للقاء بين الطرفين فى صلاة الجمعة التالية بمسجد الإمام الحسين.

* * *

ولما لم يكن فاروق قد بلغ سن الرشد، أصبح لابد من وجود مجلس وصاية كما أقر بذلك قانون ٢٥ لسنة ١٩٢٢، وكان فؤاد قد اختار الأسماء الخاصة بالمجلس، وحفظها فى مظروفين. وعلى الفور طلب على ماهر من عبد الحميد بدوى رئيس لجنة قضايا الحكومة بحث مسألة الوصاية، وتطلب الأمر إجراء الانتخابات حتى يجتمع البرلمان لفض مظروفى فؤاد. وتم ذلك، ولكن البرلمان لم يقر الأسماء التى وُجدت، وهى عدلى يكن وتوفيق نسيم ومحمود فخرى. وتدخل النحاس ضد على ماهر، وانتهت المسألة بالاتفاق على أن يكون الأمير محمد على وعلى عزت وشريف صبرى(خال فاروق) هم الأوصياء، وأقر البرلمان ذلك، وأدوا اليمين الدستورية.

وما لبث أن أعلن عن بلوغ فاروق سن الرشد فيما يتعلق بأهليته، ليتصرف فى أمواله، ويكون ناظر وقف ووصيًا على غيره، وتحددت هذه السن بخمس عشرة سنة. ووضح أن أصابع على ماهر كانت وراء صدور القانون الذى أضاف إلى فاروق تدعيما، وأعطاه الثقة بالنفس بعد أن أضحى يمتلك حرية التصرف فى ناحية مهمة شكلت فيما بعد ركيزة أساسية فى سياسته، وهى التحكم فى الأموال.

* * *

استتبع ذلك أن جرت محاولة من الأمير محمد على لرفع سن الرشد إلى خمسة وعشرين سنة، حتى يتمكن من ممارسة السلطة التى يتوق إليها، ولكن المحاولة لم تلق التأييد. وفى الوقت ذاته رأى السياسيون من مختلف الأحزاب أن تولية الملك سلطاته

الدستورية يجب أن تحدد بسن إحدى وعشرين سنة، لأنها سن الرشد الذى حدده قانون المجلس الحسبى لعام ١٩٢٥، وأنه يترتب على ذلك عودة الملك إلى بريطانيا ليستكمل برنامجه التعليمى.

ويرفض المندوب السامى البريطانى، ويُبيِّن خطورة تولى الوفد السلطة لمدة أربع سنوات، وكيف أنه يتمكن خلالها من توجيه دفة الوطنية المصرية للعمل ضد الأسرة المالكة، ويؤكد على أن سن الرشد السياسى هى ثمانى عشرة سنة، وأنه لا يمكن تغييره إلا بتعديل المادة ١٥٦ من الدستور. أيضا هناك الأمر الملكى الصادر فى ١٢ إبريل ١٩٢٢ والذى ينص على أن الملك يبلغ سن الرشد إذا اكتمل له من العمر ثمانى عشرة سنة هلالية، وهناك فرق بين التاريخين الميلادى والهجرى، والأخير يخفض لفاروق المدة المتبقية له لتولى سلطاته الدستورية، وكان لذلك سابقة مع الخديو عباس حلمى الثانى.

وأيدَّت الوزارة الوفدية ـ تشكلت فى ٩ مايو ١٩٣٦ بناء على فوز حزب الوفد بالأغلبية فى انتخابات نزيهة ـ الوضع بناء على أن ترويض الملك الشاب أسهل كثيرا من ترويض الأمير العجوز محمد على، بالإضافة إلى أنها وضعت فى حساباتها مشاعر المصريين التى كانت متلهفة على حكم الملك الجديد الذى تفاءلت بالخير على يديه. وسرعان ما أعلن أن الأمير محمد على أصبح وليّا للعهد، استنادا على أنه الأقرب للملك. وبذلك استقرت الأمور ذات الطابع التشريعى، وانصب التفكير على استكمال تعليم فاروق إبان فترة الوصاية.

* * *

رابعا ـ الانفتــاح

بدأ رسم السياسة الخاصة بتلقى الملك تعليمه ـ عقب عودته بأسبوع ـ بين على ماهر والوصى شريف صبرى، واستقر رأيهما على أن يتم ذلك فى مصر، وأن العودة إلى بريطانيا أمر غير مرغوب فيه، ويرفضها كل من الملك وأمه. وكان لابد أن يعرض ذلك على المندوب السامى البريطانى، وبالطبع فإنه لم يكن يحبذ هذا، ولكن الوصى ساق الأدلة على صحة نظريته، مبينًا أن الشعب قد تعلق بمليكه، وبالتالى سيكون لسفره الأثر السيئ، فلم يعارضه لامبسون ـ وذلك بعد تعدد لقاءات أحمد حسين معه ـ ورأى أن تُعلم الحكومة الوفدية بما اتفق عليه الأوصياء، ووافقت.

وجرى البحث عن الكيفية التى تترجم بها العملية التعليمية، واقترح سكرتير ديوان كبير الأمناء حسين حسنى أنه طالما كانت رغبة والده إلحاقه بالتعليم العسكرى، فمن الأفضل أن يستكمل دراسته فى الكلية الحربية المصرية، لأنه سيكون القائد الأعلى للجيش، ويعوِّض ما فقده من أقران بالتعرف على زملاء سوف يصبح لهم باع فى الجيش مستقبلا، وبخاصة أنهم من أبناء الشعب، مما يضفى عليه المزيد من التقارب معه. وكان لهذا الاقتراح رؤيته الثاقبة، ولكنه لم يلق الترحيب، وبالذات من أحمد حسنين.

وبناء على رغبة لامبسون، تم الاتفاق على استدعاء مدرس خصوصى من بريطانيا، له من المؤهلات ما يكفى ليتولى الوظيفة التعليمية الملكية. وعلى الفور يكتب السفير البريطانى لحكومته لترشيح الشخص المناسب، وحدَّد صفاته ومسئوليته، فى أن يكون مثقفا، ويمتلك موهبة التدريس وإجادة توصيل المعلومات، ورياضيا، وذلك ليقوم بالتعليم والتدريب والمراقبة، وبصفة عامة أن يجعل من فاروق شخصا قادرا على تحمل المسئولية، وبذلك يلقى على عاتقه الدور الحيوى لتشكيل الملك الشاب. وهذا ما كانت تسعى إليه لندن، وترغب فى إتمامه ليكون لها الأثر فى تكوين فاروق.

* * *

وسافر لامبسون إلى لندن لأمر يتعلق بالمفاوضات المصرية البريطانية، ووجدها فرصة، فالتقى مع رئيس جامعة إيتون Eton، وشرح له الهدف فيما يختص بتعليم ملك الغد، فرشح له إدوارد فورد E. Ford، وهو شاب لم يتعد الخامسة والعشرين من عمره، وتنطبق عليه المواصفات المطلوبة، والتقاه لامبسون، وشرح له التعليمات الأساسية فى مهمته العلمية بمصر.

ووصل فورد إلى القاهرة فى بداية أغسطس ١٩٣٦، وهنا حدثت المفاجأة، إذ ظل منتظراً دون عمل حتى ٢٤ سبتمبر، فكتب إلى أحمد حسنين ليستعلم منه عن وضعه، موضحا أنه حضر ليدرس للملك اللغة الإنجليزية، والتاريخ، والجغرافيا، والآداب، والمعلومات العامة، وليكون ملازما له فى الرياضة البدنية سواء أكانت تنسا أم سباحة أم بريدج، وأيضا فى القراءة، ويطلب استعجال تسليمه العمل. وتم له ذلك، ومضى فى إعداد برنامجه التعليمى، ولكن هل تم التنفيذ؟

* * *

الواقع أنه فى أثناء فترة خمسة الأشهر منذ عودة فاروق إلى مصر، طفت على السطح عوامل متعددة، حملت معها عدم التشجيع على تنفيذ برنامج الأستاذ الإنجليزى. فهناك شخصية أحمد حسنين، حيث توطدت علاقته بفاروق أثناء وجودهما فى بريطانيا، إذ تمكن خلال هذه الفترة من أن يؤثر على الشاب المنغلق، لدرجة أنه بعد يوم واحد من وصوله، قدمه إلى أمه، وأشاد به، فطلبت الأم أن يستمر فى رعايته، ويحميه من الأمير محمد على. ورأى أحمد حسنين فى ذلك تشجيعا ونجاحا لخطته التى وضعها بشأن توجيه الملك.

وهناك شخصية على ماهر، السياسى المحنك، وصاحب المواقف السابقة والمساندة للقصر، وقد قرر أن يتولى صناعة الملك الجديد، ويعمل على عجم عوده، ويضع له القواعد التى يرتكز عليها، وخاصة فيما يتعلق بعلاقته مع الوفد العدو اللدود.

وهناك شخصية نازلى الملكة الأم التى انفك أسرها بعد موت فؤاد، وأصبحت تمتلك الحق فى ابنها، وأرادت أن يلم بكل شىء عن ملكه، حتى إذا انتهت فترة الوصاية، يكون جاهزا لتولى السلطة الفعلية.

وهناك صاحب الشأن الملك فاروق الذى لم تكن طبيعته تتفق مع القيود، فضلا عن انبهاره ورؤيته لتلك الحياة الجديدة، ويقينه من حب الشعب له، كما تعلق بحب السيطرة الذى بدا له عن طريق المحيطين به. أيضا أصبح يمتلك الحرية بعد أن انتشل من أوامر أبيه الصارمة التى كان مجبرا على تنفيذها، وتدخلت فى أدق خصوصياته. كذلك فقد أراد أن يستمتع بهواياته التى توسعت مجالاتها، وأبعدته عن التركيز فى غيرها.

* * *

هذه المجموعة بكاملها لم تكن تؤيد خطة فورد التعليمية التى باركتها لندن، حيث لم يجد أى تجاوب من فاروق، وحاول السفير البريطانى مع الملك، وطالبه بالالتزام لما فى ذلك من مصلحة له ولمصر، فتظاهر بقبول النصيحة، ولكنه لم يتبعها. وقلقت الخارجية البريطانية لهذا الوضع، ويكتب القائم بالأعمال البريطانى للندن، ليصف ما أصاب فورد من ضيق وتبرم، ويشرح الصعوبات التى يقيمها أمامه أحمد حسنين، والتى كُلِّلت بما تم فى باريس - فى أثناء الرحلة الملكية - إذ أرسل برقية إلى السفير البريطانى هناك ينهى فيها خدمات فورد، وقام السفير بدوره، وبعث بها إلى الخارجية البريطانية. لقد خشى رائد

الملك من إمكانية التقارب بين الأستاذ وتلميذه، وبالتالي يستأثر به، وتنهار مخططاته، فسيطرت عليه الغيرة، وقام بالدور الإيجابي في مسألة إلغاء مشروع التعليم. وتأسف الخارجية البريطانية على فشل فورد في مهمته الجوهرية بعد أن كانت قد عقدت عليه الآمال العريضة.

وقبل الاستغناء عن فورد، رئي البحث عن بديل لمشروع التعليم، واستقر الأمر على أن يعطي للملك جرعات ثقافية تؤهله للمعرفة حتى تستكمل دائرة تكوينه قبل توليه سلطاته الدستورية. وكانت مسألة الثقافة قد احتلت موقعها على الخريطة العلمية التي أعدَّها الملك الراحل فؤاد، وشغلت المرتبة الثانية بعد التعليم، لذا أصبح لابد من استدعائها.

* * *

وكانت البداية الثقافية، رحلة نيلية سياحية إلى صعيد مصر، حيث كنوز الآثار، وقصد من ورائها تحقيق عدة أهداف: أولها أن السياحة عبر النيل سيكون له الوقع الحسن في نفسية فاروق، ويفيض عليه بالمشاعر، ويؤكد أن مصر هبة النيل. وثانيها أن الانتقال بين الآثار يغدق عليه العظمة والفخر للبلاد التي سيحكمها، وبخاصة مع ما يتفق من ارتباطه بالقديم وحرصه على اقتناء الآثار. وثالثها هؤلاء البشر الذين سوف يلتقيهم على طول الرحلة، فيحدث تلاق بين الملك الجديد وشعبه بعيدا عن عاصمة ملكه.

وتم الإعداد للرحلة في يناير ١٩٣٧، واصطحب فاروق معه على اليخت الملكي «قاصد خير»، أمه وشقيقاته وأحمد حسنين وعمر فتحي وعباس الكفراوي وأحد أساتذة اللغة العربية وفورد. وأجريت الترتيبات لهذه الرحلة على طول الطريق، وفي الحين ذاته، خرجت الحشود تهنئ وتبارك وتحيي. وكان فاروق يقف في عاصمة كل إقليم، فيجد الاحتفالات والحفاوة التي لم يلقها حاكم لمصر من قبل. ذلك الأمر أثر تأثيرا بالغا في داخله، وأدرك تماما مدى ارتباط الشعب به وحبه له، ومن هنا غمرته الأحاسيس الصادقة بالانتماء لهذا الوطن الذي عبَّر أبناؤه عما يكنونه لمليكهم الشاب.

* * *

بعد أن أدت الرحلة الداخلية مهمتها، جاءت الرحلة الخارجية إلى أوروبا، وكان لها

الإعداد الخاص، ويستقبل فاروق القائم بالأعمال البريطاني، ويذكّره بأنه كلما طالت مدة إقامته في بريطانيا، كان لها النتائج الطيبة. وأن الترحيب به وكرم ضيافته سيكونان موضع العناية هناك. ورد الملك عليه بأنه فهم المقصود جيدا. أي أن المطلوب هو تدعيم السياسة التي وضعتها لندن الخاصة بالاحتواء.

واختيرت الباخرة البريطانية التي أقلته عند عودته من بريطانيا للسفر عليها، ورسمت خريطة السير للبلاد التي سوف يزورها الملك، وهي سويسرا وفرنسا بالإضافة إلى بريطانيا. وفي ٢٧ فبراير غادر فاروق مع أمه وأخواته وحاشيته التي بلغت الثلاثين شخصا، بينهم أحمد حسنين، وعمر فتحي، وعباس الكفراوي، وحسين حسني، وحسين صبري - خال فاروق - واثنان من ضباط الشرطة، وزينب ذو الفقار وابنتها صافيناز، ومحمد التابعي - أحد أصحاب صحيفة المصري - والمسيو فوشيه - مراسل صحيفة الأهرام - وغيرهم، وانضم إلى الرحلة فورد ضيفا، حرصًا على عدم الإساءة للعلاقات مع بريطانيا التي حرصت على وجوده لرصد تحركات فاروق وحوارييه. وتمت مراسيم الوداع الرسمية، وحضرها السفير البريطاني الذي كان الممثل الأجنبي الوحيد بين المودعين.

* * *

مع بداية الرحلة، بدأ فورد يتابع تصرفات فاروق، وبالطبع فإن العين البريطانية عليه، ومن خلال التقارير التي كتبها للسفير البريطاني، يفهم منها أن سلوك الملك مرض، ولكنه استلفتت نظره كثرة تجوله بمفرده، وخاصة في الدرجتين الثانية والثالثة، وبالذات عندما يأتي المساء وتفتح حفلات الرقص. وهذا يعني أنه لم يكن قد انغمس كلية في التحركات مع الآخرين، كذلك فإن حب الاستطلاع الذي لازمه، جعله راغبا في اكتشاف عالم الترسو وأدوات تسليته.

وكانت أولى محطات الرحلة سويسرا - سان موريتز، چنيف، بيرن، زيورخ - ووضع البرنامج الملكي ليضم نوعين من الثقافة: الأول زيارة المعالم المشهورة والمتاحف والمصانع والمعامل والمؤسسات وحضور المباريات الرياضية والحفلات التكريمية. والثاني ارتياد المسارح والسينما والمقاهي والتزحلق على الجليد والتسوق. ومما يلاحظ أن فاروقا قاد السيارة بنفسه في أثناء التنقلات في بعض الأماكن.

* * *

وفى هذه الرحلة، بدأت بوادر تطلع فاروق للمقامرة، وقد كانت هناك لقطات سريعة من قبل، وذلك حين شغل بعضا من وقت فراغه فى لعب الورق مع الخدم داخل جدران القصر. ويذكر فورد فى تقرير له أن الملك اشترى أنواعا من ماكينات الرهان بلغ ثمنها ٥٠٠ فرنك سويسرى، وأن الحظ كان يلازمه. وهذا يعنى أن مثل ذلك الاتجاه قد وجد مكانا فى داخله إبَّان فترة تكوينه. وبرغم أن القمار عادة مكتسبة من الآخرين، فإن الحالة هنا أضيف إليها ما يرثه الأبناء عن الآباء، إذ مارس فؤاد لعب القمار، ولكن بطريقة مستترة، ومن المعلوم فى ذلك الوقت أن كثيرا من أبناء الطبقة الأرستقراطية والأجانب كانوا يقبلون على هذا النوع من التسلية.

* * *

وأضحى من الأمر الطبيعى، ومع بداية تحركات فاروق أن يجذب نظره السويسريات الجميلات، ولكنه سرعان ما ترك ذلك جانبا، بعد أن شدَّت انتباهه فتاة كانت على متن الرحلة ومن بين أفراد الحاشية، وهى صافيناز سعيد ذو الفقار، ذات الستة عشر ربيعا، وصاحبة الوجه الجميل الملائكى، والابتسامة الجذابة، والرِّقة المتناهية، والثقافة الراقية، والتى تجيد الرسم، وتتقن العزف على البيانو واللغات، وهى ابنة أحد رجال السلك القضائى، وزينب هانم وصيفة الشرف للملكة نازلى. وكانت الأخيرة قد وقعت عيناها على صافيناز لتكون ملكة مصر المقبلة، نظرا للصفات المحببة التى تتحلى بها، وقبل ذلك لاعتبار خالج صدر الأم، إذ خشيت من أن يرتبط ابنها بإحدى أميرات الأسرة العلوية، وبالتالى تفوقها من حيث النسب والحسب، واستحضرت الأم ما يترتب على ذلك من تعال وكبرياء وسيطرة، وعليه أرادت أن يقترن ابنها بزوجة على مستوى أقل حتى لا تفقد التحكم فى ولدها الوحيد، ومن هنا فإنها رتبت أن تصحب هذه الفتاة فى الرحلة.

ولما كانت صافيناز ملازمة لأخوات فاروق، فقد تقرَّب منها، وتودَّد إليها، ودعاها للرقص معه، وقدم لها الهدايا القيمة، ولم يتكلف معها، وإنما انتابته مشاعر بأنه يعرفها من فترة طويلة، فراح يناديها باسم «فاڤيت»، وانصب اهتمامه عليها بعد أن غمرته نشوة وسعادة الحب الأول.

* * *

وواصلت الرحلة طريقها فى الزيارات المقررة. ولما كان أحمد حسنين قد لازم الملكة

نازلى فى تحركاتها، حل مكانه حسين حسنى ـ بعد هذه الرحلة أصبح السكرتير الخاص للملك ـ فلاحظ فى أثناء التنقل بين المتاحف، اهتمام فاروق البالغ بالآثار، وعرَّج الحوار بينهما على الحضارة المصرية القديمة، وأظهر الملك ولعه بها، مبينا أنه ليس فى العالم بلد آخر له مثل ما لمصر من تاريخ عريق وآثار فريدة.

وكان من اللافت للنظر إبان هذه الرحلة، ذلك البذخ الذى أقدم عليه فاروق، حتى إن بعض الصحف السويسرية كتبت عن الثراء الفاحش الذى يتمتع به ملك مصر الشاب، والفقر الشديد الذى يعيشه شعبه، مما أدى إلى احتجاج أحمد حسنين لدى الحكومة السويسرية.

وتابعت الرحلة برنامجها، فاتجهت إلى باريس. ومما يسجل أن الملك لم يقيِّد نفسه بالمجموعة فى كثير من الأحيان، وإنما كان يستقل السيارة وينطلق بها بسرعة فائقة. ولكى يتفادى المصورين، استخدم سلم الخدم الخاص بالفندق حتى لا ترصد تحركاته، ومع هذا لم ينج من قلم الصحافة الذى انتقده بشدة فى أثناء وجوده مع بعض رجال حاشيته فى أحد الملاهى الليلية.

* * *

وتوجهت الرحلة إلى بريطانيا، وكانت الاستعدادات تجرى لتتويج الملك چورج السادس. ووفقا للتقاليد البريطانية، وحتى لا يكون هناك ملكان على أرض واحدة، سافر فاروق وحاشيته إلى باريس ثانية، وتجوَّل فيها، وارتكزت مشترياته على التحف الفنية ذات المستوى الرفيع والآثار المصرية. وهناك استقبل رئيس الوزراء النحاس، ودار الحوار بينهما عن مسألة حفل التتويج. وما لبث فاروق أن انتقل هو ومرافقوه إلى بريطانيا، وبناء على رغبته نزل فى قصر كنرى هاوس الذى سبق وعاش فيه، بينما فضلت نازلى أن تقيم فى لندن مع حاشيتها. ويسجل فورد فى أحد تقاريره تحركات الملك، ويصفه بالذكاء فى أسئلته، وكثرة نكاته التى وصفها أحيانا بالنوع الهزيل، ووضع يده على عقدة لازمت فاروقا طوال حياته، وهى اتساع خياله لحكايات غير واقعية، وأنه يسهر الليالى، ويشغلها بلعب الورق، مما يجعله يستيقظ متأخرا.

* * *

ومرة أخرى تشد الرِّحال إلى باريس، ويفتتح فاروق القسم المصرى فى معرض باريس الدولى، والذى حضره رئيس الجمهورية الفرنسية، وتبادل معه الملك الزيارة، ثم استقر به المقام بعض الوقت فى ڤيشى، ومضى يختلق الحيل والألاعيب ليبعد عنه رجال الشرطة الذين يتولون حراسته. وفى أثناء تلك الفترة، توثقت صلته بحسين حسنى، فانتهز الأخير الفرصة، وركز فى أحاديثه معه على مجد مصر التليد وتقدمها فى عصر مؤسس الأسرة العلوية، وأن عليه العلو فوق الحزبية، والالتزام بالدستور، وأن العرش أمانة فى عنقه، والجميع يعقد عليه الآمال، ليس فى مصر فقط، وإنما أيضا فى الوطن العربى والبلاد الإسلامية. فكان لذلك رد فعله على نفسية الملك الشاب، حيث دعَّمت داخله ما ينتظره من دور لن يقتصر على بلده وحدها.

وحينما حان وقت الرحيل، والعودة إلى مصر بعد ما يقرب من خمسة أشهر، اختار الملك السفر على الباخرة المصرية «النيل» التابعة لشركة مصر للملاحة - إحدى شركات بنك مصر - ووافقه الآخرون، إذ رئى أن هذا التصرف يُدعِّم نزعته الوطنية. وسبقته إلى مصر حملة إعلامية كبيرة، تطرقت إلى الاستفادة التى ادخرها الملك من الرحلة الثقافية، وكيف أنه تعرف على المجتمع الأوربى الذى انبهر به لسعة اطلاعه وثاقب فكره وسرعة خاطره. وسرعان ما انتهت الرحلة بالوصول إلى الإسكندرية فى ٢٥ يولية، أى قبل أربعة أيام من انتهاء الوصاية على فاروق، الذى أسعدته حماسة شعبه فى استقباله له وحفاوته البالغة به.

* * *

لم يسفر طريق الثقافة الملكية عن النتائج المنتظرة، كما هو الحال بالنسبة للبعثة العلمية فيما سبق، حيث إن استعداد فاروق للتزود سواء بالعلم أم بالثقافة كان محدودا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن عدم إدراك المحيطين به أهمية ذلك، وفقدانهم أساليب التشجيع، تسبب فى الفشل. وتُسجِّل الخارجية البريطانية فى تقرير لها أن فقدان الملك لمرشد أمين فيما يتعلق بالسلوك بأنواعه - وتدخل تحته الثقافة - والتملق بأشكاله الذى التف حول الشاب الصغير من الآخرين، جعلاه مفتونا بمركزه وعابثًا ومهتمًا باللهو. ثم يشير التقرير إلى أن فاروقا لديه الصفات الطيبة التى تعطيه الكفاءة، فله الابتسامة الجذابة،

وسرعة البديهة، والعزيمة الجيدة والمحسوسة. والواقع أن الجانب المضيء في التقرير، طغى على الجانب المضاد بشكل واضح في هذا العمر المبكر للملك.

وبذلك يتبيّن أنه على امتداد فترة تكوين فاروق التي استغرقت ثماني عشرة سنة هلالية، كانت هناك العلامات التي شكّلت وبلورت شخصيته، ومن ثم فإنه عندما تقلّد سلطاته الدستورية في ٢٩ يولية ١٩٣٧ كان يختزن داخله المقوّمات التي أصبحت نبراسًا له.

٢ـ التوهُّج

تُمثِّل الفترة الممتدة من ٢٩ يولية ١٩٣٧ وهو تاريخ تولى الملك سلطاته الدستورية إلى ٨ أكتوبر ١٩٤٤ يوم الإقالة الملكية الثانية للوزارة الوفدية، مرحلة التَّوهُّج بالنسبة لفاروق، تلك المرحلة التى استخدم فيها الأدوات التى تتناسب معها، ونجح من خلالها فى أن يُدعِّم مكانته، مما أسفر عن النتائج الإيجابية التى سجلت النقاط لصالحه.

أولا - التفـــوُّق

حمل عام ١٩٣٦ التفاؤل لمصر، إذ انتهى عهد الملك فؤاد، تلك الشخصية البغيضة إلى نفوس المصريين، والذى ورثه ملك شاب استبشر الناس به خيرا، وعقدت معاهدة ١٩٣٦ بين مصر وبريطانيا بعد مفاوضات متعثرة، وحملت معها إيجابيات من نتائجها اتفاقية مونترو الخاصة بإلغاء الامتيازات الأجنبية التى كانت قيداً أدمى معصم مصر، وأصبحت عضواً فى عصبة الأمم، وفى ذلك العام اكتسح حزب الوفد الانتخابات التى اتسمت بالنزاهة وبشَّرت بإشراق عهد جديد. وما لبث أن بدأ عام ١٩٣٧، وهو العام الأول لتولى الملك فاروق سلطاته الدستورية.

* * *

فصَّل دستور ١٩٢٣ حقوق الملك، فأعطى له حق تعيين الوزراء، والممثلين السياسيين، وكبار كل من رجال الدين - الأزهر - وموظفى الحكومة، وأعضاء الحاشية الملكية والعسكرية، وحق حل مجلس النواب، وتأجيل انعقاد البرلمان، وحق منح الرتب والنياشين. ونصَّبه قائداً أعلى للقوات البرية والبحرية، يُولِّى ويعزل الضباط، ويعلن الحرب، ويعقد الصلح، ويبرم المعاهدات. ولا شك فى أن ما أغدق على الملك من سلطات مثَّل أموراً خطيرة، هيأت الفرص وكثفتها للجالس على العرش ليستخدمها فى الأوقات المناسبة. هذا بالإضافة إلى أن قانون العقوبات ضم مواد تحفظ ذات الملك،

وتجعلها مصونة، وترفعه إلى أعلى الدرجات. وبناءً على ذلك، فقد استغل فؤاد تلك الصلاحيات جيدًا، فهل سار فاروق على الدرب نفسه؟

* * *

كان الواقع على الساحة السياسية يشكل أكثر من اتجاه:

الأول، الملكية، وقد أصبحت على أعتاب فترة حيوية وخصبة وجديدة، وملك شاب استحوذ على قبول جماهيرى فائق، وضح ذلك منذ اللحظة الأولى لعودته من الخارج بعد وفاة أبيه. وفضلا عن المزايا التى وجدها المصريون فيه، تملكتهم مشاعر العطف عليه، ليتمه فى هذه السن الصغيرة، ولتحمله المسئولية فى ذلك الوقت المبكر، ولحرمانه من الطفولة السعيدة التى يحياها أبناؤهم، ولفقدانه فرصة التعليم التى كانت مُعدَّة له. وعليه فقد كوَّن ذلك قاعدة أولية، مكَّنت الملتفين حوله من استخدامها بمهارة فى صناعته وفقا للأسس التى وضعها الأب لحكم مصر، فجهزوا الخطط ورسموا السياسة، وعرفوا كيف يلتقطون الظروف الداخلية أى مكنونه، والخارجية مستغلين حب الشعب الذى فاض عليه.

الثانى، حزب الوفد، صاحب الأغلبية، ولم تكن قد أصابته الآفات بدرجة ملحوظة بعد، ومعروف أن مبادئه تتعارض مع الأوتقراطية الملكية، وقد اعتمد على الوجود المكثف له فى الشارع على مستوى مصر كلها.

الثالث، قصر الدوبارة ـ السفارة البريطانية ـ الذى أسف على موت الصديق فؤاد، ولم يكن السفير البريطانى لديه أى اقتناع بفاروق، فأطلق عليه اسم الصبى، ورأى أن الخبرة تنقصه إذا قيس بصبى إنجليزى فى مثل سنهً، وأن اهتمام أبيه بتربيته تربية ملائكية، جعله يعيش منعزلا فى القصر، وينقصه التعليم الكامل، ولا ينتظر منه أن يكون عنصرا مباشرا للاستقرار عدة سنوات. وبعد أن كان لامبسون يجد أن التوازن بين الأطراف الثلاثة ـ الإنجليز، والقصر، والوفد ـ مطلوب، وشبَّهه بكرسى ذى ثلاثة أرجل، إذا استبعد أحدها اختل، أدرك أن الحال تغير، وألقى على الإنجليز والوفد المزيد من المسئوليات فى ظل الظروف الجديدة.

الرابع والأخير، حزبا الأقلية، الأحرار الدستوريون والوطنى، وجماعتا مصر الفتاة

والإخوان المسلمون، ولم يكن للأولين تأثير نافذ وعميق فى المجتمع مثل حزب الوفد، بينما كان للآخرين تحركات ملحوظة.

* * *

وأخذت الأمور مجراها، وبدأ تنفيذ خطة القصر الذى يمثله الملك الشاب ومن أمامه وورائه مبتكرو فن الصناعة الملكية، وقد نجحوا فى مهمتهم، وأصبح فاروق متوهجًا بعد أن أضفى عليه جميع المقومات المؤهلة لقيامه بالدور المنتظر. وتسلطت عليه الأضواء، وتم الحرص على إظهاره فى صورة شعبية انبهرت بها الأنظار، فهو يواصل صلته بالناس عن طريق الإذاعة، إذ يتردد صوته عبر الأثير فى المناسبات، وأيضًا بواسطة اللقاءات التى تحدث فى أثناء زياراته لمزارعه، وبخاصة فى الشرقية والإسكندرية، فعلى طول المسافات تقام الاحتفالات، وتعلو الهتافات التى عبَّرت بصدق عما يجيش بالصدور تجاه ملك البلاد، وقد نقل مراسلو التيمز والديلى تلجراف وقائع وانطباعات تلك المظاهرات الحماسية.

واختلقت المناسبات ليزور الملك بنك مصر، وبلدية الإسكندرية، ويفتتح مستشفى فؤاد (المواساة)، ويرسى حجر أساس نقابة المحامين، ويحضر المباريات الرياضية، ويشجعها، ويخصص الجوائز للمتفوقين فيها. ويأتى التركيز على طلبة الجامعة، بحكم لغة الشباب التى تربط بين الطرفين، فيلتمسون زيارته، ويعبرون عن مشاعرهم تجاهه. كذلك فإن زيارته للوجه القبلى قد دشنت شعبيته هناك، وصحافة الفترة - ماعدا الوفدية - كانت وجها إعلاميا ثريا، حيث أظهرت فاروقا فى صورة البطل الذى انتهج سُنَّة السلف الصالح فى اختلاطه بشعبه، وخروجه أحيانا متنكرا، ورأفته برعيته، وحرصه على السماع لشكوى الناس واهتمامه بهم.

* * *

وكان ذلك ترجمة صادقة لتخطيط رجال القصر، ولكن على جانب آخر، فقد أعطت الصحافة اللقطات من الواقع، ونقلت الصورة الجميلة لما يكنه المصريون لفاروق، الذى ساعدته الظروف على أن يحصد هذا الحب الكبير، إذ ظهر فى الوقت المناسب، وأوصل لهم الإحساس بديمقراطية، حينما تنقل بينهم وتقرب منهم. وبطبيعة الحال فإن ذلك جميعه كان على حساب الوفد وزعيمه، الذى مضى يعمل من أجل إجهاض الشعور

المتأجج المحسوم لصالح فاروق. ومما يُسجَّل أن هذا الشعور قد غمر الملك بالمزيد من اعتزازه بشخصيته، وطغيان فرحة تفوقه على الرئيس الجليل وصاحب المقام الرفيع وزعيم الأغلبية.

* * *

والسؤال الذى يتبادر للذهن: هل كانت كراهية فاروق للوفد موروثة أم مكتسبة؟ الواقع أنهما الاثنان معا، حقيقة أن الملك لصغر سنه، وبحكم حياة الأسْر التى كان يحياها فى القصر لم يدرك سياسة أبيه، الذى لم يلقنه أى درس من أساليب حكمه، كما أنه من المعروف أن الطباع والخصائص تختلف بين أفراد الأسرة الواحدة، ولكن وجد رباط بين الأب وابنه، تمثل فيما استمده فاروق من فؤاد، وتعلق بالأوتقراطية التى تتعارض تماما مع مبادئ الوفد، والتى دعَّمها المحيطون به عندما استحضروا له صور العداء بين أبيه والنحاس، وأنه أصبح عليه أن يسلك الطريق نفسه حتى يحقق ذاته ويكون الملك الذى يملك ويحكم. ولقى ذلك الآذان الصاغية من الشاب الصغير الذى أسكرته شعبيته، ورأى أمامه من يُقدِّم له صولجان السلطة، فأمسك به.

* * *

وبدأت خطوات الصراع بين فاروق والنحاس من قبل تولى الأول سلطاته الدستورية والتى انتهت فى مرحلتها الأولى بالتفوق الملكى. وكان شهر مايو ١٩٣٦ قد جمعهما من حيث اعتلاء العرش وتولى الوزارة الوفدية، ووجد زعيم الوفد أن الفرصة قد سنحت لحزبه بعد انقضاء العهد الفؤادى، وأن عليه تحجيم الدور الملكى، وبالتالى فإنه دخل دخلته القوية، وفشل أحيانا، ونجح أحيانا أخرى. أخفق فى تنفيذ ما كان يسعى إليه بشأن إقامة وزارة للقصر، إذ تراجع عندما عارضت لندن لخشيتها من سيطرة الوفد على القصر. ولكنه سرعان ما انتصر حينما أحبط مخططا بشأن إقامة احتفال دينى يتوَّج فيه الملك - بالإضافة إلى حفل أداء اليمين أمام البرلمان - قصد القصر من ورائه إعطاء انطباع جديد، حيث إنها المرة الأولى التى يتولى فيها ملك الحكم عن طريق الدستور فى ظل استقلال قادم.

* * *

ويتلخص السيناريو الخاص بذلك الاحتفال، فى أن يدعى الأمراء وكبار الرسميين وممثلو الهيئات السياسية وكبار العلماء والشيوخ والقضاة، ويقف شيخ الأزهر بين يدى الملك، ويدعو له، ويتلو صيغة معينة، ويجيب الملك عن كل سؤال فيها، ويقسم اليمين

بالولاء لشعبه والبر بقوانينه والعمل على رفاهية أمَّته وسعادتها، ثم يقدم إليه شيخ الأزهر سيف محمد على.

كان صاحب الفكرة الأمير العجوز محمد على، وأيدها حسين حسنى الذى دعَّم وجهة نظره بأن الاحتفال شبيه بتتويج ملك بريطانيا، وبما كان يقام عند اعتلاء فرعون عرشه، وأن هذا الإجراء يثبت حق الملك فى وراثة العرش الذى يعتمد على وثيقة بريطانية، وأخيرا فإنه احتفال يليق بمكانة مصر فى العالم الإسلامى. ووافق أحمد حسنين على تلك الرؤية، وبالطبع لقى الأمر الترحيب والمباركة من الدوائر الأزهرية.

وفى البداية لم يكن فاروق مدركا تماما للأبعاد، وعندما التقاه النحاس فى باريس لم يقطع برأى، لكنه فى الوقت ذاته انتابته المشاعر، ومال إلى مثل هذه المظاهر لما تضفيه عليه من طقوس تغمره بالهيبة والمكانة، وتحوله إلى إمبراطور للشرق. أيضا فإن ذلك يتفق مع السياسة الجديدة فيما يتعلق بتصويره بالملك الصالح التقى الورع.

* * *

ورفضت حكومة الوفد هذه المسألة بشدة، حيث فصل الدين عن الدولة قاعدة أساسية فى سياسة الحزب الليبرالية، بالإضافة إلى التزامها بالدستور الذى يخلو من مثل ذلك الإجراء. وما لبث الأمر أن تحول إلى قضية رأى عام، وتولت الصحافة عرضها مع الأسانيد الخاصة سواء بالتأييد أم الرفض، وأسهم قلم كبار الكتاب فى تفنيد الآراء. ومن اللافت للنظر أن حجم الموافقة عبر الإعلام الصحفى كان أكبر من العكس، ويرجع إلى أن الصحف الوفدية فقط هى التى تولت المسلك الأخير. وأصبح الحفل الدينى موضوع الساعة، حتى إن بعض شركات الأشرطة السينمائية الإخبارية البريطانية والفرنسية والأمريكية، طلبت الحصول على التصريح لنقل صورة الاحتفال. ولكن المسألة حُسمت لصالح الوزارة الوفدية.

وتبع هذا جولة ثانية انتصر فيها النحاس على القصر، وذلك حين أقصى مسألة أن يؤدى الملك صلاة الجمعة، وهو أحد أيام الاحتفال فى الجامع الأزهر. وبذلك استُبعدت الحماية الدينية التى رغب القصر فى إضفائها على سلطة الملك. ومما يُسجَّل أنه لم يكن لقصر الدوبارة الموقف فى مثل هذه الأمور نظرًا لارتباطها بالطابع الدينى.

وجاءت جولة الفوز للوفد للمرة الثالثة، عندما رفضت الوزارة أن يضع رئيس مجلس الشيوخ تاجا على رأس فاروق باسم الأمة فى احتفال مهيب، ويكتتب المصريون فى ثمنه. ولكنها ـ أى الوزارة ـ خسرت جولة، حينما أرادت أن تغير فى قسم الجيش الذى سيقسم به يوم الاحتفال، بأن يدخل عليه الطاعة للدستور بجوار الإخلاص للملك، وعندئذ وقف لها القصر بالمرصاد. ومما لاشك فيه أن جولات انتصار الوفد تركت الأثر العميق فى نفس فاروق، وأيقن لامبسون أن رد فعل الملك آت وقريب، وأنه يضع مسلك أبيه أمام عينيه، ويحذو حذوه، وسيتهز الفرصة ليطيح بالوزارة.

* * *

تجسَّد رد الفعل القوى على الملك فى التصميم على الدخول فى منافسة شعبية مع زعيم الوفد. وبرغم أن الأخير لديه الرصيد من ماضيه وحاضره، فإن الأول تفوق عليه فى فترة قصيرة للغاية، حتى إن التقارير أشارت إلى أن النحاس أصبح لا يؤيد ظهور الملك فى المواكب الشعبية، ولكن اتجاه على ماهر طغى فى هذا الشأن، إذ جعل فاروقا ماثلا أمام أعين المصريين، يقوم بالاستقبال فى قصر عابدين بدلا من الأوصياء، ويحضر احتفالات الأسرة الملكية، ويؤدى صلاة الجمعة فى المساجد.

وتُحلِّل الخارجية البريطانية الوضع، وتضع يدها على الحقائق، وهى أن مقدرة الملك الطبيعية، ومنظره الجذاب، وخفة دمه، كوَّنت له رصيد الحب لدى المصريين، ذلك الحب الذى وضح فى جميع تحركاته، مما أدى إلى غيرة النحاس منه ـ بوصفه الزعيم المحبوب ـ لأنه وجد نداً له، فضلا عن خوفه من أن يتأسس حزب للقصر، يكون طوع البنان الملكى. وتصل لندن إلى أن مجرد حصول فاروق على الأغلبية مع عدم خبرته، ومحاصرة الدسائس له، سيفتح باب الإغراء أمامه، وحينئذ لن يستطيع أن يقوى على مقاومة اتخاذ إجراءات غير دستورية. وبرغم استنجاد النحاس بالسفير البريطانى وطلبه مساعدته فى وقف مظاهرات الولاء للملك، فإنها استمرت، ولم يتمكن أحد من إيقافها.

ويلقى السفير البريطانى اللوم على الوفد الذى أهمل الملك، ويُبيِّن أن الأخير مضى يعمل ضده تحت تأثير أعداء الوفد، وتولد عن ذلك كراهيته لحكومته ورئيسها، وأن توقع حدوث صدام فى الحسبان، وذلك بعد أن استحوذ فاروق على الشعبية المتوهِّجة. وكان للسفير رؤيته المستقبلية، إذ ذكر أنه على المدى الطويل، سوف يستعيد الشعب المصرى الكراهية المغروسة فيه لأسرة محمد على. وهذا معناه أن ذلك الحب الذى غمر به المصريون الملك الشاب لن يدوم كثيراً.

كان تولِّى الملك سلطاته الدستورية أمام البرلمان فى ٢٩ يولية ١٩٣٧ مناسبة تأججت فيها عواطف المصريين الجياشة دون تصنع أو مجاملة، كما شهد بذلك المعاصرون المحايدون. وفى كلمته التى ألقاها، بدا فى صورة المنقذ والمخلص المنتظر، وأراد أن يلامس مشاعر شعبه، فأعرب عن أنه كان يود أن يصافح كل فرد ليعبر له عن حبه. ثم تمكَّن وبذكاء من أن يشير إلى أن إرادة الله قد ألقت على عاتقه عبء تبعات الملك والاضطلاع بالمسئولية وهو فى هذه السن المبكرة. وفى ذلك اليوم صافح فاروق بيده ما يزيد على خمسة آلاف شخص. هذا بالإضافة إلى تلك الترتيبات التى أعدَّها رجال القصر ليحصد الملك المشاعر المتدفقة. ويذكر القائم بالأعمال البريطانى لحكومته أن الشعبية التى حصل عليها سعد زغلول وخليفته أصبحت تواجه موقفا جديداً يتمثل فى شخصية الملك الصغير، ثم يصف خسوف بريق زعيم الوفد تجاه هذه الظروف الجديدة.

وازدادت ثقة فاروق بنفسه، حتى إنه خرج فى مساء اليوم ذاته بمفرده، واستقل سيارته، وطاف بشوارع القاهرة، ليشهد كيف تحتفل به، وقوبل بالحماسة المنقطعة النظير عندما عرفه الناس فى الميادين التى مر بها. وفى اليوم الثانى دُعى له فى صلاة الجمعة، وكذلك أقيمت الصلوات، وترددت الدعوات له فى الكاتدرائيات. وفى اليوم الثالث، أقيم حفل استعراض الجيش.

ثانياً ـ الانتصار

راح على ماهر يرسم لفاروق الطريق الذى يؤدى به إلى مزيد من تعلُّق الناس به، وفى الوقت ذاته يوجه الضربات للوفد ليقصيه عن هذا الطريق. وكان الأخير متيقظًا لذلك. فمنذ اللحظات الأولى وعقب تولى الملك سلطاته الدستورية، أراد النحاس إثبات أن له السلطة، فأقدم على بعض الإجراءات التى تركت الأثر السيئ على الملك مما دفعه إلى معاكسته.

فحين رغب فاروق فى أن يوجه حديثا إذاعيا للشعب، أعدَّه النحاس وأشار فيه إلى الإنجاز التاريخى بأن مصر أصبحت دولة مستقلة، وتجنب ما يعطى الانطباع للدول وبخاصة بريطانيا عن موقف مصر تجاه الأحلاف، ولكن الملك قام بإعداد حديث آخر، وأمكن بعد جهد التنسيق بين الحديثين.

* * *

وحدث أيضا أن أقدمت الوزارة على إصدار قانون ٧٢ لسنة ١٩٣٧ ويختص بإنشاء مجلس الدفاع الذى يعطى مجلس الوزراء السلطة فى التصديق على قراراته بدلا من الملك، مما ساء فاروقا الذى انتهز فرصة تقديم النحاس استقالة وزارته فى ٣١ يولية، وقبل التشكيل الجديد، أنعم على رجال قصره برتب وأوسمة ونياشين دون أن ينتظر أخذ رأى الوزارة.

كذلك فإنه عندما صدر الأمر الملكى للنحاس بتشكيل الوزارة فى أول أغسطس، وفى أثناء التشكيل، انتقل فاروق إلى الإسكندرية، بقصد أن يكون متغيبًا، فيتم التشكيل، وعندئذ يعود ويعترض عليه، فما كان من النحاس إلا أن اختار الوزراء وانتظر عودة الملك ليؤدوا اليمين. ولكنه حين عاد، اعترض على دخول يوسف الجندى وزيرا للمعارف العمومية، وبين أن نزاهته مشكوك فيها. ولم يشأ رئيس الوزراء أن يثير أزمة، وبقى المنصب شاغرا، وأسندت أعماله لوزير التجارة والصناعة.

* * *

ووجه فاروق للنحاس الإهانات. فعلى سبيل المثال، عند وصول الأخير لقصر القبة، ليصحب الملك إلى المحطة ليستقل القطار للإسكندرية، أبلغ أن يذهب رأسا للمحطة، فرفض وذكر أنه صرف سيارته، وبعد إبقائه فترة، سمح له الملك بمرافقته. وثار فاروق حينما دعا إمام المسجد فى أثناء الصلاة له ثم للنحاس، وبيَّن أن الخديو عباس حلمى الثانى وهو ولى مصر الشرعى، لم يكن يدعى له، وإنما اقتصر على الدعاء للسلطان، واستفسر هل للنحاس فى مصر أكثر مما كان للخديو؟ وصدرت الأوامر لأئمة المساجد بعدم تكرار ما حدث.

ووضع الملك القيود أمام رئيس وزرائه حالة رغبته فى مقابلته، وذلك بأن يرفع قبل المقابلة بثمان وأربعين ساعة مذكرة بالموضوع المراد الحديث فيه. ولما كان يعلم أن وقت الظهيرة لا يناسب النحاس، فقد رأى أن تجرى المقابلة فى ذلك الوقت. وفى أثنائها لم يكن الملك يستكملها، إذ يقاطع حديثه مُبيِّنا أن لديه المعلومات عن الموضوع المطروح، وبالتالى لا داعى للبقية. وعندما أراد النحاس اللجوء لبعض الشكليات، علَّها تهدئ من الانفعالات مثل طلبه إقامة حفل بمناسبة الخطوبة الملكية، رأى فاروق أن تؤجل، ولم يحدد الميعاد.

وبعد أن كان رئيس الوزراء ينوه فى خطبه وأحاديثه بمآثر الملك الدستورية، امتنع نهائيًا عن أى إشارة تحت هذا المعنى، وحاول أن ينال منه. وشكا فاروق لأحد ضيوفه من الإنجليز، وضرب له مثلا بأنه أثناء جلوسه مع خطيبته فى بيتها بالإسكندرية، سمع مظاهرة فى الخارج، تهتف بحياة النحاس، وأن هذا التخطيط أفسد فى الحال، وتحول الهتاف إليه.

ومن أجل الانتصار، جاءت الحرب الإعلامية بين الطرفين، وكان الطرف الملكى أقوى، وبالتالى هاجمت الأقلام وبشراسة الحكومة، ووضعت يدها على موضوعات زادت من توهج فاروق أمام المصريين.

* * *

وباستحكام العداء بين الطرفين، ولمزيد من رجحان الكفَّة الملكية، توجهت سياسة القصر إلى جذب القاعدة التى يعتمد عليها الوفد، والمتمثلة فى العمال والطلبة. أما بالنسبة للأولين، فقد شكلوا ثقلا فى فرق القمصان الزرقاء التى استخدمها الوفد لخدمة أغراضه، ونجح القصر فى ذلك إلى حد كبير، وتوافدت جموع العمال أمام قصر عابدين وقصر رأس التين، معلنين إخلاصهم للملك.

وفى إحدى مظاهرات الولاء، ازداد عدد العمال، فلم يتمكنوا من الدخول إلى ساحة القصر من شدة الزحام مما اضطر فاروقا للصعود إلى سطح القصر ليرد السلام والتحية على الجميع، وفى أثناء اندفاعهم، سقط الكثير، وأسفر ذلك عن موت ٢٤ عاملا، وإصابة كثيرين. وعليه صدر الأمر الملكى بإقامة جنازة للمتوفين، وصرف إعانة مالية لأسرهم، وقام فاروق بزيارة المصابين فى المستشفى. ووصلت التعليمات من القصر لرئيس الوزراء، تبلغه بعدم الاشتراك فى الجنازة، ومن ثم بلغ التوتر أقصاه.

أما عن اجتذاب القصر للطلبة، فقد حقق هدفه، إذ صدر مرسوم ملكى بالعفو الشامل عن الطلبة الذين حوكموا تأديبيا. وحينما أراد الملك أن يكون هناك تدريب عسكرى لطلبة المدارس، وأن يحملوا السلاح، رفضت الحكومة، ووقفت لذلك بالمرصاد، وأيدتها الخارجية البريطانية. وغدا التركيز واضحا على طلبة الأزهر، وبخاصة أن شيخه مصطفى المراغى كان له الموقف المناوئ من الوفد، وغمرته مشاعر الحب تجاه الملك، وبالطبع سار طلبه الأزهر على منوال شيخهم، وأثبتت تقارير الأمن أنهم معادون للوفد. كذلك اعتمد

القصر فى خطته على الإخوان المسلمين ومصر الفتاة، وعن طريق الأخيرة، وقعت محاولة الاعتداء على رئيس الوزراء. وردا على ذلك، حاول الوفد أن يوقع بين الملك وأعيان الريف لما لموقعهم من تأثير على الخريطة الاجتماعية.

* * *

وأصبح الأمر سجالا فى تجنيد المظاهرات لكل من الطرفين، وكثرت الحشود لطلبة الجامعة والأزهر، تلك التى تجمّعت فى ساحة قصر عابدين، وكان فاروق يخرج إليها، وقد قبضت كفه اليمنى على كفه اليسرى وهزهما. وفى إحدى المظاهرات، ترددت الهتافات بسقوط الحكومة، وتصادف وجود مكرم عبيد وزير المالية فى القصر، فحطم المتظاهرون سيارته.

ويُحلِّل السفير البريطانى نفسية فاروق، فيذكر أنه لا يترك فرصة تمر دون أن يبدى استياءه الشخصى من النحاس ومكرم عبيد، وأنه متشرب لطباع أبيه وباقى أسرته، فهو ينظر إلى زعيم الوفد على أنه ديماجوجى مصرى نشأ بين الفلاحين، ولمساعده بأنه قبطى من الطبقة الدنيا، لكن يكظم غيظه، ويخطط على المدى الطويل، لإضعاف الحكومة وحزبها مستغلا انقساماته التى كانت من نتائجها آنئذ خروج محمود فهمى النقراشى وأحمد ماهر من الوفد، بتشجيع ومؤازرة من القصر، وذلك تطبيقا لسياسته الخاصة بالاستيلاء على الوفد من الداخل لهدم هيكله.

* * *

وواصلت الحرب النفسية مسارها بين الطرفين، وبذلت المجهودات التى وجهها على ماهر وأحمد حسنين تجاه المزيد من الشعبية للملك الشاب، والعمل على انتقاص سلطة الحكومة لصالح الملكية. وتضاعفت الدعايات حول شخصية فاروق التى التصقت بالورع والتقوى والبطولة والزعامة والوطنية والديمقراطية، فهو يطّلع على الشكاوى بنفسه، ويفتح قصره للجميع، ويأمر بعلاج الفقراء على نفقته، ويتبرع للمنكوبين، ويوزع حنانه على المساكين، ويضيء المستشفيات بالكهرباء فى المناطق المنعزلة، ويدفع آلاف الجنيهات لتحقيق هذه الأغراض. ثم هو يشجع المنتجات المصرية، ويطلب أن تكون مشتريات القصر صناعة مصرية، وإن لم تتوافر، فتشترى من محلات مصرية. وانعكست الأقوال على الترجمة العملية، فازدادت تحركات فاروق الكثيرة والفجائية، فيقوم بالزيارات

وبخاصة إلى المناطق العمالية، ودائما ترتبط الزيارة بافتتاح مؤتمر أو مسجد لتتحقق الأغراض جملة واحدة.

* * *

وجنَّدت الصحافة المعادية للوفد كتَّابها فى هذا الصدد، ونجحت الدعاية تماما، وأثمرت قطوفها، إذ تلاحم الشعب مع فاروق. ومما لا ريب فيه أن القصص التى نشرت على صفحات الصحافة، حملت من الحقيقة. وكتابات السفير البريطانى سواء لحكومته أم فى يومياته، تصف الاستقبالات الملتهبة التى يلقاها الملك المحبوب من المصريين، لدرجة أنه بينما كان فى طريقه لزيارة المحلة، وفى أثناء مرور موكبه على بنها، ومن كثرة الحشود، اضطر إلى النزول، وصافح الأيدى المتزاحمة فى تواضع وبساطة.

وقد ساعد على هذا النجاح طبيعة الشعب المصرى الذى أحب فاروقا الشاب وانبهر به، لأنه تقرَّب منه، فمحا صورة الحاكم التقليدى الجامد الذى يجد الصعوبات فى طريق ابتسامته، وأحل مكانها تلك الصورة التى جمعت فى نظرهم جميع الصفات المتميزة. وبدأت تظهر سمة تربعت على القمة وانتشرت، وقلما وجدت عبر التاريخ المصرى، وتمثلت فى أنه إذا حملت أم وجاء الابن ذكراً أطلق عليه اسم فاروق، وذلك عن حب صادق لا نفاق فيه، كما اقترن به الجمال حين يوصف. ومن الطبيعى أن مثل تلك الأجواء لابد أن تسجل انتصاراً كبيراً على صاحب الزعامة الوفدية التليدة، مما زاد من حساسية الموقف، وعمَّق الفجوة.

* * *

وفى سخونة ذلك التوتر، دخلت مسألة فرق القمصان الزرقاء دائرة الأزمات، والتى كان الوفد يعتمد عليها لاستقطاب الشباب، لتكون سنده ضد القصر والمعارضة. وشغلت هذه المسألة فاروقا، واستغلها المحيطون به، وأفهموه أن النحاس يدعم هذا النظام ليتشبه بموسولينى Mussolini وهتلر Hitler. وتوحدت الجهود، وساند القصر المعارضة وقصر الدوبارة لإقصاء ذلك التنظيم. وطالب فاروق رئيس وزرائه ـ متبعا طريقته المتشددة ـ بحل تلك الفرق لعدم شرعية ودستورية وجودها، ولكن النحاس يتمسك بها، ويحلِّل بأن طابعها رياضى. واستمر الأمر مثارا بين الطرفين إلى أن أقيلت الوزارة.

* * *

وتفجرت قضية أخرى، اختصت بشأن تعيين رئيس الديوان، الذى هو الوسيط بين الملك والسلطتين التشريعية والتنفيذية، وله أيضا سلطة التأثير على الملك. وحرصت الوزارة على أن يكون لها يد فى التعيين، وسافر مراد محسن ناظر الخاصة الملكية إلى فاروق - إبان رحلته الخارجية - يحمل بعض الأسماء المقترحة، لكنه لم يختر منها، إذ لم يرغب فى أن يكون رئيس الديوان وفديا فيحابى حزبه ضده. وتم إرجاء الموضوع، وفشل النحاس فى الحصول على الموافقة الملكية فى كل مرة يلتقى فيها بالملك، الذى فى نهاية المطاف انتصر على رئيس وزرائه، واختار على ماهر لشغل المنصب فى ٢٠ أكتوبر ١٩٣٧. وبدلا من تخطيطه من وراء حجاب، فقد كشف هذا الحجاب بعد التعيين، ووفقا لهذا المنحى، أصبح الشخص المناسب فى المكان المناسب بالنسبة لفاروق.

* * *

ويجمع على ماهر صفات متعددة، فهو القوى والمحترف والكفء والذكى والمثقف والمتبنى لسياسة القصر الدكتاتورية، حيث سبق له أن دار فى فلك الملك فؤاد، لإيمانه بالسلطة الأوتقراطية، وبالتالى أصبح المخلص الأمين للعرش. وقد وصفته الوثائق الإنجليزية بأنه ذو مقدرة ملحوظة ويميل إلى الدسيسة. ولما كان موضع كراهية من الوفد، فقد اعترض النحاس على التعيين، وكذلك الأمير محمد على، ولم يعبأ فاروق، مصرحا للنحاس بأنه عيَّنه لأنه سبق أن كان محل ثقة لأبيه، وأنه أصبح محل ثقة له وللأمة. وبذلك وضح تأثر الملك الشاب بالملك الراحل. وهكذا أحرز القصر نصرا قويا على الوفد الذى أذعن وتقبل الوضع الذى فرض عليه.

وتتابعت سيطرة القصر، فعندما وقعت أزمة أخرى اختصت بمسألة التعيين فى مجلس الشيوخ بعد خلو معقدين فيه، واختلف الطرفان على من يشغلهما، تمسك القصر بموقفه ولم يتراجع برغم أنه سبق وأعطى الوزارة الحق فى الاختيار.

* * *

وكان من المسلم به أن يتحد القصر مع المعارضة ضد الوفد لحاجة كل منهما إلى الآخر، وأن ينضم إلى هذه القوة الأزهر، ومعروف كيف يتمتع شيخه بالرضا الملكى، وترددت نغمة قبطية الوزارة لوجود مكرم عبيد وواصف بطرس غالى، فكان لها صداها، بعد أن أصبحت أداة فى أيدى أعداء الوفد لمحاربته.

وحاولت السفارة البريطانية تهدئة الموقف، ولكنها فشلت، وأقصى ما نتج عن مساعيها، تأخير الإقالة الملكية للوزارة. ويعلق لامبسون على حدة فاروق وصلابته بأنه يجب ألا يغتر بحب الشعب له. وعرقل الملك أعمال الوزارة، وشكا النحاس للسفير البريطاني الذى وصف ما يقدم عليه فاروق بالتصرفات الطفولية.

واقتربت لحظة الخلاص، بعد أن أثبتت الوقائع أنه غدا من المستحيل وجود تعايش سلمى بين الملك ورئيس حكومته، وذلك بعد تفاقم الخلافات الجوهرية، وأصبحت الإقالة متوقعة. وفى ٣٠ ديسمبر ١٩٣٧ تمت أول إقالة ملكية للوزارة الوفدية فى عهد فاروق، وفاض الأمر الملكى بالعبارات القاسية. وانتهى الصراع مؤقتًا بانتصار الملك فى مطلع عهده، مما كان له الأثر البالغ فى بلورة شخصيته التى انعكست على تصرفاته.

* * *

ولم يتحقق ما كان منتظرا من أن إقالة حزب الأغلبية من الحكم قد تحد من شعبية الملك، إذ تقبل المصريون الأمر بهدوء، ونجح تخطيط القصر فى تجميع حماسة الأمة، وتعبئة عواطفها عندما أعدَّ للاحتفالات بالزفاف الملكى، مستغلا الأحاسيس المتدفقة تجاه فاروق، هادفا إلى تحويل التفكير عن طريقة إسقاط الوزارة.

وتوصلت الصحافة الأجنبية لهذا المغزى، فوصفت التايمز انطباعات طبقات المجتمع على هذه الاحتفالات، وأبرزت ذلك التعلق والارتباط بالملك، وأن ما جرى من خلافات مع وزارة الوفد، لم يترك الأثر فى هذا الشأن، مسجلة مظاهر الفرح التى اقترنت بها حفلات الزواج، وأنها تناقض رأى بعض الدوائر الدبلوماسية، وتنفى الاعتقاد بأن الحملة الوفدية الموجهة ضد الملك، ستنال تأييد الأغلبية الساحقة من الشعب المصرى.

ونشرت الديلى هيرالد أن فاروقا كان ينوى الزواج يوم الاحتفال بعيد ميلاده فى ١١ فبراير، لكنه بعد أن أقال الوزارة النحاسية، أراد أن يزيد محبة الشعب له، فقرر أن تكون هناك فرحتان كبيرتان لأفراح الشعب على حسابه الخاص، فقدم موعد الزواج. وبالفعل عُدَّت لفتة ذكية من راسمى الخطة، وجاء اختيار التوقيت لمصلحة القصر، بعد أن اتجه الناس بعواطفهم ناحيته، وتركوا ما حدث جانبا.

* * *

كان فاروق قد أعلن خطوبته على صافيناز عقب توليه سلطاته الدستورية، وكثيرا ما ردد إعجابه بها، وأنه اختارها ليس لجمالها فقط، وإنما أيضا لعقلها وإنسانيتها. وعُقد القران في ٢٠ يناير ١٩٣٨، واختار الملك اسم فريدة من سجل أبيه لزوجته، وانهمرت على القصر الهدايا، وتألقت الملكة بزيها وماسها. وبدت مصر وكأنها العروس، حيث عمت الفرحة، وانعكست على جميع الوجوه، واحتفلت مشيخة الأزهر بالمناسبة، وأقيمت الصلوات في الكاتدرائيات، وكثرت التبرعات للمحتاجين، ونصبت السرادقات لإطعام الفقراء والمساكين، وأعيد العمال المفصولون، وصدر طابع تذكاري بهذه المناسبة السعيدة، وكأن ما حدث أحيا في النفوس صورة من ليالي ألف ليلة.

وعقب الانتهاء من مراسم العقد، ركب العروسان سيارة مكشوفة، وسار الموكب الملكي في شوارع القاهرة، إذ أراد فاروق أن يقدم فريدته الحسناء للشعب الذي أحبها وقدرها واحترمها، وفي الحين ذاته قدَّر أيضا لمليكه كيف يحمي نفسه بزواجه في هذه السن المبكرة، مما يدل على إيمانه وتقواه. وبطبيعة الحال، فإن ذلك رفع من رصيد توهجه، وتكثف الحب الشعبي للملك، ودخلت معه الملكة. وأقيم الحفل بقصر القبة في المساء، وتجمع الضيوف في الحديقة، حيث الغناء والرقص. وبذلك استطاع فاروق أن ينتصر على غريمه النحاس، ولم يجعل له أي ثغرة ينفذ منها ليحدث رد فعل على الإقالة.

ثالثا - التسلط

مما لا شك فيه أنه بعد إقالة فاروق وزارة الوفد، وارتياحه للرصيد الكبير الذي يدخره له الشعب برغم ما أقدم عليه من إجراء غير دستوري، انفتح له الباب على مصراعيه، ليتصرف وفقا لما يتراءى لمستشاريه - على ماهر وأحمد حسنين - وبرغم أنهما لم يخفيا تنافسهما، فإنهما تمكنا - وكان دور الأول هو الأكبر - من إتقان صناعة الملك الصغير، حيث استمرا في إغرائه بالمزيد من السلطة، ودشَّنا له حكم القصر، بعد أن كاد يفقد السيطرة لصالح الوفد إبان فترة الانتقال بين موت فؤاد وتولى فاروق سلطاته الدستورية. ومنذ الإقالة الملكية، فإن فاروقا تمكن من أن يوجه دفة الحكم عن طريق وزارات تخضع له وتنفذ مشيئته. وتتابعت الوزارات من ٣٠ ديسمبر ١٩٣٧ إلى ٤ فبراير ١٩٤٢: محمد محمود (ثلاث وزارات)، على ماهر، حسن صبري، حسين سري (وزارتان).

* * *

شكَّل محمد محمود وزارته من جميع الأحزاب ماعدا الوفد. وجاء اختياره ليخلف النحاس فى محله، فهو رئيس حزب الأحرار الدستوريين، وزعيم المعارضة فى مجلس النواب، وصاحب الشخصية القوية واليد الحديدية، وقد أنعم عليه الملك بقلادة فؤاد الأول، ليصبح صاحب المقام الرفيع ويتساوى مع النحاس، كما منح بعض الوزراء نيشان النيل، والبعض الآخر رتبة الباشوية.

وتم حل البرلمان ذى الصبغة الوفدية، وزُيِّفت الانتخابات بناء على الإرادة الملكية حتى يستبعد الوفد، وكما يذكر السفير البريطانى لحكومته أنه قد استخدم اسم الملك فى المعركة الانتخابية. وقامت الوزارة بدورها فيما يختص بالدعاية لفاروق، وفى عيد ميلاده لعام ١٩٣٨، ولأول مرة يقوم الطلبة بمسيرة حاملين فيها المشاعل من الجيزة إلى قصر عابدين، وكثرت مظاهرات الحب والولاء للمليك المفدى.

* * *

وسرعان ما حدثت الأزمات، ويشكو محمد محمود للسفير البريطانى من فاروق، ويُبيِّن أن اليد المحركة من ورائه هى على ماهر. وفى ذلك الوقت كان الأخير يسعى لتولى الوزارة. وعمل فاروق على مضايقة محمد محمود، وذلك بعد تقاربه مع كامل البندارى الذى عينه وكيلا للديوان - إذ ظل هذا المنصب خاليا أكثر من اثنتى عشرة سنة - دون علم رئيس الوزراء، فأدرك أن عمر وزارته لن يطول، وذلك ما أكده له فاروق عندما كان فى صحبته لمشاهدة مسرحية «البحث عن الحقيقة» لسليمان نجيب، الذى استدعاه الملك بعد الفصل الأول، وداعبه وسأله: من هو أصلح رجل فى مصر لحكم البلاد؟ فأجابه «أرى أن أصلح رجل هو الذى يحظى بأكبر نصيب من ثقة مولانا». وواضح أنه أراد أن يظهر لرئيس حكومته أنه غير صالح.

وطعن فاروق فى مسألة نزاهة الحكم، ولم يختر رئيس الوزراء أو وزير الخارجية للسفر وتمثيل مصر فى مؤتمر المائدة المستديرة الذى بدأت أعماله بلندن فى ٧ فبراير ١٩٣٩. وتشعبت الخلافات المتعلقة بالتعيينات، ومثل تطبيق الكادر الجديد للجيش أزمة بين الطرفين، وعطل فاروق أوراق الوزارة، وتعددت المواقف التى أذل فيها الملك حكومته.

* * *

واعتمد فاروق على البندارى وكيل ديوانه والقائم بأعمال رئاسته فى أثناء وجود على ماهر فى مؤتمر المائدة المستديرة، وقد قام بدوره فى التأثير على مليكه. وكان يعمل وفق منهج يختلف عن أسلوب رئيس الديوان، فهو متشرب لمبادئ مصر الفتاة، وملأت فكرة الدم الجديد ذهنه، وتحمس لها الملك كنظام جديد، وهى تتناقض مع نمط على ماهر ونظامه التقليدى الذى بدأ ينفر منه.

وأظهرت التقارير أن وكيل الديوان يجتمع ببعض الشباب البارزين من الأحزاب، ويدخل فى عقولهم أن الملك يعتزم إجراء تطور إدارى، وأنه سوف يكون منهم الوزراء، وفى ذلك الأسلوب المغرى لجذبهم وربطهم تماما بفاروق. ونجح الأخير فى إشعال جذوة التنافس بين البندارى وعلى ماهر، ونال الأول الحظوة الملكية، وقد أشار السفير البريطانى إلى الضعف الذى أصاب رئيس الديوان فى أثناء غيابه عن مصر.

* * *

وعبر الأثير، أذيعت الخطبة الملكية فى ٢١ فبراير ١٩٣٩ بمناسبة رأس السنة الهجرية، وتحدث فيها فاروق عن تشبهه بأبيه من حيث إن أحداً لا يستطيع التأثير عليه، إذا تبينً صواب أمر فى صالح الشعب، وأن ثقته بنفسه، وتوكله على ربه يلهمانه تصريف الأمور. ثم نوه إلى الدم الجديد قائلا: «إنى أؤمن، ومر الأيام يؤيد إيمانى، أن شباب مصر المتوثبين للمجد، سيكتبون صفحة خالدة فى تاريخ الوطن، وفى استطاعتهم أن يصنعوا من هذا الوطن العزيز مصر العظيمة المتحدة التى هى آمالنا وأحلامنا، وعلى الشباب وحده تحقيق هذا الحلم». هذه الخطبة التى احتوت على معان جديدة كان لها أكثر من مردود:

الأول، استُقبلت لدى فئات من الشعب بتفاؤل ورؤية مستقبلية، ينطوى تحتها أفول نجم السياسيين القدامى، وتجديد الحياة السياسية على يد الشباب، وبخاصة الذين جذبهم أحمد حسين زعيم مصر الفتاة.

الثانى، إعلام الناس أن القصر هو فاروق وحده، وذلك بعد أن جرى على الألسنة دور رئيس الديوان المتسلط على فاروق.

الثالث، استياء كبار السياسيين، حيث إن النداء موجه ضدهم.

الرابع، وصول الرسالة إلى على ماهر، واهتزاز مركزه.

الخامس والأخير، تبرُّم السفير البريطانى وشكواه لحكومته من أن فاروقا يملؤه الغرور، ويسير على وتيرة ثقته العمياء، وأنه ملك شاب، تنقصه الخبرة إذ لم يبلغ من العمر إلا تسعة عشر عاما.

* * *

مضى فاروق فى تسلطه على الحكم، واستهان بحكومته فى أمور كثيرة، منها حضوره متخفيًا لمجلس النواب مما تسبب فى أزمة مع محمد محمود. وغدت سطوته على السلطة سافرة، ولبس ثوب الكبرياء الذى أعطاه الإحساس بأنه الحاكم الأوحد، وترسب وترسخ هذا الاعتقاد، وراح يستغل شعبيته، متبعًا الطريقة التى تتفق مع اتجاهه، وكتب لامبسون لحكومته فى هذا المعنى، وبأنه - أى الملك - بواسطة شبابه المتدفق، وزواجه الناجح، تمكن من أن يستحوذ على محبة الشعب، الذى لم يظهر أى كراهية أو رد فعل نحو تلك الأسرة الحاكمة الأجنبية.

وكثرت تحركات فاروق بين الشعب، فهو يقوم بالزيارات الفجائية، إذ يذهب إلى المصالح والورش، ويلتقى العمال، ويسعد بالهتافات، ويتردد على الأوبرا ليشاهد المسرحيات، ويفتتح المعارض والمؤتمرات، ويتفقد المستشفيات، ويهب التبرعات، ويقوم بالرحلات إلى أنحاء مصر، وتتعدد جهاتها، إلى الصحراء الغربية، حيث يقدم الهدايا والخلع لرؤساء القبائل، وإلى الوجه القبلى لافتتاح المنشآت الجديدة، ولوضع حجر التعلية لخزان أسوان، ولمنح العطاءات، وإلى الوجه البحرى ليضع الأساس للمشروعات.

* * *

وينتهز شهر رمضان، ويتحدث فى الإذاعة بأسلوب رقيق وناعم، فيجذب الناس له، ويكرر اللقاء نفسه فى عيد توليه السلطات الدستورية، ودائمًا يركز على مسئوليته تجاه شعبه المحبوب وعبء تبعات الملك عليه فى هذه السن المبكرة، والتضحيات التى يقدمها لأداء واجبه، وذلك ليزيد من ارتباط المصريين به، حيث أدرك طبائعهم وطيبتهم، وكيف تأسرهم الكلمات العاطفية التى يكسوها الشجن.

ويُعرب فاروق عن رغبته بألا تقام الزينات بمناسبة عيد الجلوس الملكى، وتنشر الصحافة هباته للفقراء والمحتاجين، وأنها أهم عنده من الاحتفالات، ويُدلى

بالتصريحات التى تتضمن أنه لا يجب أن يمتاز عن رعيته. وهنا تنبرى الأقلام بالإشادة بديمقراطيته. وبذلك أمكن المحافظة على مؤشر التوهج، فى الوقت الذى يهيأ له المناخ لمزيد من ممارسة تسلطه، وتدعيم أسلوب القصر فى الحكم.

* * *

وأحسّ فاروق بالمكاسب الى حصل عليها، وأيقن تماما أن الفضل يعود إلى على ماهر الذى أدى مهمته بجدارة، إذ أعطى للقصر مكانة لها طابعها الجديد، كما شكَّل الملك الشاب، وهيمن عليه، وغرس فيه مبادئه، وأعدَّه ودرَّبه على توسيع حقوقه، وبالتالى سلطته، وحتى عندما حاد عنه مليكه بعض الوقت تمكن من أن يستعيد مكانته بعد عودته من لندن. وهنا كان لابد من وقفة، إذ أراد فاروق أن يتحرر من تبعية على ماهر، بعد أن غدت الأمور مستتبة له، وأنه أصبح بمقدوره تحريك السياسيين وتحديهم، وساعدته الظروف نظرا لتملق ورياء الكثيرين منهم له.

وسنحت الفرصة عقب تقديم محمد محمود استقالة وزارته التى قبلها الملك فى ١٨ أغسطس ١٩٣٩، وقد جاءت بناء على الرغبة الملكية، حينما بعث بها فاروق مع كبير أمنائه فى ١٢ أغسطس إلى رئيس وزرائه الذى كان يقيم بفندق وندسور بالإسكندرية، مبينا أن فى تحقيق ذلك مراعاة لظروفه الصحية.

* * *

وصدر الأمر الملكى لعلى ماهر بتشكيل الوزارة فى ١٨ أغسطس، وضمت المستقلين والسعديين، وارتاح فاروق للشخصيات التى اختارها رئيس الوزراء، وكان الاهتمام منصبا على وزارة الدفاع، نظرا لظروف الحرب الوشيكة، إذ أعطيت لصالح حرب، وتولى عزيز المصرى رئاسة الأركان، ولهذا الأمر مغزاه فيما يتعلق باتجاه الوزارة.

ولم تمض إلا أيام، وقامت الحرب العالمية الثانية فى أول سبتمبر. ولما كان على ماهر يمتلك الذكاء، فقد استطاع أن يجعل رباطه بالملك لا ينفك، فأرضاه وجعل الوزارة طوعا لمشيئته، وبالتالى أصبح مرضيّا عنه. هذا فضلا عن تولى عبد الوهاب طلعت مسئولية وكالة الديوان وهو من رجال على ماهر، ومن ثم حدث الائتلاف المطلوب. وعليه يتبيَّن أنه لم يكن هناك خط ملكى ثابت، إذ كان فاروق يحركه وفقا للمصلحة التى يراها وتقدم خدماتها له، وذلك بعد أن تشرب بالمبادئ التى أهَّلته لتكون له اليد العليا.

وساند رئيس الوزراء الملك فى جميع تصرفاته غير الدستورية، فهو يتنكر ويحضر جلسة مجلس النواب مع كبير ياورانه، ليستمع إلى بيان على ماهر، ويشهد الجلسة وتعليقاتها، وقد عُرفت شخصيته عند انصراف الحاضرين. وتُرجع الصحافة ذلك إلى اهتمامه بشئون مملكته فى ظل الظروف الدقيقة التى تجتازها البلاد.

وامتدت سيطرة فاروق على البرلمان، وزاد امتهانه له حين ضرب بالتقاليد البرلمانية عرض الحائط. فعقب افتتاحه وإلقاء خطبة العرش، ذهبت البعثة البرلمانية إلى القصر لتشكر الملك على افتتاح الدورة البرلمانية كما هو معتاد، فتحدث مع أعضائها بطريقة انتقادية للغاية، وأشارت لهجته إلى أن التأييد الملكى مؤكد لرئيس الوزراء. وسرعان ما حدث التدخل البريطانى، وسقطت الوزارة بناء على ما عرف باسم أزمة يونية.

* * *

وتولت وزارة حسن صبرى فى ٢٧ يونية ١٩٤٠، وجمعت ممثلى مختلف الأحزاب ماعدا الوفد. ومنذ البداية وضح انحرافها مع السياسة البريطانية، مما أقلق فاروقا، فأعلن للوزراء قوله الذى انتشر، وكان له رد فعله على الشعب: «كونوا مصريين، ومصريين قبل كل شىء». وساءت علاقته بحسن صبرى الذى لم يحمل له الحب، ففى حديث له مع أحد المسئولين البريطانيين، صرح بأنه لو استدعى الأمر إبعاد الملك، سوف يتعاون فى العمل على إبحاره.

واستاء فاروق من رئيس وزرائه. فبالإضافة إلى صلته الوثيقة بقصر الدوبارة، فقد أثار أزمة، حيث تضرر من وجود عبد الوهاب طلعت وكيل الديوان ـ وله الصلة بعلى ماهر ـ الذى عينه الملك رئيسا للديوان بالنيابة. ولما كانت الأوضاع قد اختلفت عن أيام النحاس، وقت أن تركت بريطانيا لفاروق التصرف، فإن الأحوال فرضت عليها التصلب فى موقفها، وساندت رئيس الوزراء نظرا لظروف الحرب. ومن هنا خشى فاروق من تدخلها، وعليه استبعد عبد الوهاب طلعت من نيابة الديوان، وتم تعيين أحمد حسنين الأمين الأول للملك رئيسا للديوان فى ٢٧ يولية ١٩٤٠.

* * *

أما عن سبب الاختيار، فمن المعروف أن رئيس الديوان الجديد هو أحد القطبين اللذين احتضنا فاروقا. وقد توطدت صلته به منذ أن صحبه فى رحلته العلمية فى أثناء ولايته

للعهد. وبرغم ما نمى إلى علم الملك عن العلاقة التى ربطت أمه به، فإنه لم يستطع أن يستغنى عنه، حقيقة أن دقة على ماهر فى صناعته كانت على درجة أعلى من المهارة، ولكن كان أيضا لأحمد حسنين أسلوبه المختلف فى النفاذ لفاروق. زد على ذلك، تلك العلاقة التى اتخذت مسلكا طيبًا مع بريطانيا، واتسمت بالود. ومن أجل ذلك كان الملك فى حاجة إليه بعد أن توارى على ماهر عن الساحة ـ بعض الوقت ـ فأصبح لابد من آخر ليقوم بمهامه فى تدعيم النزعة التسلطية على الحكم، وكذلك ليهدئ من الأجواء المتوترة سواء بالنسبة لرئيس الوزراء أم لبريطانيا.

وحرص فاروق على أن تواصل الوزارة مهامها، خوفا من حدوث أزمة تؤدى إلى عودة النحاس، ولكن لم تستمر المصالحة مع رئيس الوزراء وقتًا طويلاً، إذ فارق الحياة فى أثناء إلقائه خطبة العرش.

* * *

تولى حسين سرى الوزارة خلفا لحسن صبرى فى ١٥ نوفمبر ١٩٤٠، وارتكزت على الأحرار الدستوريين، ولم تكن لفاروق يد فى الاختيار، وإنما جرى بتوجيه من رئيس الديوان بناء على مواصفات السفارة البريطانية. وكانت لشخصية رئيس الوزراء طابعها الخاص مع الملك إذ جمعت بين القوة والنسب ـ زوج خالة فريدة ـ وصداقة الإنجليز. وفى البداية حدث بعض التغيير فى تصرفات فاروق، والتى بدا فيها ناعم الملمس، إذ ذكر حسين سرى للسفير البريطانى أنه عندما زاره، وجد لديه القابلية والتفاؤل، لكنه لم يستطع أن يصدر حكما، حيث يعلم جيدًا أنه يظهر غير ما يبطن.

وحاول رئيس الوزراء ورئيس الديوان الضغط على الملك، والتأثير عليه لتقريبه من الحلفاء، وحينئذ وجد فاروق أن يمسك العصاة من الوسط فى ظل ظروف دولية تشير إلى أن بريطانيا تقبض على الزمام، أيضا علَّه يتوصل إلى مزيد من الكسب. ورغبة فى تقوية الوزارة، اتفق على توسيعها، وشكلت الوزارة الجديدة فى ٣١ يوليه ١٩٤١ من الأحرار الدستوريين والسعديين والمستقلين.

* * *

ولم تستمر العلاقة الحسنة بين فاروق ورئيس حكومته، وذلك عندما استعاد على ماهر النفوذ لدى فاروق، وحينما ذهب النحاس إلى قصر رأس التين، بالإضافة إلى الخلافات

التى ماجت بها الوزارة، فضلا عن فشل حسين سرى فى إدارة الأزمة التموينية، فى وقت تأثرت فيه مصر من سوء الأحوال الاقتصادية والاجتماعية.

واقتنص فاروق الفرصة، يدفعه داخله إلى المزيد من تألق نجمه بين الجماهير، فحضر فجأة إلى مجلس الوزراء فى ٢٩ أكتوبر ١٩٤١ ليتناقش مع الوزراء فى التموين والأسعار والغلاء، وكيفية تخفيف المعاناة عن كاهل الشعب، وطالب بتشجيع إنتاج المحصولات الغذائية. ونشرت الصحافة أقواله، والمقصود إظهار تقرب الملك من عامة المصريين، ومهاجمة أصحاب الثروات المتحصلة من ارتفاع أثمان القطن.

كانت هذه الزيارة حدثا فريدا، ودعَّمت أن فاروقا يهوى ممارسة المزيد من السلطة والسيطرة. ويتكرر الأسلوب ذاته، وترحب الصحافة بالخطوات الملكية، وتذكر كيف أن الدستور المصرى يبيح للملك أن يملك ويحكم، وأنه الرئيس الأكبر للهيئة التنفيذية. وكان فى ذلك ما يؤكد أن صاحب الجلالة له السلطة المطلقة من أجل شعبه الذى يشاركه معاناته إبَّان هذه الأزمة، وراح يوبخ رئيس وزرائه، مبيِّنا أنه كان فى زيارة لأحد أصحابه، فلم يجد لديه خبزا، وعلى الفور، أرسل لإحضاره من القصر.

* * *

وحرص فاروق فى أثناء تولى وزارة حسين سرى التى تلقى التأييد والمساندة من قصر الدوبارة، على أن يقصيها جانبا، ويحصل على المزيد من النقاط لصالحه. ومن هنا وجه اهتمامه تجاه العمال، فحينما اطلع على برنامج احتفال قناطر محمد على، ورأى الدعوة مقصورة على كبار الشخصيات، أمر بدعوة ممثلى العمال الذين شاركوا فى البناء، وأنعم على رؤسائهم بأنواط المكافأة، وكانت هذه أول مرة يدعى فيها العمال لحفل رسمى. كذلك فإنه فى مقابلاته مع لامبسون يثير مسألة رفع أجور العمال لتتحقق العدالة ويسود الاستقرار.

ويتحول الملك ناحية الفلاحين، فيصدر أمره بتسليم الاحتياطى من المحصولات الموجود فى مخازن الخاصة الملكية للحكومة لتوزيعه. ويتبرع بألفى جنيه لمشروع الحفاء، ويُبدى تعاطفه مع الفقراء انتهاجا لسياسته، فهو يواسى المهاجرين من الإسكندرية، وعلى نفقته الخاصة يأمر بتوزيع الأطعمة عليهم، ويوسع دائرة الإفطار للفقراء فى شهر رمضان، ويلغى دعوات كبار الشخصيات، ويأمر باختصار ألوان الطعام على الموائد الملكية، ويقوم برحلاته لاستطلاع أحوال السكان فى المناطق النائية، ويوزع عليهم الدقيق.

ولم يكتف بذلك، فقد طلب عن طريق رئيس ديوانه من حسين سرى إعداد مذكرة تفسيرية عن حالة التموين، وما اتخذته الحكومة، وما تنوى القيام بعمله تجاه مساعدة العمال والفلاحين لمواجهة الغلاء، ساعيًا فى ذلك إلى إحراج مركزها، وبيان فشلها فى معالجة الأزمة الاقتصادية. وترصد صحافة الفترة التحركات الملكية، وتتولى التعليق عليها بما يجعل الملك نبع الحنان على شعبه.

* * *

وأصاب فاروق الهدف، وحقق النجاح، وتتبع الناس خطواته باهتمام كبير فى ظل تلك الظروف الاقتصادية الطاحنة، فازداد تعلقهم بمليكهم، فى الوقت الذى نقموا فيه على الوزارة التى نفَّذت الطلبات البريطانية بشأن تموين جيوش الحلفاء. وغذى أحمد حسنين الموقف، وأدى دوره فى هذا الميدان، إذ راح يدلى بتصريحاته الصحفية عن تلك العلاقة الوطيدة التى تربط العرش بالشعب، كما لو كان هناك عقد اجتماعى بين الطرفين.

ويبين رئيس الديوان كيف أن الملك هو حامى الدستور، وسياسته تقوم على أنه للمصريين جميعا، وأن أبواب قصره مفتوحة لهم، وليس له فى الرجال السياسيين خصوم ولا أصدقاء، لأنه فوق الأحزاب، ويتعرض لغيرته الوطنية، وكراهيته للتبعية الأجنبية، وزياراته للأحياء الفقيرة، وانتقاله بين المناطق التى أصابتها الغارات، ومواساة مصابيها، والتبرع لهم. وبذلك أضفى على فاروق الصفات الحيوية التى تجعله مختلفا عن رئيس وزرائه، وتحقق له المزيد من التسلط على الحكم.

* * *

وأراد حسين سرى أن يطعن الملك من الخلف، فيما يتعلق بمسألة العلاقات مع حكومة ڤيشى، وكان السفير البريطانى قد طلب من رئيس الوزراء قطع العلاقات معها لتعاونها مع المحور، فانتهز غياب فاروق فى رحلة بالبحر الأحمر، واتفق مع وزير الخارجية صليب سامى لاتخاذ القرار المضاد للملك، وعليه قرر مجلس الوزراء فى ٦ يناير ١٩٤٢ وقف العلاقات مع تلك الحكومة دون قطعها. وثار فاروق عقب عودته، وعدَّ ما اتخذ تعدِّيا على حقوقه، واستهتارا بمكانته، ودعَّم موقفه على ماهر وعبد الوهاب طلعت. وتصعد الموقف، وحاول رئيس الديوان تهدئته، وفى حديث له مع السفير البريطانى أشار إلى ضعف الوزارة، وأن مصر بأسرها تقف وراء الملك.

واستغل القصر الظروف بتذمر المصريين داخليا، وانتصارات المحور فى الشرق الأقصى وشمال أفريقيا خارجيا، وخرجت مظاهرات الجامعة والأزهر فى أول فبراير ١٩٤٢، لتعبر عن رفضها للحكومة القائمة، وتعاطفها مع المتصرين وبخاصة القائد الألمانى رومل Rommel، وترددت الصيحات «نحن جنودك يا رومل... إلى الأمام يا رومل... يحيا فاروق... يحيا على ماهر... فاروق فوق رأسك يا چورچ... يسقط الإنجليز». واستمرت المظاهرات أيامًا.

وتعددت الأقوال حول الأيدى المحركة لهذه المظاهرات. فالبعض أرجع هذا الاتجاه إلى بريطانيا، لرغبتها فى إسقاط الوزارة، وتنفيذ مآربها. والبعض الآخر رأى أن للوفد يدا فيها لتحقيق الغرض نفسه، بينما صرح حسين سرى فى اجتماع مجلس الوزراء، بأن المدبر لها على ماهر والشيخ المراغى، وأن لديه تقارير تثبت أن اجتماعات عقدت فى عوامة الأخير لهذا الغرض.

* * *

والواقع أن تكاتف الجهود المضادة لرئيس الوزراء والسفارة البريطانية، تلاقت مع ميول فاروق، الذى تعود منذ توليه العرش على المظاهرات والهتافات له، وإن كان قد أدخل عليها هذه المرة اسم القائد الألمانى، وذلك لأن القصر حمل الهوية المحورية، كما تصور كثيرون أنه بانتصار ألمانيا سوف يكون الخلاص من الوجود البريطانى على أرض مصر، وهذا أيضا ما آمن به فاروق.

ولم يتحرك الملك بشأن طلب حسين سرى وقف المظاهرات، وراح يبحث عن رئيس وزراء جديد، فى وقت أصر فيه رئيس الوزراء على استقالة وزارته، وأخطر لامبسون بذلك مصرحًا بأن فاروقا شخصية انفصامية، وتعرض لنفوذ على ماهر، الذى مضى فى التخطيط من جديد لتوجيه دفة الأمور، وما لبث أن تلاحقت الأمور بسرعة، وقدم حسين سرى استقالته فى ٢ فبراير، ووقع حادث ٤ فبراير، ليقصى التسلط الملكى مؤقتا.

رابعًا ـ الطريق إلى أسنَّة الرماح

لم يكن فاروق بغافل عن أن الوفد باق، وأنه حزب الأغلبية، ومن الممكن تحوُّل الدفة الجماهيرية لصالحه فى أى وقت. حقيقة أنه انتصر عليه حين أقاله فى بداية ممارسة حكمه،

ولكن الحزب ظل يحتل موقعه على خريطة سياسة القصر. ومن المؤكد أنه بعد هذه السنوات - أى منذ الإقالة - قد أصبح الملك أكثر قوة، بل وغدا المتحكم فى الوزارات، وصار ذلك واضحا للسياسيين الذين اهتدوا إلى طريقهم وفقا لتحقيق مصالحهم.

ومن المعلوم أن الوفد لم يستسلم برغم ما جرى داخله من انشاقاقات، وما أحرزه الملك من شعبية على حسابه، وما تبدد من توقعاته بشأن حدوث رد فعل جماهيرى على إقالته. وبما أنه صاحب خبرة فى فن السياسة وألاعيبها، ووفقا لظروف الملكية وما طرأ عليها من تغييرات لصالحها اختصت بالقاعدة الشعبية، رأى أن الورقة الرابحة أمام أوتقراطية الملك هى إيجاد نوع من التعاون مع بريطانيا، واختار النغمة التى يعزف بها على وتر انتماء فاروق إلى إيطاليا، ولم تكن الحرب قد بدأت بعد، ولكن هذا الأمر كان عقدة بريطانيا من الملك.

* * *

وعلى جانب آخر، عمل فاروق على الحيلولة دون رجوع الوفد للحكم، وتعدَّدت الإجراءات ضده، وشملت عدم دخول نواب له فى البرلمان، وتقوية جبهة المعارضة ضده، وإلغاء تعيينات كان قد أصدرها، وأصبح الأمر مباراة فى المناوأة بين فاروق والنحاس، وتوالت نقاطها:

الأولى، عندما وقعت «حادثة إسبورتنج»، وتتلخص فى أنه فى أثناء جلوس فاروق بنادى إسبورتنج بالإسكندرية، أطلق الرصاص، وثبت من التحقيق أنه حادث فردى، ولا يُقصد من ورائه ما يمس الملك. وكان النحاس فى ألمانيا، فأرسل برقية إلى الملك يهنئه بسلامته، فلم يتلق الرد عليها.

الثانية، وعقب عودة فاروق إلى القاهرة، لم يذهب النحاس إلى القصر ويقيد اسمه فى سجل التشريفات.

الثالثة، ادعى زعيم الوفد المرض، وتغيب عن التشريفات الخاصة بعيد الفطر، ومولد الأميرة فريال.

الرابعة والأخيرة، أهمل الملك النحاس، فلم يُدع إلى كثير من الدعوات الملكية، وحين يدعى لا يستقبله أحد، ولا يصافح الملك، مما جعله يحتج لدى كبير الأمناء على تلك الإهانة.

ولما كان ذلك يعد أول احتجاج من نوعه فى تاريخ القصر، فقد أحدث رد فعل، وعليه كانت القطيعة بين الطرفين، وأصبحت أسبابها حديث المجتمع.

* * *

وانتهز الأمير محمد على الفرصة، وبخاصة عقب إعلان الحرب، ليحقق حلمه فى الوصول إلى العرش، وبالتالى تحول إلى همزة وصل بين زعيم الوفد والسفير البريطانى ضد فاروق، وذلك فى وقت لعب فيه الوفد لعبته للوصول إلى الحكم، فرسم لنفسه خطة، تمثلت فى إعطاء بريطانيا الإحساس بإمكانية وقوف الوفد أمام سياستها فى هذه الفترة الحرجة من الحرب، وأنه هو المعبِّر عن الأمانى الوطنية للأمة. وكان فى ذلك أيضا ضربة موجهة للملك والمعارضة، ومن ثم قدم النحاس فى أول إبريل ١٩٤٠ مذكرة إلى السفارة البريطانية، تتضمن المطالب الوطنية. وغضب الملك وساءه ذلك التصرف، وهاجم مكرم عبيد، مبينا أن زعيم الوفد يخضع لتأثيره الماكر.

وحينما حدثت أزمة يونية ١٩٤٠ التى انتهت باستقالة وزارة على ماهر، برز النحاس بوصفه زعيما لأقوى حزب. وعندما جرت المشاورات بين فاروق ولامبسون، طلب الأخير استدعاء النحاس لتشكيل الوزارة، ولكن زعيم الوفد رفض أى نوع من الوزارات، سواء أكانت قومية أم محايدة أم وفدية، مصرِّحا بصعوبة العمل مع أدوات الحكم القائمة.

* * *

ولم تستمر الأوضاع على ما هى عليه، إذ أدرك فاروق أن التدخل البريطانى يكاد يصبح سافرا، وبالتالى رأى أن يخفف من غلوائه تجاه الوفد. ومن هذا المنطلق، حدثت بعض المحاولات للتقارب بين القصر والوفد، لكنها فشلت، فقاطع الوفد احتفالات عيد الميلاد الملكى، وامتنع أقطابه عن قيد أسمائهم فى سجل التشريفات. وانزعج فاروق، وقام بالرد، فقلد رئيس حكومته أعلى نيشان ليعطيه لقب صاحب المقام الرفيع، وأنعم بالباشوية على أعضاء وزارته. وعندما أحيل أحد عشر عضوا من مجلس الشيوخ إلى المعاش، عيَّن بدلا منهم، ولم يحصل الوفد إلا على مقعد واحد، وتعددت التصرفات الملكية التى أثارت الوفديين. وبذلك لم يصف الجو، وعاد العداء مرة أخرى ليحكم الارتباط بين الطرفين.

وواصلت سياسة المقاطعة بين الملك والوفد طريقها حتى نهاية أبريل ١٩٤١، حين استدعى الأول زعماء الأحزاب لتوسيع الحكومة، واستقبل كل زعيم على حدة، وكان لقاؤه بالنحاس مرضيا لغرض في نفسه، إذ أراد زيارة سمنود - مسقط رأس النحاس - لافتتاح بعض المنشآت فيها، وخشي من أن يستقبل بفتور إن لم تتخذ إجراءات للمصالحة. معنى هذا أن الهدف المحرك لفاروق والذي وضعه فوق أي اعتبار هو شعبيته.

وتحقق التخطيط، وقام الملك بالزيارة في ٢ مايو، وقوبل بحفاوة بالغة على الأرض الوفدية، والتقى بزعيم الأغلبية، وتحدث معه عما يلقاه من عنت الإنجليز، وسأله هل يقف الوفد بجواره إذا اصطدم يوما بهم، فجاءت إجابته بأنه وجميع الوفديين يفتدون الملك بدمائهم ورقابهم.

وتعددت مظاهر التقارب، حيث أيقن النحاس، وهو السياسي المحنك أنه يمكن الاستفادة من موقف فاروق غير الودي من الإنجليز، وذلك عن طريق خلق مواجهة ضدهم، وبخاصة أن الأوضاع الحربية لم تكن في صالح الحلفاء آنذاك، فيخطب في ٤ أغسطس ١٩٤١ يهاجم السياسة البريطانية في تطبيقها للمعاهدة، وكذلك الوزارة القائمة. ويكتب لامبسون للندن لُيبيِّن أن الزعيم الوفدي يلقى التشجيع من الملك، وأنه حذر القصر من ذلك ولكن دون فائدة، وأرجع إلى على ماهر مسألة هندسة الترويج للتعاون بين القصر والوفد. والواقع أن أحمد حسنين كان صاحب اليد في هذه المسألة.

* * *

وانتاب الخارجية البريطانية القلق، وأعلمت سفيرها الذي أبلغ الملك أنه لا ضمان لاستمرار تأييد الوفد له، وكان أيضا العكس هو الصحيح، فقد استاء فاروق من الصحف الوفدية التي تتتبع خطوات الرئيس الجليل وتشيد به. ووفقا لنفسيته، فإن الأضواء يجب أن تسلط عليه وحده. حدث ذلك في وقت أرَّقه فيه عدم رضا لندن عنه، ومن هنا سفر العداء من جديد.

ومع نهاية عام ١٩٤١ تأزمت الأمور، فقد وجدت بريطانيا أن تعاون حسين سرى معها غير كاف، والوفد يؤجج المشاعر الوطنية ضدها، وانتصارات المحور تدوى، والزحف مستمر على حدود مصر الغربية، والملك يحيك الدسائس ضدها، والأوضاع بصفة عامة تتهاوى. وذلك جميعه يستدعى الاعتماد على زعيم الوفد الذي هو قادر على إمساك

الزمام بيده، لقوة شخصيته، وثقله على الساحة السياسية. ويصرح السكرتير الشرقى بالسفارة البريطانية بأن الوفد تراوده أمنية التدخل البريطانى لاستخدام الضغط الكامل على الملك لعودته للحكم، ويؤيد المسئول البريطانى ذلك على أساس تهدئة المصريين وكبت انفعالاتهم.

وبناءً على ما سبق، قررت لندن اللجوء للنحاس لإنقاذ ما يمكن إنقاذه، لأنه الرجل المناسب فى الوقت المناسب. ولكن كانت القضية الجوهرية ما هو متوقع من جراء تصلب الملك فى رفضه لوزارة وفدية.

* * *

وفى حقيقة الأمر، فقد كان فاروق على يقين من أبعاد الموقف وخطورته، ويغمره الإحساس بأن التهديد آت وقريب، وبرغم ذلك تعنت فى البداية بشأن تكليف النحاس بتشكيل الوزارة، إذ أراد أن يحقق أكثر من هدف:

الأول، أنه ربما يصادفه النجاح، ويُبعد الوفد عن الحكم، وذلك عندما يتكاتف القصر مع باقى الأحزاب.

الثانى، إذا فشل وجاء الوفد بالقوة، فذلك له انعكاساته على شعبية الحزب خاصة وموقف المصريين عامة، وعليه يمكنه توسيع الدائرة الملكية، لينضم إليها الذين ساءهم تصرف زعيم الوفد.

الثالث والأخير، الظهور أمام المحور بالحاكم المناوئ للوجود البريطانى، لما يتفق ذلك مع ميوله.

وسرعان ما تلاحقت الأحداث سريعا، ووقع حادث ٤ فبراير ١٩٤٢، حيث أحاطت الدبابات البريطانية قصر عابدين، وأنذر الملك، ووضع أمامه خياران: إما تشكيل النحاس للوزارة، وإما التنازل عن العرش.

وكانت لحظات عصيبة وحاسمة، والاختيار الثانى له صعوبته على النفس البشرية، وقد يؤخذ به، ولكن لابد من أن يكون الذى اختاره على درجة عالية من التضحية، وذلك لا ينطبق على ملك، له مثل طموحات فاروق، لذا فإنه وافق على الاختيار الأول. وتحققت مقولة أحمد ماهر بأن الوفد جاء إلى الحكم على أسنَّة الرماح البريطانية.

خامساً ـ رد الفعـــل

مثَّل حادث ٤ فبراير صفعة عنيفة موجهة لملك البلاد، وبرغم ذلك فإنه ـ أى الحادث ـ من جانب آخر قد زاد من رصيد فاروق، حيث إن ما حدث لا يمسه وحده، وإنما هو خزى للمصريين جميعهم، إذ أهان الإنجليز رمز مصر، وقبل الوفد هذه الإهانة بصدر رحب للوصول إلى الحكم، ومن ثم أصبح على القصر أن يستغل ذلك جيدا، ويواصل منهجه بشراسة لمحاربة الوفد بكل ما أوتى من قوة وبمختلف الوسائل.

أما عن الوفد، فقد حصَّن مركزه، ولم يحقق الرغبة الملكية فى البرلمان الجديد بشأن الأحزاب. ولما كان فاروق قد أيقن ضرورة إجابة الطلبات البريطانية التى تولى الوفد تلبيتها، فإنه لم يتصلب، وإن شاكس أحيانا وعارض أحيانا أخرى، ووضح الأمر الأخير مع بعض حاشيته الإيطالية.

وبتحكم النحاس فى أمور كثيرة إبَّان الفترة المبكرة من عمر وزارته، رأى فاروق ضرورة الردع الفورى، وكان قد ضاق بتعدد زيارات رئيس الوزراء له، فطلب أن تكون الاتصالات عن طريق رئيس الديوان، كما رفض منح رتبة الباشوية لبعض الوزراء، واستمر النزاع بين الطرفين حول مسألة الرتب والنياشين. وأصبح معلوما أن الملك لن يترك للوزارة الحرية فى البقاء أو الاستقالة، وإنما هو يمهد لإقالتها كما سبق وحدث. وقد أقلق ذلك السفير البريطانى الذى خاطب وزير خارجيته يشرح له الموقف، ويطلب الاستعداد لتأمين الوزارة من مثل ذلك الإجراء، وأن تكون لندن مستعدة للتدخل لصالح الوفد.

* * *

وازدادت الخلافات بين الملك وحكومته، وهنا استرجع القصر الخطوات التى أقدم عليها فى أثناء وزارة ١٩٣٧، والتى اعتمدت على تصدع الوفد من الداخل، وكانت أكبر صفعة حققها هى الاستيلاء على مكرم عبيد، وما نتج عن ذلك من أزمة الكتاب الأسود التى علَّق فاروق عليها الآمال ليقيل الوزارة، ولكنها لم تتحقق، ومع هذا فقد أودى ذلك الكتاب بما كان متبقيا من هيبة الوفد أمام الناس لصالح فاروق، الذى بدا واضحا أمام أعينهم حرصه على إقصاء المفاسد الملتصقة بالوزارة والتى رسمت الوجه المظلم لها، وأكملت دائرة النفور منها، وبخاصة أن طريقة وصولها للحكم هذه المرة ماثلة أمام الأعين.

وقام السفير البريطانى بمجهودات لاستبعاد الإقالة الملكية للوزارة، لما يتعارض ذلك مع المصلحة البريطانية فى ظل الحرب القائمة، وأبدى القصر امتعاضا، ولم يكن يغيب عن ذهنه تنفيذ الرغبة الملكية، وإزاحة عدوه من طريقه، وتلاحقت ترجمة سوء العلاقات، فكاد فاروق أن يقاطع رئيس الوزراء، وكذلك الحال بالنسبة للأخير، وأصبحت أعمال الحكومة على وشك التوقف. ولما كان الملك مغرما بالعناد، فإنه يترك القاهرة ويسافر إلى الإسكندرية، ومن هناك تؤجل موافقاته، وعندما يعود يعترض على بعض الموضوعات المعروضة عليه. ثم يختار الفترة الحرجة، ويقوم برحلة إلى سيناء دون علم حكومته، وهكذا. ولم يكن أمام النحاس إلا أن يشكو مر الشكوى من الملك إلى السفير البريطانى، الذى يرى فى ذلك عاملا خطيرا، يضعف من سلطة الحكومة أمام الرأى العام.

ومع أواخر يونية ١٩٤٢ أصيب الحلفاء، بالهزيمة بسقوط مرسى مطروح، واستمر الزحف الألمانى تجاه الإسكندرية، ورفض فاروق أى انسحاب للجنوب، وفرض على النحاس ذلك الأمر آملا فى أن يعارض، فتكون فرصة الإقالة قد قدمت نفسها، ولكنه لم يظفر بذلك، حيث جاء انتصار الحلفاء على أرض العلمين فى ٢٣ أكتوبر ١٩٤٢، فأفسد التخطيط الملكى.

وتكدَّر فاروق لخطوة الحكومة بشأن اعتراف مصر بالاتحاد السوڤيتى، وإقامة العلاقات معه فى ٢٦ أغسطس ١٩٤٣، ومعروف مدى البغض الذى يكنه للشيوعية، وبالتالى زاد حنقه على النحاس، وأصبحت المقاطعة بينهما أمرا مقضيا.

* * *

واتباعا للمنهج الملكى، كان اللجوء للصحافة لتهيئ للرأى العام أن الإقالة على الأبواب، وتولى الصحفى مصطفى أمين المهمة بناء على تكليف من رئيس الديوان. واستمرت الحملة الصحفية الملكية ضد الوفد، واشتركت فيها مجلات روز اليوسف والاثنين والمصور، ودعت إلى الالتفاف حول الملكية التى هى الدعامة الأساسية للحكم فى مصر. وكان رد فعل الوفد واضحا فيما كتبه طه حسين وتعلَّق بمهاجمة الملك. وبالإضافة إلى ما سطر فى صحافته، فقد تطرق النحاس فى حديثه مع السفير البريطانى عن إمكانية إسقاط فاروق عن عرشه، كما تمت مناقشة هذه المسألة بين الوفديين، واقترنت بإعلان الجمهورية، وأن يكون زعيم الوفد رئيسها، وإن كان ذلك جزءا من مناورة، وردا

على تنظيم الحرس الحديدى الذى أعدَّه القصر لينتقم من أعدائه، ودخل تحته النحاس ورجاله، وبخاصة أن أمين عثمان صرح للسفير البريطانى بأن النحاس لا يرحب بذلك.

والسؤال الذى يطرح نفسه: هل كانت الظروف تسمح بإسقاط النظام الملكى وإقامة النظام الجمهورى؟ الواقع أن الظروف فى هذا الوقت كانت تختلف تماما عنها بعد حوالى عشر سنوات، لأنه من المسلَّم به أن مسألة الرغبة فى عزل فاروق قد جمعت الوفد والإنجليز. ولم تشر الوثائق البريطانية إلى نظام آخر غير الملكية، وكانت لندن فى أثناء غضبها على فاروق تفتح دفاترها الخاصة بالأسرة العلوية لتبحث عن بديل، فضلا عن أن ظروف الحرب لم تكن تتوافق مع تغيير النظام القائم.

* * *

احتلت مسألة توسيع القاعدة الشعبية لفاروق مكانتها فى القصر، وذلك استمرارا للمنهج الملكى. وكانت الفرصة مواتية كلية، فحادث ٤ فبراير قد أدمى قلوب المصريين، فتم استغلاله تماما لصالح فاروق الذى أراد أن يبدو بمظهر المعتدى عليه، وبالفعل كسب الشفقة والمزيد من الحب. وجاءت مناسبة عيد ميلاده بعد الحادث مباشرة، لتتوهج فيها المشاعر، حيث توافدت وتلاحقت مظاهرات الولاء على قصر عابدين، تلك التى لم يسبق لها مثيل منذ اعتلائه العرش.

ورد فاروق على ذلك برسالة، عبَّر فيها عن فرحته، ورغبته فى مصافحة كل فرد حضر يهنئه بعيد ميلاده، وأعلن أنه سيبذل ما فى طاقته لإسعاد بلاده، وختم بقوله إن الملك لا يستمد سعادته من انتشار ظله على الأرض، ولكن يستمدها من تمكين محبته فى قلوب شعبه. وتكرر هذا، وصادفه الملك فى كل زيارة يقوم بها، وفى كل صلاة جمعة يؤديها.

وبعد أن كانت الملكية تتهم الوفد بأنه نصير الأقباط، سلك فاروق منهجا فى هذا الشأن، فبالإضافة إلى استحواذه على مكرم عبيد، رجل الوفد القوى، أراد أن يكتسب محبتهم، فهو يقوم بزيارة دير سانت كاترين ويتبرع له، وتتردد التصريحات بأن الدين لله والوطن للجميع، وأيضا مليكه للجميع. ويستاء السفير البريطانى من ذلك، ويشكو لحكومته من أن الملك يؤدى دور الحامى للأقلية المسيحية.

* * *

وبرعت الصحافة فى دورها، وأعطت الصورة الجميلة لفاروق، والتى تحمل كل

المعانى، وبخاصة المعنوية التى تعمل على المزيد من التصاقه بالشعب. وجُنِّدت آخر ساعة المصورة لأحاديث أحمد حسنين، فالملك يعلم كل صغيرة وكبيرة فى إدارة شئون الدولة، لدرجة أنه حين مثل بين يديه أحد المستشارين، أعلن عن رغبته فى ضرورة سرعة البت فى القضايا الجنائية المتزايدة، وهو يرتدى الصناعة المصرية، ويهتم بالقراءة، ويتشوق لمعرفة المبتكرات العلمية، ويقوم بالزيارات المفاجئة للمستشفيات ليواسى المرضى، ويحرص على أن تكون جولاته داخل البلاد سرّا ليتعرف على أحوال الفقراء، لذا فإنه يخرج متخفيا، ويمشى على قدميه، ويركب «الحنطور» ويتسامر مع سائقه، وأنه فى تلك التنقلات لا يصطحب معه إلا خدمه، لأنه يخشى إذا رافقه كبار رجال القصر، يفقد لذة التواضع والبساطة.

وتُتابع الصحافة تحركاته، وتظهره بالشخصية الوطنية، فهو يشارك شعبه آلامه، حيث يزور بسيارته بعض الأماكن التى نُكبت بالإسكندرية من جراء الغارات عليها، ويعايش العمال الذين يرفعون الأنقاض، ويتبرع للمستشفيات، ويزور المتاحف، ويشيد ببنك مصر وأنه فتح حسابا لابنته فيه. وكثرت القصص التى تضفى عليه البطولة، والتقطتها كاميرات الصحافة، وأصبحت ورقة رابحة للقصر ضد الوفد.

* * *

وصُوِّب نظر القصر للطلبة، ووضع الأسس لوأد نشاط الوفديين منهم. وفى حقيقة الأمر، فإن الطلبة الذين يُشكِّلون دعامة مهمة فى الحركة الوطنية، انتابتهم مشاعر امتهان الكرامة المصرية نتيجة حادث ٤ فبراير، فاستغل القصر ذلك، وتصادف أن وقت افتتاح جامعة فاروق الأول (الإسكندرية) قد حان، فاهتم فاروق، وحرص على حضوره، ومنحته الجامعة الدكتوراه الفخرية، وقام بإهدائها مجموعة من الكتب. وما لبث أن استن سنة اللقاء بطلبة الجامعة والمعاهد والأزهر والكلية الحربية فى نهاية العام الدراسى، حيث يوجه إليهم رسالة حب، ويوزع عليهم صورته موقعا عليها. ويصف السفير البريطانى كيلرن Killearn لحكومته هذا اللقاء، وكيف كان يتسبب فى إثارة الحكومة، نظرا للمنافسة بينها وبين القصر من أجل اكتساب ولاء الشعب.

ورأى فاروق أن طريق الاهتمام بالرياضة هو الموصل الجيد للشباب، فراح يشجعها، ويحضر مبارياتها، ويوزع الجوائز على متفوقيها، ويتردد على النادى الأهلى، وكان ذلك

مدخلا له اعتباره فى الصورة التى أرادها القصر، وقد نقلتها الصحافة، مستخدمة وسائل الإيضاح الجذَّابة.

وتفوَّق رئيس الديوان على ما أقدم عليه الوفد من خطوات مماثلة فى تعبئة الطلبة، وانجلى ذلك يوم عيد الجلوس الملكى عام ١٩٤٣، وفى المأدبة الرمضانية التى أقامها القصر. أيضا يبعث فاروق مندوبه ليشارك فى إحياء الذكرى السنوية للجارحى شهيد الجامعة، ليثبت للطلبة تأييده للمواقف البطولية، مما أثار السفير البريطانى، فبين لأحمد حسنين أن الإقدام على مثل تلك الأعمال ليس من الحكمة، ويدل على الغباء.

* * *

وبجوار الطلبة، كان هناك ضلع ثان، اهتم القصر به لإتقان صناعته، وهو العمال، وبخاصة أن الوفد له باع فى أوساطهم، وبالذات فإنهم إبَّان هذه الفترة عانوا من الظروف الاقتصادية والاجتماعية الصعبة. وهنا دخل القصر فى منافسة مع الوفد لاجتذابهم له، ففتح أبوابه لاستقبال الأعداد الكبيرة منهم، والتقاهم فاروق فى ١٢ سبتمبر ١٩٤٣، وتحدث إليهم قائلا: «إنه كان يود دعوة العمال جميعا، لولا أن القصر لا يتسع لهم». وعندئذ سمع الكلمات التى تسعده ويتوق إليها، إذ علت الهتافات لتصفه بأنه نصير العمال، وبأنهم جنود الملك، وخدَّام العرش.

ووُجهت الدعوات الملكية لعمال الإسكندرية، فتوافدوا على قصر رأس التين. كما حرص القصر على أن يمثَّل العمال فى الولائم التى كان يقيمها. ولم يكن الملك يرغب فى دعوة العمال الوفديين حتى لا يلحق اسم النحاس باسمه فى الهتافات، وقد جرت محاولات لاستقطابهم، لكنها فشلت، ومن ثم أسقطوا من القائمة الملكية.

وانتقل فاروق للعمال فى مصانعهم، وتعدَّدت زياراته لشركة مصر للغزل والنسج بكفر الدوار، ومثيلتها فى المحلة الكبرى، وأدار الحوار معهم، وأوصى بالاهتمام بهم، فى المأكل والملبس والعلاج وتعليم الأبناء، وتبرع بمبلغ من المال لهم. واتسعت لقاءاته العمالية، فيذهب إلى منطقة القناة، وإلى القصير، ليلتقى هناك مع عمال المناجم، وعندما تعلو هتافاتهم له، يستخدم حركاته، ويطلب منهم الكف عن ذلك، مبينا أن عملهم هو أعظم هتاف له.

* * *

وجسمت الصحافة هذه الوقائع، حتى المعتدلة منها تذكر تبسُّطه وتلطُّفه مع العمال، وتحدُّثه فى مشكلاتهم، وإعطاءه المنح لمن يتعرضون منهم لظروف صعبة. ويلتقط القائم بالأعمال البريطانى الصورة، وينقلها لحكومته، ويوضح كيف أن الصحافة تتشدق بديمقراطية فاروق، وأن ما يُقدم عليه العمال إنما هو تعبير عن ولائهم للملك. ويُصرح مراسل وكالة تاس السوفيتية فى القاهرة، بأن فاروقا يعد أول حاكم يفتح أبواب قصره للشعب.

ومما يُسجَّل أنه عندما طرحت قضايا الإصلاح الاجتماعى على الساحة، استفسر فاروق عن القوانين الخاصة بالتأمينات الاجتماعية وما يشابهها. ففى لقاء له مع وزير الدفاع النيوزيلاندى، والذى حضره السفير البريطانى، سأل الوزير عن نظام المعاشات الخاصة بالعمال، وكيفية تطبيقها فى بلده، وينقل لامبسون لحكومته الاهتمام الملكى بذلك، ولكنه فى الوقت نفسه يفطن إلى أن الخوض فى مثل هذه الإصلاحات يجذب الطبقة العاملة للقصر على حساب الوفد.

ولكن هل كان فاروق ينوى الإقدام على الإصلاح؟

حقيقة أن هناك وزارة للشئون الاجتماعية تأسست عام ١٩٣٩ «لإصلاح شئون الأمة» كما ورد فى تشكيل على ماهر لوزارته، لكنها كانت ذات صلاحية محددة. ولعل فاروقا تطرق إلى مسألة إصلاح أحوال العمال، ليس فقط كما حلَّل السفير البريطانى، وإنما أيضا ليظهر أمام بريطانيا باستعداده للإقدام على ذلك، حيث وجد منها الميول فى هذا الاتجاه. بالإضافة إلى أنه عن طريق الحديث حوله، ربما يبعد التوجهات الشيوعية التى يخشاها. وبالتالى، فإن ما يُقدم عليه لم يكن نابعا من مبادئ يعتنقها، لتعارض ذلك مع النظام القائم فى مصر، والذى كان من أبرز سماته سوء توزيع الثروات.

* * *

الضلع الثالث للمنظومة الملكية، تمثَّل فى الفلاحين، فوضعوا على خريطة البرنامج، إذ رغب فاروق فى الكيد لرئيس حكومته، وذلك بأن يجعل له مآثر تتردد على الألسنة، يظهر فيها أنه يشعر بضيق فلاحى مزارعه، حتى ينظر إليه على أنه سيد رحيم، ويعلو مؤثر شعبيته بين الناس. ففى سبتمبر ١٩٤٢ يأمر بتخفيض إيجارات أرضه، ويصدر تعليماته إلى مستأجريه لتخفيض الإيجارات على من يستأجر منهم بالنسبة نفسها، وأن يكون قمح

أرضه تحت تصرف الحكومة للمساهمة فى حل أزمة التموين. ويناقش مشروع مكافحة الأمية بين فلاحى مزارعه على نفقته الخاصة. ونقلت الصحافة هذا الاتجاه، وعلقت عليه. كما صرح به فاروق إلى رئيس الوزراء البريطانى إبان مقابلة جمعتهما، وذلك بعد أن بين له الأخير الواجبات الملقاه على الحاكم فيما يختص بالإصلاح الاجتماعى للفلاحين.

وتتردد النغمة بشأن المشروعات التى تعود على الفقراء والمساكين بالمساعدة. وينتهز الملك المناسبات ليأمر بتقديم الطعام وتوزيع المؤن والملابس على نفقته الخاصة، ويطبّق الأسلوب ذاته فى أثناء تنقلاته، فى كل مكان ترسو عليه رحلته، حيث يوزع الشاى والسكر والدقيق على المحتاجين فى المناطق النائية.

* * *

ولم يُسقط القصر من حساباته احتضان المعارضات للوفد، فينعم الملك على هدى شعراوى بنيشان الكمال، ولها موقفها العدائى من الإنجليز والوفد، وثارت ثائرة النحاس لذلك، وذكر بأن فاروقا ليس له الحق فى تكريم امرأة معروف عنها أنها طابور خامس. أيضا استمر الود الملكى قائمًا مع صفية زغلول. ونزلت الملكة فريدة التى أحبها المصريون إلى الميدان، وقدَّمت تبرعاتها للمطاعم الشعبية ليأكل الفقراء، وقامت بزيارات لها، ونجحت تماما فى منافسة زينب هانم الوكيل زوجة النحاس التى أكثرت من تحركاتها فى المجتمع، وذلك بعد أن أصبح الفساد الذى أسهمت فيه علامة بارزة لكل شاهد عيان.

وبلغت دعاية القصر أقصى درجاتها، ولما كان أحمد حسنين بارعا فى إخراج السيناريوهات، فقد أنعم عليه الملك بقلادة فؤاد الأول ليصبح صاحب المقام الرفيع، شأنه فى ذلك شأن النحاس، وذلك لتشجيعه على الاستمرار فى سياسته الناجحة.

* * *

من المؤكد أن ما حصل عليه فاروق من تأييد، جعله يتفوَّق بجدارة على حزب الأغلبية، وقد أسهم الحزب بنصيب وافر فى هذا الأمر، نظرا لما أصابه من تغييرات فى أثناء هذه الفترة، إذ خضع لملابسات لم تكن من سماته فيما سبق، فكثرت نقاط ضعفه، وأصبح من السهل مهاجمته بالحجة والدليل، مثلما فعل مكرم عبيد، وبالتالى قُدِّم ذلك

جميعه هدية إلى فاروق الذى استغله بكفاءة، بعد أن اتسعت دائرة المناوئين للوفد لتضم شرائح مختلفة، دخل تحتها الجيش والبوليس، لأنها وجدت فى فاروق التعويض، ومن هذا المنطلق، بلغت شعبيته عنان السماء.

وتجلى ذلك جيدا عندما أصيب الملك فى حادث القصَّاصين على طريق الإسماعيلية فى ١٥ نوفمبر ١٩٤٣ فى أثناء سفره بسيارته المرسيدس التى أهداها له هتلر، حيث صدمته سيارة لورى خاصة بالجيش البريطانى، ونقل على أثر الحادث إلى مستشفى عسكرى بريطانى، وأجريت له الإسعافات، وبرغم أن الحالة لم تكن تستدعى البقاء فى المستشفى، فإنه فضَّل البقاء. وكان ذلك وفقا لهدف تمثَّل فى تصعيد التأييد الشعبى له، وقد تحقق. ويصف السفير البريطانى كيف ماج ميدان عابدين بجماهير الطلبة الذين كانوا قد تركوا فصولهم قبل الحادث بيومين، وقاموا بالمظاهرات ضد فرنسا لموقفها من لبنان، وأنه بمجرد إذاعة نبإ الحادث، تحولت مظاهراتهم على الفور إلى ولاء وإخلاص للجالس على العرش. وفى هذا ما يدل على المرتبة التى وصل إليها فاروق.

وتوافدت الجموع على قصر عابدين، وسافرت الوفود إلى القصاصين، وجندت الصحافة أقلامها، فصورت الازدحام والتلهف على معرفة أخبار صحة الملك. ونُظِّمت حركة التنقلات، وخُفِّضت أجور السكة الحديد. وقد أفاض كيلرن فى وصفه لما يحدث، مؤكدا على النجاح الذى أحرزه القصر، وأنه أصبح فى إمكانه تنظيم مظاهرات فى مناطق كانت قاصرة على استخدام الوفد لها، تلك التى اختصت بالسكة الحديد والترسانة والمطابع، وكيف عبَّر عمالها عن لهفتهم. ويُحلِّل السفير البريطانى ذلك، بأنه يدل على ذلك الحب الذى استحوذ عليه فاروق.

* * *

وخرج فاروق من المستشفى قاصدا قصر القبة، ومنها استقل سيارة مكشوفة حتى قصر عابدين، واستقبل استقبالا شعبيا حارًا على طول الطريق، لم يستشف منه أى تصنع كما يُسجِّل السفير البريطانى. ونُظمت الاحتفالات التى شارك فيها الجيش، وراح الملك يستقبل وفود المهنئين، وشكل فيها الطلبة والعمال الثقل، ويعلِّق كيلرن على ما يحدث بأنه يبرهن على أن القصر اكتسب الثقة الكبيرة من الشعب. واتسع نطاق التهانى ليشمل عيد ميلاد الأميرة فادية الذى تصادف حلوله مع هذه المناسبة.

ولم ترحب الوزارة بذلك. وكما يذكر السفير البريطانى، فإنها حاولت أن تجبر المتظاهرين الذين توافدوا تجاه القصر على الهتاف للنحاس فى أثناء مرورهم على مقر رئاسة الوزراء، ولكنها فشلت، وأحبطت أيضا مجهودات البوليس فى إرجاعهم عن طريقهم. والواقع أن كيلرن كان محايدا عندما نقل ما رآه بعينيه من تعبير صادق، دلَّ على النقاط الكثيرة التى أحرزها الملك لصالحه.

* * *

وعلت نغمة الدعاية الملكية بهذه المناسبة، فكثرت التبرعات، وأُطعم الفقراء، وانتشرت المهرجانات، وأقيمت صلوات الشكر لله على نجاة فاروق، وعمَّت الفرحة الشعب. وتكليلا لذلك تمت إذاعة بيان للملك ليرد التحية للمصريين، واختار الكلمات الدافئة والحنونة والمعبِّرة عن العواطف والمؤجَّجة للمشاعر. ومما قاله: «وأنتم يا أبناء شعبى، لكم بعد الله حمدى وحبى... إن الحادث الذى وقع علمنى أن تعلقى بكم لا يعدله إلا تعلقكم بى».

وتسبب هذا الحادث فى المزيد من العداء للنحاس، حتى لقد صرح فاروق لأحد المقربين له أن مما زاده ألمًا فى أثناء الحادث أنه قد يموت وزعيم الوفد فى رئاسة الوزراء. ولم يسمح له بالزيارة إلا دقائق معدودة، وبعد اليوم السادس من الحادث، بينما دعا زعماء المعارضة للاجتماع به لمناقشة الموقف السياسى، والاتفاق على تقديم عريضة لمؤتمر الحلفاء الذى عقد بالقاهرة فى أواخر نوفمبر ١٩٤٣ تحمل المطالب الوطنية.

وبذلك يحتل حادث القصَّاصين آخر مكان فى القمة التى توصل إليها فاروق منذ اعتلائه العرش، أى طوال فترة سبع سنوات، استغلها القصر تماما فى نسج خيوط شعبية الملك الشاب، ولكن إحقاقا للحق، فإن المصريين من جانبهم ترجموا بصدق عما تحمله قلوبهم من حب تجاه فاروق، ومن هنا تلاقى الطرفان حتى تمكنا من الصعود إلى القمة. وبالطبع لم يكن الوصول لها سهلا، كذلك فإن التربع عليها، والاستمرار فوقها هو الأصعب، وذلك ما فشل فيه فاروق.

* * *

وتلاحقت الأزمات، واتسعت الهوة بين الملك ورئيس حكومته، وحاول السفير البريطانى إصلاح ذات البين، ونجح أحيانا، وفشل أحيانا أخرى. ولم تكن خطوة

للتقارب تتم إلا ويقابلها خطوة أكبر للتباعد. وفى ذلك الوقت كانت السياسة البريطانية تتفق مع استمرارية الصراع بين القصر والوفد حتى لا يتحدا ضدها، واستخدمت أحمد حسنين بين الحين والآخر لوقف أى بادرة تبشر بالتعاون، وذلك من وراء ستار، برغم علمها أنه من الصعب اللقاء بينهما، لكنها كما وضح، حافظت على الشكل الخارجى.

وأعطى الفساد الذى عمَّت أصداؤه، والتصرفات غير الكيِّسة للوزارة، الفرصة الذهبية لفاروق كى يهاجمها. وضح ذلك عندما انتشرت الملاريا فى بداية عام ١٩٤٤ بصعيد مصر، وفشلت الحكومة فى إنقاذ الموقف. وهنا تحرك فاروق، ليظهر أمام الرأى العام بأنه مُخلِّص المصريين من أزماتهم، واختار يوم عيد ميلاده، وقام بزيارة مفاجئة للوجه القبلى، ولعبت الصحافة الموالية للقصر والمعتدلة دورها، وأظهرت الملك بصورة الغيور على شعبه، وتتبعت خطواته فى تقديم المساعدة لأهل الصعيد، واهتمامه بدراسة التقارير عن الحالات الحرجة، وتوزيع المعونات، وزيارة المرضى، ومقولته الشهيرة التى انتشرت ترددت بأنه لا يستطيع الاحتفال بعيد ميلاده، وشعبه فى الجنوب يعانى ويتألم، وأن وجوده وسطه خير عنده من أى احتفال.

وينقل السفير البريطانى لحكومته التحركات الملكية، ويشير إلى مغزاها المعنوى، مبينا أنه بينما تهمل الحكومة مواساة رعاياها، الذين يقاسون أسوأ الظروف الحالكة، فإن الملك يبدو وكأنه المهتم الوحيد بهم، وبذلك أصابت الضربة الهدف، أى تحقق ما سعى إليه فاروق.

* * *

وازداد الهجوم المتبادل بين العدوين، خصوصا بعد أن قام النحاس بزيارة المناطق المنكوبة بالصعيد، وأصبحت الإقالة الملكية للوزارة متوقعة بين الحين والآخر. وتحدث فاروق مع السفير البريطانى فى هذا الشأن، ولكن لندن رفضت التغيير، لأن حكومة الوفد تقدم المساعدات لبريطانيا وتعمل على تنفيذ المعاهدة.

واستمرت المناوأة فى طريقها، ويقوم فاروق بجولاته المعتادة، فيقصد بنك مصر، ويتدخل فى النشاطات التجارية له، وذلك ردّا على ما قام به أمين عثمان من انتقادات تخص إدارة البنك. ويُقدم النحاس على اعتقال مكرم عبيد، ليحرم الملك من وقفته بجانبه بعد أن أسقط عضويته النيابية. ومضى يتحدى، فعلى سبيل المثال، يتغيب عن حضور المناسبات الملكية دون اعتذار. وتتكرر الوقائع المماثلة، وبلغت الكراهية ذروتها، وفُقد

الأمل فى أى وفاق. وواصلت دعاية القصر العاصفة نشاطها ضد الوفد، فهى تتحدث عن الفساد والمحسوبية والاستغلال الذى يقوم به أقطاب الوفد، وقد أدلت المعارضة بدلوها فى تلك الحرب.

* * *

وجاءت أزمة لافتات جامع عمرو لتشعل الموقف، فقد أخطر كبير الأمناء النحاس بأن الملك سوف يؤدى صلاة الجمعة الأخيرة من رمضان فى هذا الجامع، ولم توجه لرئيس الوزراء الدعوة. وعلم فاروق قبل الموعد أن هناك لافتات فى الطريق إلى الجامع مكتوبا عليها «يعيش الملك فاروق... يعيش النحاس»، فأمر بإزالتها. وعدَّ مدير الأمن العام أن ما أبلغ به رسالة وليس أمرا، فتركها كما هى، وبالتالى وجدها فاروق عند ذهابه، فأمر مرة أخرى بإزالتها، فنفَّذ مدير الأمن هذه المرة، فما كان من وزير الداخلية إلا أن أوقفه عن العمل، وتحولَّت المسألة إلى أزمة سياسية، وتدخلت السفارة البريطانية، وتصلب النحاس، وبيَّن أن فاروقا تعدى سلطاته الدستورية. وأعطى القصر الحكومة مهلة لإعادة مدير الأمن، ورد النحاس على ذلك بتصرفات أهمل فيها الملك كلية. وأصبح من المستحيل أن يكون هناك أى وفاق بين الطرفين.

* * *

وكان مؤشر الإقالة مرتبطا ببريطانيا التى رأت أن الظروف تغيرت فى ذلك الوقت. فالحرب على وشك الانتهاء، والنصر فى جانب الحلفاء، والموقف العسكرى استقر فى الشرق الأوسط بعد أن بعد الخطر، والوزارة الوفدية أدت مهمتها بنجاح، وكيلرن الذى يفضل الوفد دائمًا فى إجازة وبعيدا عن مصر. ذلك جميعه جعل لندن لا تتشبث ببقاء الوزارة، لأنها خشيت من أن يطالبها رئيسها برد الجميل لقبوله وزارة ٤ فبراير على أسنَّة الرماح البريطانية، ولما قدمه لها من مساعدات فى أثناء الحرب، فإذا ماطلت، فسوف تثير الوزارة الجماهير ضدها، وهى أصبحت فى حاجة ماسة لفترة هدوء عقب أهوال الحرب. وكان أمرا طبيعيا أن يتوقع زعيم الوفد ذلك، ولذا سجَّل موقفه المضاد منها، وطالب بتعديل المعاهدة، وضرورة المحافظة على حقوق مصر فى السودان.

* * *

وأعدَّ القصر عدته للإقالة، واتخذ قراره يوم ٥ أكتوبر ١٩٤٤، وأحيط الأمر

بالكتمان، مثلما حدث فى الإقالة السابقة، وذلك حتى لا يعطى فاروق النحاس فرصة الاستقالة. وبرغم إدراك رئيس الوزراء هذا الأمر، فإنه أرجأها لما بعد ٧ أكتوبر، وهو يوم الاحتفال بتوقيع ميثاق جامعة الدول العربية، حتى يرتبط اسمه بالحدث. وفى اليوم التالى، قرر النحاس دعوة مجلس الوزراء فى المساء لتقديم الاستقالة، ولكن لم يُمكِّنه فاروق، فقبل الموعد بساعتين تمت الإقالة الملكية الثانية للوزارة الوفدية. واحتوت سطور الأمر الملكى على ما يفيد بفشلها فى الحكم.

وبرغم أن ما أقدم عليه الملك هو إجراء غير دستورى، فإنه لم يلق أى معارضة، حيث وردت التقارير من القناصل البريطانيين فى المديريات، تذكر أن هذا التصرف قوبل بالارتياح، نظرا لفساد الإدارة الوفدية الذى وصل إلى درجة كبيرة، وكذلك لعجزها عن معالجة الأوضاع، وبخاصة الاقتصادية. وسعد فاروق بهذا اليوم كثيرا، إذ كان ينتظره بفارغ الصبر، وسيطرت عليه نشوة الانتصار على عدوه اللدود.

سادسًا ـ الاستقطاب

مع الظروف الجديدة التى هيأت لفاروق اعتلاء العرش فى ظل ذلك القبول والترحيب والفرحة والمباركة، كان لابد من تفعيل الأدوار حتى تفى بتحقيق الأهداف التى وضعها القصر أمام عينيه. وأصبح الأمر المعروض يتمثَّل فى اتجاهين يخدم كل منهما الآخر: الأول، التصدى لحزب الأغلبية الذى سبق وثبت أنه لا يُهْزَم لما لديه من إمكانات. والثانى، أن تتوهَّج شعبية الملك، ويكتسح الأجواء، ويقف على أرض صلبة، ويغدو معبود المصريين، وذلك من خلال قنوات متعددة. وتحقيقا للتنفيذ، وضع القصر نظرية الاستقطاب التى قصد من ورائها السيطرة على المعارضة للوفد ـ سواء أكانت أحزابا أم جماعات أم أفرادا ـ وفقا لمسالك، أهمها الإغراءات السياسية.

* * *

واحتل حزب الأحرار الدستوريين الصدارة فى هذا الشأن، ولذا بدأ تحركه مبكرا، واستخدم أداته التى تمثلت فى صحيفة السياسة جيداً، فهى تتابع خطوات فاروق، وتظهره بصورة الحاكم المثالى. حقيقة أن هناك لقطات واقعية، لكن الصحيفة أضفت على كتاباتها الدعاية الكاملة التى تخدم سياسة القائمين عليها. كما حدث نوع من التضارب والخلط فيما يتصل بحقوق العرش وسلطة الأمة. ووفقًا لما عبَّرت عنه، فإن رؤيتها كانت مشوشة،

وغير مكتملة لمفهوم سلطات الملك، وما يتبعها من حقوق، فتارة الملك يملك ولا يحكم، وتارة أخرى تلبسه ثوب الأوتقراطية، وبالتالي فإنه يملك ويحكم. ومن خلال الأزمات كان التأييد للعدوان الملكى على الدستور.

ورحَّب القصر وشجع، ونجح فى تخطيطه. فبجوار صحافة الحزب، استخدم نوابه فى البرلمان أداة لتحقيق أغراضه، وربطت المصلحة بين الطرفين. ومن ثم مضى التعاون بينهما فى طريقه، وقرَّب الملك محمد محمود رئيس الحزب، الذى عَدَّ ذلك المؤشر للوثوب إلى الوزارة، وقد حدث ذلك بالفعل بعد الإقالة الملكية الأولى للوزارة الوفدية. ولكن عندما ساءت العلاقات بين الملك ورئيس حكومته، سقطت الوزارة.

وانقلب محمد محمود على فاروق، وفتح الخط مع الإنجليز مصرحًا للسفير البريطانى بأنه لا أمل لتحسين العلاقات مع بريطانيا طالما ظل فاروق جالسا على العرش، ونعته بالصفات السيئة، وبين خطورته، وشدد على موقفه تجاه المحور، وأنه فى الإمكان إحلال الأمير محمد على مكانه، وبوفاة الأخير تتخلص مصر من الأسرة الملكية الفاسدة. ومن المعلوم أن الحزب أثناء تلك الفترة تعرض لخلافات داخلية أمكن للقصر الاستفادة منها، وفى الوقت ذاته انتقل محمد محمود إلى رحمة الله.

ويتولى محمد حسين هيكل مهام الحزب بصفته النائب لرئيسه فى ٢٥ نوفمبر ١٩٤١، حرص كل الحرص على الرضا الملكى، يدفعه التطلع للسلطة والتشوق للمزيد منها. واتضحت لباقته فى أثناء المقابلة الملكية التى دعيت إليها الأحزاب قبيل حادث ٤ فبراير مباشرة عندما دار الحديث عن الوزارة القومية. وقد نجح الملك فى استقطاب واستغلال الأحرار الدستوريين فى القيام بدور مضاد أمام الوزارة الوفدية حتى إقالتها.

* * *

وتمكن القصر بمهارة من استثمار انشقاق النقراشى وأحمد ماهر عن الوفد، واستقطابهما له، وهما من أقطاب الحزب، ولهما المكانة والتقدير. وعقب انفصالهما أسسا الهيئة السعدية مع بداية عام ١٩٣٨، ودخلا فى شبه تحالف مع الأحرار الدستوريين، وسبحا مع تيار القصر. ووفقا للبرنامج الملكى، شمل فاروق السعديين برعايته، فهو يساند مرشحيهم فى الانتخابات، ويشركهم فى الوزارة، ويعلن تأييده عمليا برفع الستار عن تمثال سعد زغلول، ويأمر بإقامة مقصورة خاصة لصفية زغلول، وانتهز فرصة انقلابها على النحاس لصالحه، وأثمر ذلك النتيجة المرجوة.

واحتفظ السعديون بمكانتهم لدى الملك، وكان لهم الموقف المؤيد والمساند له فى أثناء حادث ٤ فبراير بمناشدة النحاس رفض تشكيل الوزارة بناء على الإنذار البريطانى. وأسهموا فى المعارضة ضد الوفد التى تزعمها أحمد ماهر، حيث راح يخطب ضد الإنجليز، ويضفى البطولة على الملك، الذى حفَّزه وشجعه واعتمد عليه، واستمد منه التوجيهات بشأن الإطاحة بوزارة الوفد. ويستمر أحمد ماهر فى بذل الجهد لتحقيق غاية الملك، فيهاجم الأحكام العرفية، والرقابة على المطبوعات، ويشترك فى المذكرة التى قُدِّمت لمؤتمر الحلفاء، وذلك بناء على التوجيهات الملكية.

ويذكر كيلرن لحكومته أنه فى صيف ١٩٤٤ اشترك أحمد ماهر مع رئيس الديوان فى التخطيط لإقصاء الحزب الحاكم، ثم يُعرِّج على صفات الرئيس السعدى الدكتاتورية، وما يتفق ذلك مع الطريق الملكى. وبالفعل نجحت الخطة بإقالة الوزارة.

* * *

ولم يكن للحزب الوطنى الوزن الثقيل على الساحة السياسية آنذاك، ومع هذا تقرب القصر منه لكسبه بجوار الملكية. ووفقا لرؤية تفضيل الوزارات الائتلافية المساندة للملكية، اشترك فيها، كما انضم رئيسه حافظ رمضان لرؤساء الأحزاب فى أثناء مناقشات أزمة حادث ٤ فبراير. أيضا أسهم فى مذكرات المعارضة التى تضمنت مطالب مصر الوطنية. ولكن من الملاحظ أن نشاطه كان محدودا، وقد أولاه فاروق اهتماما سطحيا، فعلى سبيل المثال، يفرج عن تمثال مصطفى كامل الذى أقيم فى ميدان الملكة فريدة، ويزيح الستار عنه، ويستفسر عن صحة فكرى أباظة. ومن الواضح أن استقطاب القصر له لم يكن قويا، نظرا لقلة حيلته، وضعف حجته فى التأثير على الرأى العام الذى يسعى فاروق للسيطرة عليه.

* * *

وكان أهم استقطاب أقدم عليه القصر، ومثل لطمة شديدة للوفد، ورُسم بذكاء متميز ودقة متناهية، هو استقطاب ركيزة أساسية فى حزب الأغلبية، إذ استطاع أن يتغلغل فى أعماقه، ويستولى على المجاهد الكبير مكرم عبيد سكرتير عام الوفد ووزير المالية، ولم يكن أحد يتصور أن ينشق هذا الوفدى الأصيل عن حزبه.

ولكن فى أعقاب حادث ٤ فبراير، سعى فاروق بكل الطرق للانتقام من النحاس،

وكان المخطط والمنفِّذ أحمد حسنين، الذى أجاد التصرف، بعد وعده لجلالته بأنه سوف ينتقم مما لحق به من إهانة. ومما يذكر أن القصر أدخل أيضًا فى خطته - بجوار مكرم عبيد - استقطاب أمين عثمان ومحمود سليمان غنام وعلى العرابى، حتى يتهاوى هيكل الوفد، ويصبح آيلا للسقوط، ولكنه أرجأ هذه الخطوة بعض الوقت، فضلا عن أنه لم يجد التشجيع منهم.

وغدت أكبر صفقة للقصر انتزاع مكرم عبيد من أحضان حزبه، حيث وجده أهم الشخصيات الواردة فى حساباته. ولم تستغرق العملية وقتا طويلا، وبدأت بمقابلة ملكية بعد أسابيع قليلة من تشكيل الوزارة، وتمت دون أن يستأذن وزير المالية من رئيس الوزراء. ومما زاد الموقف حرجا، تلك التصريحات التى أشاد فيها بالملك، ووصفه إياه بأنه واسع الاطلاع، ودقيق النظر، وصاحب خبرة نادرة، وديمقراطية سمحة.

وبطبيعة الحال، كانت هناك الأسباب التى جعلت مكرم عبيد يقدم على ذلك، تلك التى اختصت بما طرأ على الوفد فى هذه الفترة، وبالذات ما يتعلق بتحكم زوجة النحاس وفؤاد سراج الدين وزير الزراعة فى شئون الوفد بصفة عامة، والضغط على النحاس لتنفيذ مآربهما بصفة خاصة.

* * *

واستغل القصر الظروف، وبناء على توجيهاته، عكف المنشق الكبير مكرم عبيد على تجميع الوثائق والمستندات والمعلومات، ووضع يده على أنواع الفساد الذى استشرى فى الوفد إبان سوء الحالة الاقتصادية والمعاناة التى يعيشها الشعب. ومضى يُسجِّل ما يجده خاصا بفضائح زوجة النحاس وعائلتها وبعض من أعضاء الوفد. وتضخمت صفحات الاتهامات، وتحولت إلى كتاب نعت بالأسود. واختتم مكرم عبيد ما سطره بنداء للملك لإنقاذ مصر بإقالة الوزارة القائمة، وتعيين هيئة قانونية لفحص الإجراءات غير الشرعية المنسوبة إليها.

وشغف فاروق بالكتاب، واهتم بمتابعة طباعته، وأودعت النسخة المخطوطة منه، والمرفوعة للملك وملاحقها الوثائقية فى إحدى خزائن قصر عابدين، وحدد تاريخ ٣١ مارس ١٩٤٣ لتوزيعها الذى تم وفقا للخطة المعدة، تلك الخطة التى حرصت منذ البداية على أن تُتَّخَذ جميع الخطوات السابقة بكل دقة وحرص، لتبعد الشبهات وبخاصة الرقابة العسكرية.

وتحركت المعارضة كما رُسم لها، تطالب الملك بالتحقيق فيما ورد بالكتاب، ومحاسبة المتسببين والمتسيبين، واتخاذ الإجراءات التى تجعل رعاياه يعيشون فى سلام مع حكومة شريفة وعادلة. وبعد أن أحال القصر الكتاب للوزارة للرد عليه، بطرح سؤال عنه فى مجلس الشيوخ وأخذ ثقة الأغلبية، تطورت الأمور، ثم ما لبث أن قدم مكرم عبيد استجوابه بشأن الاتهامات المسجَّلة. وسعد فاروق بهذا العمل، وعَدَّه السلاح القوى للإطاحة بغريمه، ولكن النحاس كان قد رتب أموره، وحازت وزارته على الثقة.

وبرغم أن الوزارة لم تسقط، فإن ارتباط فاروق بمكرم عبيد ظل قائما، وأسس الأخير حزب الكتلة الوفدية عام ١٩٤٣، والذى تَوَّج به العهد الملكى صناعة الأحزاب، وكانت له سماته التى اختلفت عما سبقه. ويعلق السفير البريطانى على الحزب بأنه فى خدمة الملك، وهو يحاول فك الارتباط بين الطرفين، وأنه التقى فاروقا، وبيَّن له أن مكرم عبيد فى أثناء شغله للوزارة كان يتكلم بسوء عن العرش، وأنه ذو اتجاه جمهورى لينفِّره منه، ولكن فاروقا يدرك الهدف، فيذكر له أنه يعرف نيَّته جيدا، ويتقبله بقبول حسن. ومضى مكرم عبيد فى حملته الضارية ضد الوفد وللصالح الملكى، فاعتقلته الحكومة، ولكنها سرعان ما سقطت، وخرج من معتقله ليبدأ من جديد.

* * *

ونحا القصر منحى آخر، إذ أردف مع الأحزاب أصحاب الاتجاه الأيديولوچى، وأدخلهم تحت الاستقطاب، وتمثلوا فى جماعتى الإخوان المسلمين ومصر الفتاة، لما لهما من وجود يتسم بالحركة والنشاط فى الشارع المصرى، أيضا فقد ارتبطتا بالدور الإسلامى الذى أعدَّ للملك، وبذلك اختلفتا عن بقية الأحزاب.

ولما كانت جماعة الإخوان المسلمين تشغل المساحة الكبيرة على الساحة، فقد أولاها على ماهر اهتمامه، ووجه دفَّتها لخدمة الأغراض الملكية، بالإضافة إلى المهمة الدينية التى أعد لها السياسى الماكر للملك الجديد، فيما يتعلق بالخلافة الإسلامية. وذلك فى وقت كانت الجماعة على درجة من التفوق فى الإعداد والتنظيم والسلوك والقوة عن جماعة مصر الفتاة. وعملا على تحقيق المصلحة المشتركة التى جمعت جماعة الإخوان المسلمين مع القصر، جرت الصلات، فالوفد هو العدو، وإعلاء كلمة الدين هو الهدف، وإن اختلفت نيَّة كل طرف عن الآخر.

واستطاعت السياسة الماهرية أن تثمر ثمارها، وبخاصة أن الجماعة توسمت فى الملك الشاب الذى استحوذ على أفئدة المصريين أن الخير جميعه سيكون مع مقدمه وعلى يديه. وبدأت التحركات بالكلمة المكتوبة، وعدت صحيفة الجماعة «جريدة الإخوان المسلمين» الأداة الجيدة الموصلة للمعانى المقصودة، حيث ألقى على عاتقها تعبئة الرأى العام فى الاتجاه المرسوم، فتُسطِّر أن الأسباب التى أدت إلى حب الجماهير الجارف لفاروق هى غيرته على الدين، وأنه أصبح المثل الأعلى للشباب، وتأتى بالقصص عن بعضهم الذى سبق وأن حاد عن الطريق المستقيم، لكنه أمام ما وجده من مليكه، عاد إليه رشده، وسلك مسلكه. وتتغنى الصحيفة بصفاته، وأن ما يتمتع به ينبئ بأن يظلِّل التاج المصرى يوما، الأمم العربية والأعجمية، ويستعيد به الإسلام مجده.

وانبرى قلم المرشد العام حسن البنا يشيد بالملك المسلم، الذى هو حامى المصحف، وكيف أنه ينبذ المعتقدات البالية، ويتسلح بالقرآن الكريم الذى ضمه إلى قلبه ومزج به روحه، وأنه بمسلكه القويم يضمن «ولاء أربعمائة مليون مسلم فى آفاق الأرض، تشرئب أعناقهم وتهفو أرواحهم إلى الملك، الذى يبايعهم على أن يكون حامى المصحف، فيبايعونه على أن يموتوا بين يديه جنودا للمصحف».

ومن اللافت للنظر أن مثل هذه الدعاية قد بدأت قبل أن يتولى الملك سلطاته الدستورية. ومع احتفالات هذه المناسبة، قامت الجماعة بنشاط فائق، وصدرت أوامر المرشد العام لفرقته العسكرية بالتوجه إلى قصر عابدين، لمبايعة الملك المعظم على كتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ، وتكررت المبايعة نفسها فى عيد الجلوس الملكى.

* * *

وتوثقت الصلة بين الطرفين، ومضت أهداف القصر تتحقق، فوقفت الجماعة بجواره فى أزماته مع الوفد، وهنا أدرك فاروق الأهمية الكبيرة لها، فالتصق بها حتى بعد الإقالة الملكية الأولى للوزارة الوفدية. وأعجبه طرق تعبيرها عن الولاء والمجاملة، فعلى سبيل المثال حينما تُعلن عن أنها تطعم الفقراء حتى يستجدوا للملك رضا الله عنه. وقد مضت على الدرب نفسه عندما ساءت علاقته بوزارة محمد محمود، وأيدت تولى على ماهر الوزارة، وصرحت بأن السبيل للحكم الملكى الصالح إلغاء الأحزاب، ورفع المرشد العام عريضة للملك يشير فيها إلى أن مصر زعيمة العالم الإسلامى، وعليه لابد من أن تكون القدوة، وأن الإسلام لا يعرف الفرقة، ولا يقر الخصومة والتمزق. ويستشهد بالآيات القرآنية والأحاديث

النبوية الشريفة. معنى هذا أن أيديولوچية الجماعة لا تقر النظام البرلمانى، وبالطبع وجد ذلك الهوى لدى فاروق، لما له من قضاء على مبادئ حزب الوفد.

* * *

وتلاحق صحيفة النذير خطوات فاروق، وكيف أنه يسعى إلى إحياء سنن الخلفاء الراشدين، ويقتفى أثر خطاهم. ويصدر مكتب الإرشاد العام أمره إلى جميع فروع الأقاليم، ليصطف الأعضاء بأعلامهم وجوالتهم على المحطات التى يقف عليها القطار الملكى لتحية فاروق.

وحاول حسن البنا استغلال الظروف، والحصول على المقابل، فيرفع إلى فاروق صورة من المظاهر القائمة فى مصر والتى لا تتفق مع الإسلام من بؤر الخمر، ودور الفجور، وصالات الرقص، وأندية السباق، والمرأة السافرة المتبرجة، وأن حدود الله معطلة، ويطلب منه أن يصدر أمرا ملكيا بألا يكون فى مصر المسلمة، إلا ما يتفق مع الإسلام «وأن الجنود على تمام الأهبة، وأن الكتائب معبأة، وقد طال أمد الانتظار».

ولم ينفِّذ فاروق، ولكنه ضمن ولاء الجماعة. ومع تولى على ماهر الوزارة، حركها - أى الجماعة - وفقا لمشيئة القصر، وقد جمعتها الميول المحورية معه، ولم تنقطع مظاهراتها المؤيدة والمساندة لفاروق على أرض مصر جميعها، فابتهج بتحركاتهم، وبخاصة عقب التصريحات التى أدلى بها حسن البنا وآزرته فى موقفه من الحرب، وسجَّلها فى مذكرة رفعها لرئيس الوزراء، يطالبه بألا تتورط الحكومة فى إعلان الحرب، وأن مصر زعيمة الإسلام، وإمامة المسلمين.

* * *

واستمر الحال على هذا المنوال مع وزارة حسن صبرى، وواصل القصر إمداد الجماعة بالإعانات المالية التى ظهرت بوضوح مع عام ١٩٤٠. وبرغم الإجراءات التى اتخذها حسين سرى ضدها عام ١٩٤١ بناء على الضغوط البريطانية، فإن فاروقا تدخل ليخفف من غلواء تلك الإجراءات، نظرا لاعتماده عليها. فحين نقلت نظارة المعارف العمومية حسن البنا إلى الصعيد، أعاده الملك للقاهرة، ليترجم سياسته، وسرعان ما استعادت الجماعة نشاطها.

ومع حادث ٤ فبراير واستخدام القصر له ضد الوفد، جاء الاعتماد بشكل مكثف على الجماعة التى واصلت سياستها ليس فقط ضد الوفد، وإنما أيضا ضد بريطانيا. ويشكو

لامبسون للندن مما تقوم به، ويبرز تشجيع القصر لها، وقد انجلى ذلك مع تقدم الألمان على حدود مصر الغربية.

وعندما انعطف حسن البنا قليلا تجاه الوفد، الذى حاول من جهته استقطابه ـ باستخدام الأسلوب الملكى نفسه ـ وذلك بتنازله عن ترشيح نفسه لعضوية مجلس النواب، مقابل بعض المصالح، أوقف الملك ما كان يقدمه من أموال للجماعة، وتقلصت علاقته بها. ولكن حرصا من المرشد العام على أن تعود المياه إلى مجاريها، عادت مسألة إضفاء المسحة الدينية على فاروق فى صحيفة الجماعة، وأصبح غلافها محجوزا لصورته، مرة وهو فى يده المسبحة، وأخرى وهو ملتح وغيرها. وتواصلت سياسة الإطناب على أسرة محمد على.

* * *

وفى أعقاب حادث القصاصين، يقوم المرشد العام بالتنظيم الجماهيرى، ليعبر عن الأفراح بنجاة ملك البلاد، ويذهب على رأس وفد إليه، ويأمر بأن تنقل الوفود من شُعب الإخوان فى الأقاليم تصحبهم فرق الجوالة إلى هناك، وذلك ليبرهن على أنه المخلص الأمين للفاروق. وإبان أزمة ملاريا الصعيد يتحول الملك إلى البطل الذى يواسى المنكوبين، ويزور الفقراء والمعدمين، ويقدم على أعمال السلف الصالح. وبرغم مبدإ الجماعة آنذاك بأن العرش هو الثابت، والحكومات هى المتغيرة، فإن المصلحة حركتها، ذلك عندما حاول النحاس مرة أخرى استمالة حسن البنا، وبمجرد أن تبيَّن لفاروق هذا الأمر، انقلب على عقبيه تلك المرة، وسحب على الفور الامتيازات التى كان يغدقها على الجماعة.

* * *

كانت جماعة مصر الفتاة برئاسة أحمد حسين الجناح الآخر الذى رأى فيه فاروق وحواريوه الديماجوجية المطلوبة لتحقيق سياستهم، ورحب رئيس مصر الفتاة بالدور الذى أسند إليه، لما يتفق ذلك مع تكوينه. وكانت أولى خطواته أن حوَّل الجماعة إلى حزب وفقا لمفهومه وقواعده. وقد ربطته العلاقة القوية بعلى ماهر، وعليه بدأ نشاطه منذ فترة الوصاية، وبرع فى استخدام فرق القمصان الخضراء التى شكَّلها من الشباب، وقامت بالعمليات الاستعراضية، مما أقلق لامبسون وشكا لحكومته من هذا الأسلوب.

ومجَّد الحزب الملك الشاب، وعدَّه أمل المستقبل، وصوَّب سهامه ضد الوفد، وتولت صحيفة مصر الفتاة المهمة بنجاح، بالإضافة إلى الترجمة العملية الخاصة بنزول الرئيس

والأعضاء إلى الشوارع، والمظاهرات التى نظموها، والحماسة المتقدة التى أسعدت فاروقا، إذ وجد أن ما يحدث يختلف عن النماذج الحزبية القائمة. ورأى أن مكونات هذا الحزب واتجاهاته تتفق مع ميوله، وأنه يحمل طابعًا جديدًا، ومن ثم استحسن تصرفاته، ولم ينتقد تنظيمه، مثلما فعل مع فرق القمصان الزرقاء الوفدية. والواقع أنه قد حدث تلاق بين أيديولوچية مصر الفتاة المستمدة من فاشستية إيطاليا، والنزوع الملكى الإيطالى.

* * *

وتُرجم التعاون بين الطرفين لصالح فاروق ضد الوفد. وحينما وقعت محاولة اغتيال النحاس فى ٢٨ نوفمبر ١٩٣٧ على يد أحد أعضاء مصر الفتاة، فتحت الوزارة المعتقلات لأصحاب القمصان الخضراء. ولكن لم يستمر الأمر طويلا، إذ أقيلت الوزارة، وبرغم ذلك فقد واصل أحمد حسين العمل ضد الوفد. وتعقد مصر الفتاة المقارنة بين فاروق والإمبراطور الألمانى وليم الثانى، وبين النحاس وبسمارك، وكيف أن الأخير، وهو رجل الجيل القديم ترك الميدان للدم الجديد، ومكث فى منزله.

وترددَت مقولة أهمية الشباب والدم الجديد، لما يتفق ذلك مع تطلعات الملك الشاب، ومن هنا وكَّل فاروق زعيم مصر الفتاة فى الدفاع عن الحقوق الملكية، وفقا لرؤيتهما المشتركة. ووصل الأمر لدرجة أن أحمد حسين أضفى القدسية على مليكه، وذكر أنه خليفة الله على الأرض، لأنه اختاره لصلاحه وعدله، ليحكم باسمه، ويتصرف وفق إرادته.

وذهب رئيس مصر الفتاة إلى القول بأن الدكتاتورية الحكيمة هى الديمقراطية النافعة، ويسوق أمثلة تقرب المليك لشعبه، فإنه يؤدى فريضة الجمعة فى مساجد صغيرة، لا تصلها السيارة الملكية إلا بجهد كبير لأنها تسير فى أزقة ضيقة، ويصف شعور الناس الذين عاشوا زمنا طويلا لا يرون فيه وجه المأمور، فإذا هم يرون الملك يسعى إليهم، وأن هذا السلوك هو اقتداء بالأوائل الصالحين. وانتشى فاروق لهذا الاتجاه، وأصبح أسيرا له، بعد أن أصبحت مصر الفتاة من بين المواد الأولية التى دخلت فى صناعة الملك الإسلامية.

* * *

وركزت مصر الفتاة على التعانق بين الإسلام والملكية، فتصرح بأن الدين والولاء للعرش ضروريان للحياة الصالحة فى مصر، وأن مشروع الإمبراطورية المصرية هو أن يصبح الملك على رأس الخلافة، وأن تزوج الأميرات المصريات من أمراء وملوك عرب. وعلى هذا النمط روَّجت مصر الفتاة لفاروق.

وتلقى أحمد حسين المعونات المالية من القصر، واستند على ثنائى على ماهر والبندارى، وذلك بعد أن صار الأخير وكيلا للديوان، ولكن عندما حدث خلاف بينهما، انحازت مصر الفتاة للبندارى وفقا لاتجاه فاروق الذى تشرَّب مسألة الدم الجديد، وحينما عزف عن وكيل الديوان، سايره أحمد حسين، ولكنه خسر بخروج البندارى من القصر، وعاد وهاجم على ماهر وقت أن أدار له الملك ظهره بعض الوقت.

ومما لا شك فيه أن تطلع مصر الفتاة للسلطة ـ شأنها فى ذلك شأن جماعة الإخوان المسلمين وباقى الأحزاب ـ كان مسيطرا على زعيمها، حيث تكشفت أطماعه فى تولى الوزارة، فيعود وئامه مع على ماهر بعد تشكيله للوزارة وامتلاكه للسلطة وعودة الرضا الملكى إليه. ويسعد فاروق بما يقدمه له أحمد حسين، خصوصا مع ارتفاع حدة النبرة الإسلامية التى انبرى فيها لينافس جماعة الإخوان المسلمين، فدعا لإنشاء حزب الخلافة بزعامة الملك، أيضًا تبنى وروَّج لمسألة تجنيب مصر ويلات الحرب، وفى ذلك ما يتفق مع موقف فاروق.

* * *

ولم يكن ما يقوم به زعيم مصر الفتاة ليتواكب مع قصر الدوبارة، فيكتب السفير البريطانى لوزير خارجيته ليبلغه بأن مصر الفتاة مستمرة فى العمل ضد بريطانيا، وأنها تلقى التشجيع من القصر. وبضغط من لندن صفى حسين سرى الحزب، واعتقل أعضاءه، وألغى صحيفته، وغادر رئيسه مصر، ولكن ما لبث أن عاد له النشاط مرة أخرى مع عام ١٩٤٤، واحتضن القصر أحمد حسين، وراح يوزع المنشورات ضد الوزارة الوفدية، كما رجعت صحيفة مصر الفتاة إلى سيرتها الأولى، فهى تعقد المقارنة بين فاروق وأشهر فراعنة مصر، وتسترسل فى كيفية أنه يوجه عنايته للفئات العاملة والطبقة الفقيرة، وكانت فى كل صفحة. لابد أن تركز على دور الشباب لخدمة ملكهم الشاب.

وبصفة عامة، فقد تمكن فاروق من تحقيق سياسته بكفاءة واقتدار بفضل المقربين له، وذلك فيما يختص بالتوسع فى استقطاب أعداء الوفد، ليس فقط لمحاربته، ولكن أيضا لأسباب أخرى تتعلق بكيانه.

سابعًا ـ الزعامة

وضعت سياسة القصر نصب عينيها الأزهر، الذى شغل مساحة لها ثقلها فى

التخطيط، لما له من تأثير داخلى ومكانة خارجية. ولم يكن ذلك بجديد مع عهد فاروق، وإنما مستمد من عهد أبيه، وله المواقف فيما يختص بالاتجاه الإسلامى، وكان دستور ١٩٢٣ هو جواز المرور لذلك، إذ أعطى للسلطة الملكية السيطرة على الأزهر، وذلك عن طريق التحكم فى تعييناته وبالذات شيخه، وبالتالى أصبح الأخير المفتاح لتنفيذ خطة الصانع الأول على ماهر.

وجد على ماهر ضالته المنشودة فى الشيخ المراغى لشخصيته القوية والقيادية من ناحية، ولتمتعه برضا بريطانيا، فهى تعده رجلا محترما، وذا صفات كاملة، وثاقب النظر من ناحية أخرى. أما عنه، فقد رأى أنه حان الوقت مع هذا العهد الجديد كى تكون لمصر الزعامة الإسلامية، ومن ثم يستحوذ على المكانة، وعليه سوف يسعده أن تولد هذه الزعامة على يديه فى ظل ملكية شابة، لها تطلعاتها وطموحاتها. وتلاقى الطرفان من أجل تحقيق الهدف، وذلك بالتعاون مع الجماعتين الأيديولوچيتين، الإخوان المسلمين ومصر الفتاة.

* * *

واستطاع القائمون على الأمر إجادة تشكيل فاروق إبَّان هذه الفترة، حيث بداية التفتح والتألق، والاستعداد لتقمص كل ما يضفى المزيد من السلطة والأبهة على صاحب الجلالة، بعد امتلاكه السلطتين الدنيوية والدينية، وأن تطبق عليه نظرية التفويض الإلهى. وجاءت أولى الخطوات مع مسألة حفل التتويج، ولكن حكومة الوفد وقفت أمام التنفيذ، وأقصت ذلك الاتجاه جانبا، إذ من المعروف أن الوفد يفصل الدين عن السياسة.

ولم يؤثر ذلك فى مهندسى السياسة، الذين مضوا قدما فى تنفيذ مشروعهم. وتنقل لنا الصحافة الصورة الحية لكثرة خطا الملك الصالح إلى المساجد الكبيرة، وكذلك الصغيرة التى تقع فى الأحياء الشعبية بصحبة الشيخ المراغى، ووضعه لحجر الأساس للمساجد الجديدة، وافتتاحه للأخرى بعد إصلاحها.

* * *

والواقع أن فاروقا كان يقابل باحتفاء شديد، وحب جارف من الناس، لم يكن التخطيط له يد فيه، فالمصريون بطبيعتهم متدينون، وعندما يجدون حاكمهم ملتزمًا، وقريبًا منهم، وتغمره نفس مشاعرهم، وبخاصة أنه شاب فى مقتبل العمر، مشرق وسمح

ومبتسم، وتتضح عليه علامات الإيمان، فإن الإسلام بخير، وأن المستقبل باهر أمام مليكهم، لأن الله سينصر الإسلام والمسلمين على يديه.

وتم استغلال هذه المشاعر تماما، وألقيت على فاروق الدروس فيما يجب أن يقوله، وما يفعله، مما جعل الناس ينبهرون به. فعلى سبيل المثال، يطلب من حراسه أن يؤدوا الصلاة معه مبيّنا أن الله هو الحارس، ويقدم التبرعات لخدمة المساجد، ويخلع على أئمتها «الشيلان الكشمير»، ويرفض أن تفرش له سجادة خاصة ليصلى عليها. ووصل الأمر إلى أنه حتى فى أثناء رحلته الثقافية إلى أوربا، ترد الأخبار إلى مصر، بأنه يصلى فى المساجد هناك، وذلك كى لا تغيب صورته الورعة عن الذهن.

* * *

وشارك فاروق فى الاحتفالات الدينية، ولها المكانة المتميزة لدى المصريين، وبالذات مناسبة مولد النبى صلى الله عليه وسلم، حيث يستقبل أهل الطرق الصوفية، ويستمع إلى تلاوة القصة النبوية الشريفة بساحة المولد بالعباسية، وكذلك يشارك فى احتفالات ليلة الإسراء والمعراج، وليلة النصف من شعبان، وليلة القدر، ورأس السنة الهجرية.

وكان من بين الحركات التى استخدمها فاروق أن يتخفى عند ذهابه إلى بعض المساجد، مثلما حدث فى احتفال أقيم بمسجد أبى العلاء، وكان بصحبة أحمد حسنين، وسرعان ما عُرف، فأحاط به الناس، ووجد من القبول ما لم يجده حاكم من قبل.

أما عن شهر رمضان، فقد بلغت فيه الدعاية للملك أقصاها، فاستُنت سنَّة الموائد الملكية، ودُعى إليها ممثلو الشعب للإفطار مع فاروق، كذلك أصبحت الدروس الدينية علامة بارزة لهذا الشهر فى مختلف المساجد، وتولى إعدادها الشيخ المراغى، وحضرها الملك بانتظام، وطالب بالتوسع فيها ليحضرها الشعب.

* * *

ومثَّلت الأحاديث الإذاعية لفاروق قناة اتصال جيدة، تلك التى اشتملت على كلمات التقوى والفضيلة، وقد مالت أحيانا تجاه السياسة، ولم تكن الحكومة تعلم عنها أى شىء.
كما أصبح للمصحف أهمية بالغة، إذ وضعه فى جيبه، وعلى مائدته، وطلب أن يستخدم مع تأدية اليمين للمستشارين، وكثرت أقواله عن فضل التبرُّك به. أيضا كان للمسبحة

مكانتها ومكانها، حيث حرص على أن تكون بين أصابعه. ولما كانت المنشآت الدينية لها الأهمية لديه، فقد أولى الأزهر عنايته من حيث المبانى والأثاث. وأخيرا، فقد أدت مسألة تبرعات فاروق المالية والعينية للمساجد والجمعيات الخيرية والفقراء ومصابى الحوادث دورا مهما فى تكملة البانوراما التى رسمها ثنائى ماهر - المراغى. وقد حمد المصريون لفاروق تلك الأعمال التى أضفت عليه المزيد من التوهج، وترددت دعواتهم له بأن يحفظه الله ويرعاه ويجعله ذخرا لمصر.

* * *

ألقيت على الشيخ المراغى مهمة أخرى غير إعداد الملك، تمثَّلت فى خطبه وأحاديثه ودروسه التى نشرتها الصحافة، إذ تجلى فى أوصاف فاروق الكاملة التى تدور فى دائرة غيرته على الإسلام، وكيف أنه سمىّ للفاروق عمر بن الخطاب فى صفاته التى فصلها كل واحدة على حدة: العدل، السماحة، الديمقراطية. ونجح فى ذلك، وتمكن من أسر الملك، الذى عشق السباحة مع هذا التيار. ورأى لامبسون أن الشيخ المراغى هو المسئول عن اتجاهات فاروق الدينية، وأنه أصبحت له المكانة لدى تلميذه الصغير.

كذلك كانت من مهمات الشيخ المراغى تحريك طلبة الأزهر للصالح الملكى ضد معارضيه، وبالذات الوفد، وغدت المظاهرة سمة بارزة لتأييد فاروق، الملك المؤمن الورع التقى، والهجوم على النحاس وإشهار سلاح الدين ضده.

* * *

وآتت الأصداء الخارجية أكلها، فتنقل الصحافة مثول زعيم مسلمى الصين بين يدى الملك، وتقديمه الهدايا، وما سطرته صحف الشرق الأقصى عن إيمانه وإبدائه العطف على أبناء المسلمين فى بقاع الأرض. ويمكن القول إنه مثلما حظى فاروق بمكانة إسلامية داخل مصر، فقد نال إعجاب المسلمين فى الخارج. ومما يذكر أنه عندما سافر إلى بريطانيا عقب توليه العرش، أرادت الجالية الإسلامية هناك أن تحتفل به، ولكن الخارجية البريطانية وضعت فى حسبانها الملك عبد العزيز بن سعود ملك السعودية، وسوء علاقته بالملك فؤاد، حين أقحم الأخير نفسه فى المجال الإسلامى. أيضا رأت ألاَّ يكون للهنود الدور فى ذلك، نظرا لخشيتها من التأثير على رعاياها المسلمين، مما يسبب للإدارة البريطانية المشكلات. وعليه لم يتحقق ما أرادته الجالية الإسلامية فى لندن، ومع هذا يستنتج مدى الأهمية التى عُوِّلت على الملك الصالح.

وصاحب ما سبق خطوة أخرى لها من الأهمية والسمة الاستمرارية منذ عهد فؤاد، وهى الرغبة الملكية فى إحياء الخلافة الإسلامية على يد أمير المؤمنين فاروق الأول، الذى تشوق ليتقمص هذا الدور. وأصبح لابد من تهيئة المناخ للهدف الجديد.

ووُكل الأمر للشيخ المراغى، فأعلن نداءه بضرورة أن يكون الملك خليفة للمسلمين. واحتضنت المصور الدعاية لذلك، وعالجت الموضوع بأكثر من زاوية، فبينت أن مصر انتهت من كفاحها السياسى بتوقيع المعاهدة، وأضحى موجبا عليها أن تحقق زعامتها على دول الشرق الإسلامى، وتعرضت لتاريخ الخلافة، وبسطت آراء رجال الدين المؤيدين، وأطلقت على فاروق «صاحب الجلالة فاروق الأول خليفة المسلمين». ونقلت كيف أن أنباء تقواه، وجهاده لإعلاء كلمة الدين منتشرة فى البلاد الإسلامية، ثم ذكرت أن جمعية الخلافة التى يرأسها السيد أبو العزايم قد أرسلت إلى جمعيات الخلافة فى الهند وجاوة وغيرها من البلاد الإسلامية تدعوها إلى عقد مؤتمر فى القاهرة يوم ٢ أكتوبر ١٩٣٧ للنظر فى مسألة الخلافة، وأن ردود التأييد تتوافد، وأن البيعة لا تأتى عن طريق حكومى أو رسمى، وإنما الأمر متروك لاختيار الشعوب الإسلامية.

* * *

ووقف النحاس بكل قواه ضد هذا الأمر، مصرِّحا بأن زمن الخلافة ولَّى وانتهى، وأن الظروف القائمة غير ملائمة لها على الإطلاق، لأن مصر فى حاجة إلى معالجة مشكلاتها الداخلية، أما خارجيا فإن بريطانيا لا ولن تحبذ هذه الفكرة حتى لا تستغلها إيطاليا لإثارة المتاعب فى المشرق العربى.

وسرعان ما أقيلت الوزارة الوفدية، وكسب فاروق جولته فى ذلك، واطمأن بتولى محمد محمود الوزارة، كما كان الشيخ المراغى من أنصار الأحرار الدستوريين. وعليه واصلت سياسة القصر طريقها فى إضفاء المظاهر الإسلامية على الملك الذى وجد المشاركة من رئيس وزرائه، فهو يرافقه فى كثير من مهماته الدينية والمناسبات المتعددة ذات التأثير الشعبى، وبخاصة استعراض المحمل وكسوة الكعبة المشرَّفة.

وتُلتقط الصور لتجمعهما مع ثنائى ماهر ـ المراغى، وتصدر وزارة الداخلية تعليماتها لرجال الإدارة للاقتداء بالملك الصالح الذى يضرب المثل الأعلى لشعبه فى التمسك بأحكام الدين وآدابه، وتُنظم المظاهرات التى تتردد فيها الهتافات لتنعت فاروقا بالملك الصالح والمؤمن والتقى وحامى حمى الإسلام والمسلمين.

وانتُهزت فرصة المصاهرة بين الأسرتين الحاكمتين فى مصر وطهران فى هذا الصدد جيدا، وذلك بخطبة الأميرة فوزية من شاه بور محمد رضا بهلوى ولى عهد إيران، حيث بارك الشيخ المراغى هذا الارتباط، برغم ما أثير حول أن الأميرة سُنِّيَّة وولى العهد شيعى، كما صرح على ماهر بأن عظمة مصر سوف تتجلى بتلك العلاقة وتصبح درة فى تاج الإسلام تحت رعاية فاروق الأول. وتعلق الصحف البريطانية والأمريكية على ما حدث، منوهة إلى أن السبب فى ذلك الارتباط، يعود إلى أن الفكرة متجهة فى مصر إلى إعادة الخلافة الإسلامية، وتنصيب فاروق خليفة للمسلمين. ويعقب لامبسون بأن ما حدث يقويه، وأنه لم يقصر تهنئته فى بداية العام الهجرى على رعاياه، ولكنه تحدث للعالم الإسلامى بأسره.

* * *

ومن أجل الدعاية لتحقيق الهدف، امتدت منح فاروق المالية فى سبيل الله إلى خارج مصر - وبالطبع هى لغرض فى نفس يعقوب - والتى اختصت ببناء المساجد وترميمها. ومن ثم أصبح محط أنظار العالم الإسلامى، فيتلقى الدعوة من الجالية الإسلامية فى اليابان ليفتتح مسجدا فى طوكيو. وفى الوقت ذاته، يحرص مندوبو الصحف على اللقاء بضيوف مصر المسلمين، لينقلوا انطباعاتهم عن فاروق الملك المسلم.

وبذلك سيطر المناخ الإسلامى على القصر، وغدا لفاروق البريق المطلوب، وازدادت ثقته بالولاء له، وأطربه هتافات طلبة الأزهر التى ركزت على نعته بالصفات الإسلامية المحببة. أما عما نطقت به الألسنة بأنه أمير المؤمنين، فقد حدث فى الأسبوع الثانى من يناير ١٩٣٨، عندما ذهب إلى تأدية صلاة الجمعة. وكان الشيخ المراغى قد أعد العدَّة، إذ بالأصوات ترتفع «ليحيا الخليفة». وتكرر الأمر يوم عقد القران الملكى، إذ امتلأت ساحة عابدين بوفود الأزهريين التى علت هتافاتها مرددة «ليحيا الملك الصالح زعيم المؤمنين وخليفة المسلمين». ووفقا للسيناريو فإن الملك يطل من شرفة القصر ليحييهم، ثم يدخل لتكرر الهتافات، فيخرج مرة أخرى، وهكذا. وتناولت الصحف الأجنبية أبعاد القضية، وبيَّنت أن ملك مصر يمتلك المواصفات التى تؤهله ليكون زعيما للمسلمين، وأيقنت بعضها أنه لو تم ذلك المشروع، فسوف تتكون كتلة إسلامية تستطيع أن تواجه الدول الأوروبية.

* * *

وانشغلت الدوائر السياسية البريطانية بما يحدث على أرض مصر، فالمسئول البريطانى فى كينيا يبعث للندن مستفسرا عن مدى صحة الهتافات لفاروق بما يفهم أنه أحيى الخلافة، مبينًا أن المسألة الدينية لها دورها فى كينيا، ويأسف لعدم وجود النحاس فى الحكم للوقوف أمام ذلك. ويرد لامبسون بأن ما حدث ليس خطيرا، وأنه مجرد صيحات، أضفت على الملك لقب الخلافة قولا وليس عملاً، وأن الهدف الذى يسعى لتحقيقه القصر، إبراز دور مصر فى العالم الإسلامى، وأن فاروقا يلعب مع شيخ الأزهر لعبته، مستخدما الإسلام ليحارب الوفد، ويجذب أشياعه، وأنه إذا تحقق ذلك فسوف يثير الملك عبد العزيز بن سعود.

وتشير الخارجية البريطانية إلى أن الوقت غير مناسب لما يحدث، ويركز وزيرها على أن مسألة جامعة إسلامية لا يتوافق مع المصلحة البريطانية لما له من انعكاسات على السعودية وتركيا. وجاءت الأخبار من الممثل الدبلوماسى البريطانى فى جدة لتوضح أن لمصر وضعها المتميز، وبالتالى فإن ملك السعودية يعارض بشدة قيام خلافة فى مصر، وتؤيد الخارجية البريطانية ذلك. واهتمت وزارة الهند بالقضية، ونقلت المراسلات التى وصلت الهند من علماء مصر وعلى رأسهم الشيخ المراغى للندن، والخاصة بشأن الدعوة للخلافة، وتُبِيِّن أن مسلمى الهند لا يعارضون، وإنما يؤيدون وجود خلافة إسلامية فى مصر، وأن يكون ملكها أمير المؤمنين. وتستاء لندن، وتبلغ سفيرها فى مصر بأن يحذِّر الحكومة المصرية من مغبة ذلك.

* * *

ولم يفت فى عضد القصر أى اتجاهات مضادة، ووضع أمام عينيه دفع التوهُّج لشخصية فاروق الذى ازداد انبهاراً بتلك الأصداء الخارجية. ومضت الدعاية فى نشاطاتها، فبجوار تحركات جماعتى الإخوان المسلمين ومصر الفتاة، استُغلت الصحافة تماما، وأخذت آخر ساعة المصورة على عاتقها مهمة الحث والتشجيع على نَجاح المشروع، وساقت المعلومات التى تجعله سهل التحقيق، فتبين أن إيران وأفغانستان والعراق وسوريا تبدى الشعور الطيب وتؤيد الفاروق، وكذلك أمراء الهند، وأيضًا أغاخان، وأنه برغم علمانية تركيا، فإنها ترحب بتحالف إسلامى تقوده مصر. والتقطت الخيط الخاص بادعاء موسولينى بأنه حامى العالم الإسلامى، لتستنتج بأن الدوائر البريطانية ترحب بالمشروع

المصرى ليكون مضادا للمشروع الإيطالى، وبالطبع لم يكن ذلك حقيقة، أيضا فإن المبالغة فيما عدَّدته من مؤيدين خارجيين كانت واضحة، واستخدمت لغرض الدعاية التى واصلت طريقها على هذا المنوال، ولتحقيق الهدف نفسه.

ويكتب فكرى أباظة فى المصور عن مصر، زعيمة الأمم الشرقية، وقبْلة المسلمين، وأنها تحتل المركز المتفرد فى أفريقيا، وأن شمال القارة، يتتبع بكل اهتمام خطوات الملك، وهو مأخوذ بإسلاميته وصلاحه، وأنه عندما تظهر صورته على شاشة السينما قبيل بث الأفلام وهو يصلى أو يستعرض الجيش، يكون التصفيق الحاد من الحاضرين، وفى ذلك ما يجعل مصر ترنو إلى الخلافة.

ويثير هذا الاتجاه السفير البريطانى، فيكتب إلى حكومته معربًا عن أن الملك مستمر فى السياسة الإسلامية لأبيه، وهى تؤدى إلى إثارة التعصب فى مصر، وتؤكد نفوذها فى البلاد الإسلامية الخاضعة لبريطانيا وفرنسا، والساخطة على سياستهما، وبالتالى يحدث التعاون بين الطرفين. وينتهى لامبسون إلى ضرورة التركيز على أن الطريق الإسلامى الذى يجتازه فاروق يجب وضعه تحت المراقبة بكل عناية.

* * *

فى ٢٠ يناير ١٩٣٩ وقعت حادثة أثارت ضجة كبيرة، إذ أدى الملك صلاة الجماعة إماما بالأمراء العرب - فيصل وخالد السعوديين وسيف الإسلام اليمنى - والضيوف وكبار رجال الدولة والجيش وذلك بمسجد قيصون. وبعد الانتهاء من الصلاة، ارتفعت أصوات الهتافات تكبر ثلاث مرات وتردد «يحيا إمام المسلمين. . . يحيا الملك الصالح»، وخارج المسجد، تتردد الصيحات «يحيا أمير المؤمنين . . . يحيا الخليفة». وهلَّلت لذلك الصحافة، وذكرت أن أرواح الخلفاء الراشدين ترفرف حول الملك الشاب. وحتى الأهرام وهى الصحيفة صاحبة الاتجاه المعتدل، وجدت أن حلم الإسلام قد تحقق بعد تلك الأحقاب الطويلة.

وأذاعت وكالات الأنباء الخبر، ونشرت صحف لندن برقية مرسلة من مكاتب رويتر بالقاهرة بما حدث، وصرحت بأن الدوائر العربية قابلت عمل فاروق بالارتياح، لأنها تشعر بضرورة بذل المجهود الصادق، لجمع كلمة البلاد الإسلامية، وأن ما يجرى دليل على أنه برغم حداثة سن الملك، فإن لديه الاستعداد لقبول الزعامة. واستفسرت السفارة

المصرية فى لندن من الخارجية المصرية عن الوضع، وعلى أثر ذلك صرح السفير فى مؤتمر صحفى بأن ما حدث ليس له أى مغزى، وأنه لم يناد بفاروق خليفة على المسلمين. وأذاعت كل من المفوضية المصرية فى باريس وبرلين بيانا تنفى فيه ما تردد فى هذا الشأن.

ولم يلق هذا الأمر الترحيب من الدول الإسلامية. فعلى سبيل المثال صرح وزير خارجية تركيا بأن دولته تحافظ على مبدإ فصل الدين عن الدولة، وأن الخلافة أصبحت نظامًا باطلاً، وعلقت صحافتها بأن فاروقا غير مؤهل دينيا، وبصفة عامة فإن الخليفة يجب أن يختاره العالم الإسلامى أجمع، ويكون حاكما لدولة مستقلة تماما، ويمت بصلة النسب للأشراف بيت النبوة.

ولما كانت الحرب على الأبواب، شكل اتجاه فاروق الإسلامى القلق الخارجى البالغ، واتسعت ردود الأفعال، وبخاصة بعد أن لمست بريطانيا الميل المحورى للقصر، وتأييد إيطاليا لمشروع الخلافة، وترشيح فاروق لها، وما يمتلكه من مؤهلات تمكنه من التنفيذ. ومن ثم بذلت لندن مجهوداتها لإقصاء المشروع جانبا.

* * *

وبناءً على الضغوط البريطانية، تحول المسار بعض الشىء، وتم تأجيل المشروع مع تلاحق أحداث الحرب. ولم يكن معنى ذلك أن فاروقا تنازل عن الدور الذى تمسك به، وأقصى الأمنية التى يحلم بها، وإنما سار على الدرب نفسه، يتردد على الأزهر، ويلتقى العلماء، ويسمع دروس الشيخ المراغى، ويتحدث فى الإذاعة ليهنئ العالم الإسلامى بالمناسبات الدينية، حتى لقد أنشئت محطة جديدة ذات موجة معينة، ليكون سماعه واضحا خارج مصر.

وراح فاروق يستن السنن، فأقيمت الاحتفالات الدينية الجديدة التى منح فيها شيخى السادة البكرية والوفائية الخلعة الملكية، وأمر أن يدخل فى الاحتفال بالعام الهجرى إطلاق ٢١ طلقة مدفع عند شروق شمس ذلك اليوم، وأن يقيم المحافظون ومن هم دونهم الحفلات الدينية، وأن تحتفل الجامعة والمدارس بعيد الهجرة. كما احتلت الجمعة اليتيمة من رمضان مكانتها، إذ أمر بكسوة اليتامى بمناسبتها.

* * *

وبرغم ظروف الحرب الاقتصادية الصعبة، فإن الهبات الملكية لم تتوقف، وأرسلت

إلى البلاد الإسلامية، وخاصة للشرق الأقصى، حيث تعدَّدت جهات صرفها. ويتكرر الفعل نفسه مع الكلية الإسلامية فى بيروت، وغيرها من المنشآت الدينية.

ويواصل الشيخ المراغى نشاطه، فيخطب فى إحدى جمع يولية ١٩٤٠ فى أثناء حضور الملك، ويركز على أهمية القاهرة، ويشير إلى صبغتها الإسلامية، ويطلب من مليكه إعلانها مدينة مقدسة، فعَدَّ لامبسون ذلك هجوما ضد بريطانيا، فى وقت توالى فيه القوات الألمانية انتصاراتها، ويقابل الشيخ المراغى، ويطلب منه ألا يستغل الدين فى السياسة، كذلك طلب الشىء ذاته من رئيس الوزراء محذراً إياه بلهجة عنيفة. ولكن ذلك لم يمنع شيخ الأزهر من ترديد مقولته الشهيرة عن عدم اشتراك مصر فى الحرب بأنه «لا ناقة لنا فيها ولا جمل».

* * *

عندما تشكلت الوزارة الوفدية عقب حادث ٤ فبراير، وشعر فاروق بالهزيمة الجارحة، اتجه بثقله ناحية الاتجاه الإسلامى ليحارب حكومته عن طريق تكثيف شعبيته، وبالتالى توهجه على حساب الوفد، وخاصة مع انتصارات المحور. وتتابع الصحافة خطواته، فهو يطلق لحيته، ليتوافق مظهره مع مهمته الدينية، ويكثر من ارتياد مساجد المناطق الصناعية، وهنا تعلو هتافات العمال «الملك المؤمن»، ويواصل تردده على الأزهر، وترافقه أحيانا بعض الوفود العربية، لكنه لم يكرر مرة أخرى أن يصلى إماماً بضيوفه.

وتستمر الموائد الملكية الرمضانية، وتركز اهتمامها على رجال الدين وطلبة العالم الإسلامى، وترتفع الصيحات المدوية لتطلق على فاروق «خليفة المسلمين وحامى الإسلام». ويأمر بفتح أبواب قصر عابدين يوميا لمن يشاء أن يستمع لآيات الذكر الحكيم، حتى لقد بلغ عدد الوافدين عشرة آلاف شخص يوميا. وفى ليلة عيد الفطر لعام ١٩٤٤، يلتقى مع ضيوفه، وتتكرر الهتافات، وعقب ختام القرآن الكريم، يوجه كلمته على الملأ، مهنئا بالعيد السعيد لمصر الحبيبة والشعوب الإسلامية.

* * *

وعلى الطريق نفسه، يمضى الملك فى ترجمة سياسة القصر فيما يتعلق باستقبال زعماء الجاليات الإسلامية، وتنشر الصحافة الأحاديث التى تنم عن ترحيبهم بأن يكون فاروق ملك مصر، ملكا للمسلمين جميعهم. كذلك يواصل إرسال المعونات والهبات والهدايا

للمسلمين فى الخارج. واستمرت سياسة المساهمة فى بناء المساجد خارج مصر حتى وصلت الإسهامات الملكية إلى مسجد فى البرازيل، وذلك فى وقت كانت مصر تعانى فيه من سوء الأحوال الاقتصادية.

ويواصل فاروق التنفيس عما غمره من أحاسيس الزعامة، ويمارس ذلك من خلال لقاءاته مع الطلبة المسلمين من مختلف الجنسيات والقارات، إذ غمره الإحساس بأنهم مندوبون عن دولهم، ومن اللافت للنظر أنه تمت دعوة الصحفيين الأجانب لهذا اللقاء، والذين بدورهم نقلوا هذا المشهد لبلادهم. ولم يتوقف السعى للدعاية التى اتخذت شكلا آخر، تمثل فى إرسال الوفود، مثل ذلك الوفد الذى بعث به القصر للبلاد العربية، فطاف بها للترويج لفكرة زعامة فاروق الإسلامية، ولكنها لم تثمر.

وامتلأ فاروق فخراً وزهواً بالصيت والشهرة والمكانة التى حصل عليها، ورنا ببصره نحو أفريقيا، ففى المأدبة الملكية التى دعا إليها ملك اليونان وزميله اليوغوسلافى فى نوفمبر ١٩٤٣، وفى أثناء الحديث، أشار إلى أن مصر هى البلد الأكثر أحقية بالزعامة الأفريقية. معنى ذلك أن طموحاته أرادت أن تصل زعامته إلى أبعد من العالم الإسلامى.

* * *

وضجرت الحكومة الوفدية مما وصل إليه فاروق، ووجدت أن المنبع الذى يرتوى منه واليد المحركة له والمخطط والمنفذ هو الشيخ المراغى، فضلا عن دوره النشاط فى تحريك الطلبة ضدها، وتلاحقت أزماتها مع القصر، وكثرت الخلافات بين الجهتين. وفى أثناء تخطيط النحاس للنيل من شيخ الأزهر، كان القصر يحقق نجاحاته، وبخاصة عندما استقطب مكرم عبيد، وهنا رأى الملك أن يعلن عن أن الملكية كما هى للمسلمين فإنها كذلك للمسيحيين، والهدف أن تكون شعبيته نابعة من عنصرى الأمة. وعليه يجد الوفد صاحب مبدأ الوحدة الوطنية وتعانق الهلال مع الصليب المنافس له. وأخيراً تمكنت حكومة الوفد من تقليب الأزهر على شيخه، وتدخلت فى اضطرابات يناير ١٩٤٤، وقدم الشيخ المراغى استقالته، ورفضها الملك، وتعقد الموقف، وعُدَّ شيخ الأزهر فى إجازة مفتوحة، لكنه استمر فى الحضرة الملكية، ومن ثم توارت سلطاته. وهدأ الاتجاه الإسلامى بعض الشىء، حيث رأى فاروق أن يركز على دوره العربى، علّه يحقق له الزعامة التى لم تبرح تفكيره.

* * *

انبثقت السياسة العربية من التخطيط الإسلامى، إذ إنه بناء على مفهوم القصر، فإن الزعامة الملكية الإسلامية، تدخل تحت جناحها الزعامة العربية. وتصادف أن كان عام ١٩٣٦ يتوافق مع البداية، حيث قامت الثورة الفلسطينية، وعقدت معاهدة الصداقة المصرية السعودية، وأصبحت مصر مستقلة مما يهيئ لها الدور القيادى فى المنطقة العربية. أيضًا فإن القبول الذى حازه تولى فاروق العرش فى السعودية واليمن وفلسطين، لقى تشجيعا للقائمين على المشروع.

ومرة أخرى تتولى الصحافة الدعاية للملك الشاب، الذى بعثه الله ليجدد مجد العرب، وشجعت وزارة محمد محمود الاتجاه، وانعكس الأمر بالسوء على لندن التى أشارت إلى أن انغماس الملك فى هذا المجال أمر غير مستحب. لكن ذلك لم يعق ترجمة السياسة المرسومة. وعندما انعقد فى مصر المؤتمر البرلمانى للبلاد العربية والإسلامية من أجل فلسطين (٧ـ ١١ أكتوبر ١٩٣٨)، دعا الملك رؤساء الوفود لتناول الشاى فى قصر رأس التين، وتصدر المائدة، وألقى كلمته التى يُلْمَح منها أنه يتجه وجهة عربية فى سياسته، ويشكو السفير البريطانى لوزير خارجيته من أن الملك وحكومته يشجعان الحركة الفلسطينية، كجزء من سياستهما التى تسعى لبسط سلطان مصر على الشرقين الإسلاميين الأدنى والأوسط.

* * *

وحينما تقرر عقد مؤتمر المائدة المستديرة فى لندن، والذى افتتح أعماله فى ٧ فبراير ١٩٣٩ بهدف التوفيق بين العرب واليهود، اختار فاروق الوفد المصرى، وتكوّن من على ماهر وعبد الرحمن عزام برئاسة الأمير محمد عبد المنعم، وواضح ميولهم العربية. وتحرك بدقه فى هذا الصدد، فعندما وصلت الوفود العربية قبل سفرها للمؤتمر، استضافها أكثر من مرة. ونجحت دعايته، لدرجة أن إحدى الصحف الفرنسية حين استعرضت أسماء المرشحين لعرش سوريا، ورد اسم فاروق، وسردت مميزاته، وكيف أنه يمتاز بالهمة والنشاط والذكاء والثقافة الغربية، بل وأنه الأقدر على تفهم العقلية السورية.

* * *

وتدعم الاتجاه العربى إبان وزارة على ماهر، حيث دخلها محمد على علوبة وزير دولة، وعبد الرحمن عزام وزير أوقاف، ومحمد صالح حرب وزير دفاع، وأسندت

رئاسة الأركان إلى عزيز المصرى، ومعروفة اتجاهاتهم فى هذا الصدد. ونشط فاروق فى تحركاته. فعلى سبيل المثال، يتوسط شخصيا لدى رئيس الجمهورية الفرنسية بشأن السوريين المحكوم عليهم، وكان لذلك رد فعله على إمارة شرق الأردن، حيث شجع الأمير عبد الله على أن يدس لفاروق عند الإنجليز، ويركز على هويته المحورية، ويبين أن بقاءه على عرش مصر وصمة للعرب خاصة والمسلمين عامة، وأشار إلى الأمير محمد على والخديو السابق عباس حلمى الثانى، بهدف إحلال أحدهما مكان الملك. ولم يكن موقف العراق ثابتًا، وإنما تلوَّن وفقًا لما يقدم عليه فاروق من تصرفات.

واستغل الملك تدهور موقف الحلفاء، ووقوع حادث ٤ فبراير، وخطط لما بعد انتصار المحور. فقد تمكنت مخابرات الشرق الأوسط من التقاط معلومات تفيد بأن فاروقا أرسل إلى اليابان يطلب فى حالة وصول قواتها للبحر الأحمر، أن يبقى على العرش، ويعترف به زعيما للدول العربية. ولكن ما لبث أن تحول المؤشر لصالح بريطانيا وحلفائها.

* * *

وعندما تبنَّت بريطانيا مشروع إقامة وحدة عربية، وتحدث إيدن بمجلس العموم البريطانى فى ٢٤ فبراير ١٩٤٣، اقتنص فاروق الفرصة ليعد عدته، ولكن النحاس وقف لذلك بالمرصاد، ونجح فى أن تكون المحادثات عن طريق الحكومات. وعليه طرق الملك بابا آخر، ليستمر توهجه بين شعبه، فيرسل بعثة رسمية لسوريا ليهنئ رئيس جمهوريتها شكرى القوتلى. ويقف بجوار الأزمة اللبنانية، فكان أول من اعترف بحكومتها، بعد أن أسفرت الانتخابات عن فوز بشارة الخورى برئاسة الجمهورية، وعندما اعتقلته السلطات الفرنسية وصحبه، وأسندت الرئاسة إلى إميل إدة، احتج فاروق على هذا التصرف، واستقبل الدبلوماسيين البريطانى والأمريكى، وتناقش معهما فى خطورة الأزمة، وبعث ببرقية إلى بشارة الخورى ليشد من أزره، ويعرض عليه تعاونه، ويهنئه عقب الإفراج عنه، ويرد الأخير بمجاملات لفاروق، وينعته رياض الصلح بالملك العربى.

وتمتد يد العطاء الملكى بالمعونات المالية للطلبة العرب، الذين يهتفون له بأنه «ناصر العروبة». ونقلت الصحافة ما يدلِّل على القبول الملكى المصرى لدى العرب، منه ظاهرة انتشار اسم فاروق للأطفال المولودين، والدعاء للملك فى المسجد النبوى الشريف بتعجيل الشفاء بعد حادث القصاصين، وإشادة المحامين العرب به، عندما اجتمعوا فى دمشق، إذ أثنوا عليه، وعرَّجوا على مكانته فى البلاد العربية، واهتمامه بتوثيق عرى التعاون والإخاء بينها.

وحرص فاروق عقب لقاءاته مع الساسة العرب على أن يُدلى بتصريحات تبين أن اهتمامه منصب على الشئون العربية كفرد من أبناء العروبة، وكجندى من جنودها، ويثنى على أمجاد العرب موضحا أنه قد حان وقت عودتها، وينقل للآخرين المشاعر بأنه مهموم بقضايا العرب، وواجبه يحتم عليه العناية بأحوالهم. وإذا تعمقنا فى داخله، نجد أنه لم يغب عن ذهنه دولة محمد على التى ضمت معظم مناطق الناطقين بالضاد، وتلك الانتصارات التى أحرزها جده إبراهيم، وبالتالى كانت نفسه تهفو إلى تأدية دور عربى بارز، ولم يتفهم أن الظروف قد تغيرت.

* * *

ومع منتصف أبريل ١٩٤٤، يستقبل فاروق الوزراء العرب فى أنشاص، ويتحدث معهم فى شئون بلاد كل واحد منهم، بحيث بدا وكأنهم رعاياه. حدث هذا فى أثناء مشاورات النحاس بشأن الوحدة العربية، وحينما اجتمعت اللجنة التحضيرية، أراد الملك أن يثبت وجوده، فوجه دعوة غداء فى ٣٠ سبتمبر ١٩٤٤ للوفود العربية، ولم يدع رئيس حكومته. وعندما حدث نزاع فى الجلسة الختامية بشأن تعيين الحدود بين سوريا ولبنان، قام بإصلاح ذات البيْن. وكم تمنى فاروق إعاقة خطوات النحاس وإقالة وزارته، ولكن لم توافق لندن، وتمكن النحاس من إتمام توقيع بروتوكول الإسكندرية الخاص بجامعة الدول العربية فى ٧ أكتوبر ١٩٤٤، وكان ذلك إيذانًا بإقالة الوزارة الوفدية فى اليوم التالى، ليتسلم فاروق المشروع جاهزا، ولينطلق فى هذا المجال.

ومن المسلَّم به أن الزعامة التى تطلَّع إليها فاروق، وسعى نحوها بخطوات واسعة، وطرق متعددة فى الميدانين الإسلامى والعربى، قد أضفت على شخصيته ليس فقط الأهمية، وإنما أيضًا أكسبته النقاط الكثيرة التى أضيفت إلى رصيده الذى امتلأت به خزائن محبة الناس، بعد أن وجدوا فيه الرمز لما يجب أن يكون عليه دور مصر الريادى، فى وقت كان الاستعمار الأنجلو فرنسى جاثمًا على المنطقة.

ثامنًا - القيـــادة

شاءت الأقدار أن يرتبط عام ١٩٣٦ الذى تولى فيه فاروق عرش مصر بحياة جديدة للجيش المصرى، إذ لم يعد يقتصر على أبناء الذوات، وإنما التحق به أيضا أبناء الطبقة

الوسطى التى ارتبطت جذورها بعامة الشعب، وكانت لهم أفكارهم وأبعادهم وتطلعاتهم المستقبلية. ولما كان الدستور يعطى للملكية الحقوق فى الجيش، فقد اعتمد فاروق عليه، لأنه يدين بالولاء للملك، وليس لأحزاب أو جماعات.

وتمشيًا مع سياسة القصر، بشأن إضفاء الشعبية على الملك، وجعله معبود الجماهير، دخل الجيش تحت لوائه، ليشكل القوة الشاكية السلاح والمدافعة عن نظامه، وحتى قبل تولى فاروق سلطاته الدستورية، فإنه يتنقل بين وحداته، ويحضر الاستعراضات العسكرية، ويوزع الجوائز على المتفوقين.

* * *

وأدركت الوزارة الوفدية وقت الإعداد لتسلم الملك سلطاته الدستورية، أنه لابد من ألا يكون الارتباط قويا بين الملك وجيشه، والعكس أراده القصر. وأصبح الاتجاه الأخير هو الأقوى، نظرا لأن الموجة العامة كانت فى معية الركاب الملكى. وجاءت البداية فى ذلك اللقاء الرسمى الذى جمع فاروقا مع العسكريين، حيث أبدى رغبته فى أن يحتفظ الجيش بتقاليده، ويبتعد عن السياسة، والمقصود إقصاء الوفدية عنهم، وربطهم مباشرة بالقصر.

ووفقًا لسياسة صانعى الملك الشاب أثناء هذه الفترة المبكرة، فإن التحرك داخل الجيش قد أثمر، وأصبح الضباط ضيوفا دائمين على المائدة الملكية، وبسرعة غير متوقعة صرح قوادهم بأن الوزارة الوفدية غدت قاب قوسين أو أدنى من السقوط. وبذلك تمكن الملك من الاستئثار بالجيش، ومن ثم ضمن ولاءه له، والذى تُرجم فى أشكال متعددة. ولمس السفير البريطانى الأثر الواضح الذى أوجده فاروق داخل الجيش، فكتب عنه لحكومته مبينا تلك الشعبية السريعة التى سرت بين الضباط، إذ مثل الملك لهم بمؤهلاته الظاهرة للعيان، أملهم فى المستقبل المضىء الذى تنتظره مصر.

* * *

وبعد الإقالة الملكية الأولى للوزارة الوفدية، وضمان تحكم القصر فى الدفة السياسية، ومع بداية عام ١٩٣٨، تم الاحتفال بعيد ولاء الجيش لقائده الأعلى، فأقسم على أن يهب حياته للذود عن الملك والوطن. وافتتح فاروق نادى الضباط بالزمالك، وبدا عليه الاعتزاز والفخر، وغمرته النشوة فى أثناء سماعه كلمات المديح والثناء عليه من ضباطه. وتبع ذلك إنعامات ملكية وترقيات لبعض رجال الجيش والبوليس، ولكنها لم تخضع

للانضباط، فقد عين عمر فتحي كبيرا للياوران، وهناك من هو أقدم منه، واختير عزيز المصرى ـ وكان خارج الجيش ـ ليشغل منصب المفتش العام، كأول مصرى يشغل هذا المنصب، حيث توسم فيه على ماهر رئيس الديوان إمكانية تحقيق رغبات القصر على يديه، بالإضافة إلى ميوله المحورية، وعدائه لبريطانيا، مما جمع بين الطرفين. كذلك وجه الملك اهتمامه برجال البوليس الذين شاركوا زملاءهم فى الولاء له.

* * *

وتدخل فاروق فى شئون الجيش، وسيطر عليه أنه أداته القوية، خاصة مع تأكده من ميوله المحورية، ولاعتقاده أنه بواسطة جيشه لن يفوز فقط على الوفد، وإنما على ما هو أكبر منه، أى سوف يكسب بواسطته معركته ضد بريطانيا، وعليه أولاه الاهتمام البالغ، فهو يتحرك ليحضر مناورات المدفعية والطيران الحربى، ويتفقد خطوط الدفاع فى الصحراء الغربية، ويطلب من رئيس حكومته الاعتناء بجيشه وشئون دفاعه، ويستعجل المعلومات عن حالته واستعداده وقوته وجنوده الاحتياطيين، ويصرح ـ بعد أن بلغ سموه بنفسه أقصاه ـ بأنه إذا جاء يوم أصبحت فيه مصر فى خطر، فسوف يقود جيشه بنفسه، وذلك بوصفه القائد الأعلى. هكذا اشرأبت عنقه للعلو إذ تعلقت بذاكرته المهارة العسكرية لإبراهيم ومحمد على، دون أن يعى أنه غير مؤهل للقيام بأى دور عسكرى.

* * *

واحتضن البرنامج الملكى مسألة جذب الضباط، فعندما أعلنت الحكومة فى بداية عام ١٩٣٩ عن الكادر الجديد للجيش والبوليس، الذى خفض من المرتبات، نظرا لظروف الحرب، اعترض الضباط، وتظلموا للملك، فأعطى لهم التأكيد بأنه سينظر فى تظلمهم ويوليه العناية. ويذكر لامبسون للندن أن كبار الضباط حضروا من المديريات إلى القاهرة لمناقشة الكادر، وأن رئيس الأركان يتوقع إمكانية قيام الضباط بالإضراب، وأنه أصبح واضحا أن الملك يؤيد قواته ضد الحكومة مما أحرجها، وبالتالى كذّبت الخبر، وبيَّنت أن المسألة مازالت تحت الدراسة، ويعلّق بأن هذه الطريقة أتاحت للسياسة دخول الجيش، وأعطت الضباط الانطباع بأن الملك يحميهم ضد تخفيض مرتباتهم الذى تعمل الحكومة عليه، كما عزم على احتواء الجيش لما قد يحدث ضده فى المستقبل. وترد الخارجية البريطانية بما يفيد أن ما يُقدم عليه فاروق ربما يكون جائزا، ولكنه عديم الفائدة، حيث إنه

لو تدخل الجيش فى السياسة، فسوف يقوم فى يوم ما بضربته ضد الملك نفسه. وبذلك كانت رؤيتها المستقبلية صائبة.

* * *

ولم يكن يخفى على فاروق أن فتح الباب لتحقيق طلبات الضباط ربما يعرضه لمطالب أخرى ضده من ناحية، ورغبة منه فى أن يتفادى المزيد من الأزمات مع الوزارة من ناحية ثانية، ومحاولة لتهدئة الأوضاع المتوترة مع بريطانيا من ناحية ثالثة، ذلك جميعه جعله يصدر توجيهاته بمعارضته لأيه مخالفة، وأن طلبات الضباط تقدم إلى وزير الحربية الذى هو موضع ثقته، وأنه يجب عليهم أن يبدوا استعدادهم للتضحية، والتى تأتى فى مقدمتها قبولهم الكادر الجديد، وأن عدم إطاعتهم الأوامر يعد موجهًا ضد الملك، مما يفقدهم عطفه.

وعلى أى حال، فقد أيقن فاروق من خلال هذا الموقف، أن هناك سلاحا يمكن استخدامه لصالحه فى الوقت المناسب، وبالفعل فإنه أحاط نفسه بالشخصيات القوية من الجيش ليكونوا حرسه الخاص، ومنحوا ضعف مرتباتهم، ليستمر الجيش فى جانبه.

* * *

وكثرت تحركات الملك تجاه الجيش، ووفقا لطبيعة شخصيته التى تعشق المفاجآت، فقد طبقها فى زياراته لوحدات الجيش المختلفة والكلية الحربية، وأحيانا يكون بمفرده، ويتجول بين الضباط ويتحدث معهم، ويولى اهتمامه الخاص بكلية أركان حرب التى بدأت أولى الحلقات فى عهده، ويُبدى تطلعه لشئون الدفاع، خاصة مع الظروف التى تنبئ بحرب عالمية. ومن جراء ذلك، استاء رئيس البعثة العسكرية البريطانية من تلك التحركات، ونقل للسفير البريطانى واقعة عدَّها تمس شرف الجيش قام بها الملك وحسين سرى وزير الحربية فى مارس ١٩٣٩، وكان من نتيجتها تنحية خمسة من قادة الجيش عن قيادة فرقهم. والسبب أنه عقب حضورهما إحدى المناورات، نودى على هؤلاء الضباط، وأخطروا بأنهم لا يصلحون للقيادة، نظرا لسمنتهم، ونقلوا على الفور إلى أعمال أخرى، بينما يرجع رئيس البعثة السبب الحقيقى لذلك إلى علاقتهم الحسنة بالإنجليز.

وتكاتفت الظروف لتعلن لبريطانيا أن فاروقا ذو هوية محورية، ومن ثم قلق رئيس

البعثة من تصرفاته التى يُقدم عليها داخل الجيش، وما حدث بشأن زيارته للحدود الغربية وبصحبته عدد من المسئولين العسكريين المصريين، بالإضافة إلى ما جرى على ساحة القيادة، إذ عين صالح حرب وزيراً للدفاع، وعزيز المصرى رئيسًا للأركان وأنعم عليه برتبة فريق، وأنشأ جيشًا مرابطًا تحت قيادة عبد الرحمن عزام وزير الأوقاف. وقد تسبب ذلك فى غضب لندن، مما كان له الأثر فى علاقتها بالملك.

* * *

وصحافة الفترة تخطو مع خطوات فاروق وتنقلاته بين رجال الجيش، ولقاءاته بهم، ومجاملاته لهم، وعطفه عليهم، واصطحاب بعضهم فى صلاة الجمعة، وهو بينهم مرتديا زى القائد الأعلى، وما نتج عن ذلك من ردود أفعال إيجابية عليهم، وخاصة فى المناسبات الملكية. وقد تمخض عن ذلك، تلك الشعبية التى تمتع بها لديهم، وبالتالى اكتملت الصورة المرغوب فى إظهارها للملك، وبخاصة أن الجيش له كيانه، الذى يضم أكثر من قوة اجتماعية.

وفزعت بريطانيا بشأن ذلك التلاقى الذى جمع فاروقا بجيشه فى هذه الظروف الصعبة، وأن الاتجاه مع المحور أضحى معروفًا، وبضغط منها، استبعد عزيز المصرى، وما لبثت أن أطاحت بوزارة على ماهر. وقد أرَّق الساسة البريطانيين ولاء الجيش وانقياده التام للملك، ومن ثم فإن ذلك لم يسقط من حسابهم طوال هذه الفترة. وفى أثناء التهديد البريطانى باستخدام القوة المسلحة يوم حصار قصر عابدين بالدبابات فى ٤ فبراير ١٩٤٢، وعندما وقع حادث هذا اليوم، كانت الاحتياطات الحربية الكاملة قد اتخذت لوقف أى تدخل من الجيش لإنقاذ العرش، إذ صدرت الأوامر العسكرية لقادة القوات البريطانية بجميع أسلحتها لتكون على أهبة الاستعداد، وأغلقت الطرق بين ألماظة والقاهرة، لمنع أى تحركات للجيش المصرى. ويذكر الفيلد مارشال ولسون Wilson قائد القوات البريطانية فى الشرق الأوسط أنه كان يخشى من رد الفعل على الجيش لما له من تأثير خطير على المجهود الحربى، ويبيِّن أن الفضل فى كبت العمل المضاد يرجع إلى الموقف الحكيم لرئيس الأركان إبراهيم عطالله.

* * *

وأثر حادث ٤ فبراير تأثيرا عميقا فى المشاعر الوطنية للعسكريين، شأنهم فى ذلك شأن باقى المصريين، زد على ذلك ما أصابهم فى كرامتهم على أساس أن الجيش يمثل المؤسسة التى تحمى الملك وتحافظ على عرشه. وقد أحسوا بعجزهم عن اتخاذ أى إجراء مضاد ضد التدخل البريطانى السافر، وتعددت صور الاحتجاجات، فقدم محمد نجيب استقالة مسبّبة للملك مصرحا بأنه يخجل من ارتداء زيه العسكرى، ولكن فاروقا رفضها، وأشار إلى أنه منع الحرس الملكى من المقاومة. ومما يسجل أن ما أقدم عليه محمد نجيب قد استلفت أنظار الضباط الشبان، وترك انطباعا طيبا فى داخلهم.

وفى نادى الضباط بالزمالك، كثرت اجتماعات الضباط، للبحث عن حل لرد الاعتبار للملك الذى يمثل مصر كلها، وتم اختيار وفد - اختلفت الآراء فى تكوينه، البعض يذكر أنه ضم عبد اللطيف بغدادى وعبد الحميد الدغيدى، والآخر يقول إن الذى صاحب بغدادى صلاح سالم - لينوب عنهم فى الذهاب إلى قصر عابدين والتقاء رئيس الديوان، للتعبير عن استعدادهم للثأر من المسئولين - والمقصود النحاس - عما وقع، ولكن أحمد حسنين هدأ من روعهم، وشكرهم باسم الملك على تلك المشاعر الفياضة، فتجمعوا أمام قصر عابدين، ليحيوا فاروقا الذى رد عليهم تحيتهم، وسجّلوا أسماءهم فى سجل التشريفات إثباتا لولائهم لمليكهم، وتعبيرا عن مساندتهم له.

ولما كان ناديهم يقع بجوار «الاتحاد المصرى الإنجليزى» راحوا يهتفون بحياة فاروق وسقوط بريطانيا، كما حرصوا على الصلاة وراء الملك، ليعلنوا أنهم لن يتخلوا عنه. ويكتب عبد الناصر لأحد أصدقائه، بعد أن امتلأ حسرة وحزنا على الاستسلام والخنوع ليترجم الإحساس الذى غمره وزملاءه، وكيف أن الضباط أصبحوا يتكلمون عن التضحية، والاستعداد لبذل النفوس فى سبيل الكرامة، ويقر بأن غدا لناظره قريب.

* * *

وعلى جانب آخر، فإن هناك بعض الضباط الذين ساءهم اهتزاز العرش، نظرا للموقف الملك الذى استسلم للإنذار البريطانى، وأنه كان عليه أن يرفض ويتحمل نتائج عزله عن العرش، ويتحول إلى بطل للتضحية الوطنية أمام شعبه. ولكن هذا التيار لم يكن له ثقله، وإنما التعاطف مع فاروق فى موقف ضعفه كان قويّا. وانصب عداء الضباط الشبان على بريطانيا - خاصة بعد ازدياد تسلط بعثتها العسكرية - والوفد. ومن الملاحظ أن هؤلاء الشبان مثلوا نسبة كبيرة فى عملية الرفض والاحتجاج لما حدث، ويرجع ذلك إلى أن أصحاب

الرتب الكبيرة ـ ماعدا القلة ـ كانت لهم حساباتهم الخاصة بمصالحهم. أما صغار الرتب، فإنهم منذ البداية حملوا على أكتافهم هموم وطنهم، وقد أدت انتماءاتهم الاجتماعية الدور فى ردود أفعالهم، حيث إنه من المعروف أنهم التحقوا بالجيش فى أعقاب معاهدة ١٩٣٦ .

* * *

وبعد أسبوعين من حادث ٤ فبراير، وقع حادث المطار، ويتلخص فى أنه حينما وصلت الأميرة فوزية وزوجها إمبراطور إيران إلى مطار القاهرة، وفى حفل الاستقبال الذى أقيم لهما، تجاهل الملك السفير البريطانى كلية، فجن جنونه، وأفهم رئيس الديوان أنه ممثل صاحب الجلالة ملك بريطانيا العظمى. حينئذ خشى الضباط الشبان من إنذار آخر لفاروق، واتفقوا على أنه إذا حدث ما يخشونه، فلابد لهم من الإحاطة بالقصر والاشتباك مع الإنجليز. وتحسبا لذلك استعار أنور السادات سيارة زكريا محيى الدين، وطاف بها حول القصر طوال الليل ليرصد الحركة عن قرب وبعد، لينذر زملاءه لو حدث ما يتوقعونه.

واستغل فاروق هذه المشاعر بمهارة، واستثمرها لصالحه، فتقرب للضباط بدرجة أكبر، وحين هتفوا بحياته الغالية يوم عيد ميلاده، أسعده أن رجاله يحتفلون به، وعندما افتتح مسجدا للجيش فى ألماظة يتبع وزارة الدفاع الوطنى، أطلق عليه اسم «مسجد فاروق الأول»، تكررت زياراته له، وصلاة الجمعة فيه، وعقب نهايتها يحيط به الضباط فى مظاهرة حب، معلنين له الولاء، هاتفين بقيادته.

* * *

وأصبح تقليدا أن يقضى الملك سهرته يوم ٤ فبراير من كل عام مع ضباط يمثلون وحدات الجيش ورتبه. وبرغم الضغوط التى قام بها لامبسون على رئيس الديوان ليتحول فاروق عن موقفه من الضباط، فإنها لم تسفر عن نتيجة، مما جعله يشكو لوزير خارجيته من أن الملك لا يقاوم احتجاج الضباط ضد ما أقدمت عليه بريطانيا. كذلك فإن الجنرال ستون Stone قائد القوات البريطانية فى مصر ينصح حكومته بأن أى محاولة لإقصاء فاروق ستكون لها النتائج السيئة على الجيش، لما يترتب عليها من إجراءات ضد بريطانيا، وأيده السفير البريطانى فى ذلك، وهكذا يتبين أن الجيش دخل ضمن القضايا المقلقة لبريطانيا بعد حادث ٤ فبراير أكثر مما كان عليه قبله.

وانتهز فاروق فرصة الإعداد لصلاة الجمعة اليتيمة فى شهر رمضان (أكتوبر ١٩٤٢) بمسجد قصر عابدين، وأبدى رغبته فى أن يدخل على دعاء الخطبة الوطن والجيش، ولكن النحاس وقف له بالمرصاد ورفض تماما، مما زاد من حنق فاروق على الوفد، وكادت أن تشتد الأزمة، حيث سيطر عليه الإحساس بأنه يمتلك هذا الجيش. وفى حديث لأحمد حسنين مع السفير البريطانى، أوضح له أن الأمل الوحيد فى فصل الجيش عن السياسة الحزبية هو بقاؤه بين يدى الملك. ويقر لامبسون للندن بأن توغل الوفديين فى الإدارة المدنية لن يكون له تأثير، طالما بقى الجيش على مساندته للملك، وأن الوفد يجد صعوبة كبيرة فى جذب الجيش إليه، وأن ضباطه ليس لديهم الميول للتعرض لأهواء الوفد السياسية، وأنهم يميلون إلى الملك، بوصفه رمزا باقيا، ويَعُدُّونه حاميهم ضد أى معاملة غير عادلة، ولن يكون لأى عوامل حزبية فى البلاد التمكن من اتخاذ الجيش سلعة لتحقيق المآرب السياسية، حيث إنه فى صف فاروق.

وتعلق الخارجية البريطانية على قول سفيرها، بأن الملك يتقوى مركزه بالمحيطين به من الخارجين عن الوفد، ويُدخل تحتهم الجيش الذى يرى فيه الشخص المناسب لكبح جماح الوفديين، الذين أصبحوا فى موضع ضعف بسبب التهم الموجهة لهم.

* * *

ولم يتوان الملك عن التركيز فى جذب الموالين له من الضباط أصحاب المصلحة، ليحكم قبضته كلية على الجيش، وذلك عن طريق التعيينات والترقيات، وقد حدث فيها تنازع مع الحكومة، وكثيرا ما أصرَّ فاروق على تحقيق رغبته، وبرغم ذلك فإنه أحيانا ما تضع الحكومة العقبات، مثلما حدث عندما رفضت تعيين ياوره عبد الله النجومى مديرا عاما لمصلحة الحدود، وأيدها المسئولون البريطانيون فى ذلك. ويقف فاروق أمام مشروعها الخاص بالترقيات، ويرفض نقل بعض الضباط، مثلما أراد وزير الدفاع. وفى الوقت نفسه، فإنه يولى المزيد من الاهتمام بجيشه، إذ يكثر من تردده على ناديهم، ويواصل حضور مبارياتهم الرياضية، ويعمل بمختلف الطرق من أجل أن يكون أصحاب السلاح والقابضين على زمامه فى جانبه.

والواقع أن مركز فاروق لم يتأرجح لدى جيشه طوال فترة وزارة ٤ فبراير، فيؤكد لامبسون لحكومته ولاء الضباط له، ونظرتهم المشينة للنحاس، ويتنبأ بأنه فى حالة وقوع

صدام مع الوفد، فإنهم سوف يساندون مليكهم الذى أحبوه، وأن أى عمل حربى يتخذ من جانب بريطانيا ضده، ستكون له النتائج الوخيمة. ثم يعرِّج على ضباط البوليس، فيذكر أنهم يرون فى الملك منصفهم، ويلجئون إليه بشكواهم حين يتضررون من الترقيات الاستثنائية للوزارة والتى هى دائمًا لصالح الوفديين. من أجل ذلك لم تفرض بريطانيا القوة وقت أزمة الكتاب الأسود.

وبرغم ما أقدم عليه الوفد من محاولات لاستقطاب بعض عناصر من الجيش، واستغلالها للعمل ضد القصر، فإنها لم تأت بالنتائج المرجوة، وظل الجيش على ولائه وإخلاصه، ويمثل القوة المتأهبة للملك. ولم تغفل العيون البريطانية عن تتبع خطواته تجاه ضباطه، وترصد تلك الحفلات التى يقيمها، ويكونون ضيوفا عليها. وازداد قلق السفير البريطانى، وتحدث مع أمين عثمان مبديا خشيته من التذمر القائم فى الجيش والذى هو ضد الإنجليز، وقد فاضت كتاباته للندن بعدم الرضا عن العلاقة التى ربطت القائد الأعلى بجيشه.

* * *

وقدمت الظروف نفسها لفاروق عقب إصابته فى حادث القصَّاصين يوم ١٥ نوفمبر ١٩٤٣، إذ كان هناك طبيب على مقربة من المكان، فاستدعى مع فريق الأطباء الذى حضر من القاهرة، ليشكلوا قنصلتو للعلاج. هذا الطبيب هو يوسف رشاد، الصاغ (رائد) فى البحرية، والبطل الرياضى، فأعجب به الملك، وقربه، وأصبح طبيبه الخاص، ونُسجت الألفة، وتكونت الصداقة بينهما، كما أصبحت زوجته ناهد شوقى - ناهد رشاد فيما بعد - ذات المواصفات المتميزة من المقربين لفاروق.

ولما كان الملك يسيطر على كيانه الانتقام من الوفد، وجد فى الطبيب وزوجته القدرة على التنفيذ، ومن هنا وضعت لبنة تكوين حرس خاص، قصد من ورائه تحقيق هدفين: الأول حماية الملك بجوار الحرس الملكى، والثانى وهو الأهم، الانتقام له من أعدائه، وبالطبع فى مقدمتهم زعيم الوفد. وعليه وُلد تنظيم الحرس الحديدى، وكانت قاعدته التى ارتكز عليها هى التصفية الجسدية لكل من أراد الملك أن يضع حدا لنهايته. واطمأن إلى هذا الحرس الذى احتضن ضباطا من الجيش، وبخاصة الشباب المتحمس والجرىء والثورى - التحق به مصطفى كمال صدقى وأنور السادات وكمال الدين رفعت وغيرهم -

وعده فاروق عينًا له على الجيش، وبالتالى فقد اقتنع بأنه بذلك كلّل مجهوداته، وأصبح متحكمًا كلية فى رجال جيشه.

* * *

وتأثر ضباط الجيش بحادث القصَّاصين، وتعاطفوا مع مليكهم، وهو من جانبه لم يغفل استمرارية تطبيق سياسة احتوائهم، فيدعو ممثلى جميع الرتب والوحدات من الضباط على مائدته الرمضانية، ولا يدعو وزيرهم الوفدى، ويزور الأسلحة المختلفة، ويواصل حضور المناورات، ويختار الضباط الشبان من أصحاب الرتب الصغيرة، ليتحدث معهم، ويقوى فيهم روح الانتماء له. وفى ذات مرة، وبينما كان يمسك بإحدى خرائط المناورة، وجد اسم كمال الدين حسين عليها، فطلب رؤيته، وتم ذلك فى الحال.

وبذلك استطاع فاروق أن يمارس القيادة على الجيش، وقد نجح إلى حد كبير فى استغلال الفرص، وتحقيق الخطة المرسومة، لكن ذلك لم يمنع أنه وجدت صعوبات، ولكنه كسب النقاط، الواحدة تلو الأخرى. وسرعان ما فرضت على الوزارة الإقالة الملكية الثانية، وقد قوبلت بالارتياح لدى الجيش، ومما لاشك فيه أن موقفه بجميع إيجابياته، كان سببا عمليا وجوهريا ومهما فى توهج فاروق إبَّان هذه الفترة.

تاسعًا ـ المشاغبة

بتولى الملك سلطاته الدستورية، حدث نوع من الهدنة مع بريطانيا بتوقيع معاهدة ١٩٣٦، وأيقن فاروق أنه أصبح ملكا على مصر التى حصلت على استقلالها، وما هو إلا وقت قصير وتنسحب قواتها من أرض الوطن نهائيا. وأشارت تصرفاته تجاه الإنجليز إلى أنه لم يكن من السهل أن ينطوى تحت لوائهم، حيث غمره إحساس المساواة، وكان ذلك فى حد ذاته عاملا له اعتباره لدى المصريين، الذين ألفوا شكلا مغايرا لنمط علاقة حكامهم بالإنجليز.

وقد كُتب على مصر أن يكون لامبسون سفيرا لبريطانيا فى القاهرة، وهو من غلاة المستعمرين، وله من الخبرة والتجارب والسن والكبرياء، ما يؤهله لتنفيذ سياسة دولته، فى وقت بدأت فيه السحب تظهر فى سماء السياسة الدولية، وغدا الغرب متربصا لما هو آت.

ووجد السفير البريطاني أمامه ملكا صغيراً ـ نعته في مراسلاته كثيرا بالولد ـ استطاع أن يستحوذ على شعبية لم يحصل عليها غيره ممن حكموا مصر. ومنذ اللحظة الأولى أدرك أن هذا الصبي له من الميول التي تنجرف به بعيدا عن الإنجليز، وذلك في وقت أقدم فيه فاروق على بعض تصرفات تنم عن نوع من الإهمال لممثل بريطانيا في مصر، مثل أن يجعله ينتظره مدة طويلة قبل اللقاء الملكي، إذ لم يكن يرتاح إليه. ومعلوم كيف كانت بريطانيا حريصة على احتواء فاروق قبل توليه العرش، وقد وضح ذلك من الحفاوة التي استقبل بها في بريطانيا في أثناء رحلته التعليمية والثقافية.

* * *

ومضت خطوات النفور بين السفير البريطاني والملك في طريقها، فعندما ألقى لامبسون كلمته في احتفالات تولي فاروق سلطاته الدستورية، رد عليه الملك باللغة الفرنسية برغم إجادته للإنجليزية، مما أثار غضب المسئولين البريطانيين، وبالطبع أسعدت المصريين هذه الحركة، إذ عشق فاروق منذ البداية مثل تلك الحركات.

والتقطت الخارجية البريطانية الاتجاه الملكي سريعا، وتوصلت إلى الدور الذي يجب أن يؤديه سفيرها، مبينة أن رجلا في مثل شباب فاروق، يكون أكثر انقيادا لشخص إيطالي لطيف، وأن الملك ورث عن أبيه تقريب الإيطاليين، وعليه فإن المستقبل سوف يثبت أنه سيكون موضع تهديد للمصالح البريطانية.

إذن فالعين البريطانية قد التقطت نوعية فاروق منذ اللحظة الأولى، ووضعت لمسألة الوجود الإيطالي في القصر الأهمية البالغة. كما خشيت لندن من ألا يذعن الملك لأي نصيحة إنجليزية، ويسلك الطريق الذي اتبعه الخديو عباس حلمي الثاني، عندما أثقل عليه اللورد كرومر بالنصيحة. وبالرغم من هذا الاتجاه، فإن لامبسون لم يتوقف عما أسداه لفاروق من نصائح، فما كان من الأخير إلا أن تظاهر بقبولها، وراح يصفها بأنها أشبه بمحاضرة يلقيها أستاذ ممل على تلميذه.

* * *

وبدأت مشاغبة فاروق لبريطانيا، فلم يلق أي اعتبار لوساطتها بشأن استمرار وزارة النحاس، برغم علمه بتعاطفها مع زعيم الوفد، مما جعل لندن تفكر في إمكانية خلعه عن العرش في هذا الوقت المبكر، ولكنها لم تقدم على ذلك، إذ حرصت على علاقتها معه، لتلك الشعبية الجارفة التي نالها، برغم ما أظهره من سوء نية تجاهها.

وحملت العلاقة بين الطرفين طابعا من الود الظاهرى. فعلى سبيل المثال، تتهز لندن فرصة زواج فاروق، ويقدم له الملك چورچ السادس هدية عبارة عن بندقيتين وبعض أدوات الرياضة، ويبعث إليه بخطاب تهنئة شخصى. ويستاء لامبسون مما تكتبه الصحافة البريطانية عن وصفها لفاروق بطريقة حسنة، ونقلها لمظاهر شعبيته، ويُبيِّن ما يفهم من ذلك أن بريطانيا تساند فاروقا ضد الوفد. والواقع أن خطابات السفير البريطانى لحكومته لم تكن تخلو ـ فى معظمها ـ من الذَّم فى الولد الذى يحكم مصر، فهو متهور وطائش وعديم الخبرة، وفى كل مرة لابد وأن يؤكد لامبسون على شكِّه فى إخلاصه لبريطانيا.

* * *

وكان فاروق على بيِّنة من التحسُّب البريطانى من إيطاليا، فقد سلك طريقا معاكسا، فيقوم برحلة إلى الصحراء الغربية التى هى على مقربة من الوجود الإيطالى فى ١٢ سبتمبر ١٩٣٨، ويلتقى مع البدو، ويقضى بعض الوقت فى السلوم، وينتقل إلى الحدود الليبية، حيث حيَّته الحامية الإيطالية. وعقب عودته، يطلب من لامبسون الإسراع بتسليح مصر، وفى هذا المغزى، وقد فهم المصريون ما وراء ذلك، وأصبح فاروق فى نظرهم، الحاكم صاحب الشخصية الذى لا يعاكس فقط رغبات الإنجليز، وإنما هو الوطنى الذى اختار طريق التحدى. وكان ذلك فى حد ذاته سببا قويا أسهم فى صناعته الشعبية.

وجاءت مسألة إيطاليى الحاشية، لتكون حجر عثرة فى علاقته مع بريطانيا. فمن المعروف أنه سار على درب أبيه، وظهرت عليه علامات الميول الإيطالية التى صبغت القصر بالطابع الإيطالى. ومنذ عهد فؤاد والسياسة البريطانية تسعى للحد من ذلك، ومع الظروف الدولية الجديدة التى راحت تشير إلى أن هناك سحبا لا تنذر بالخير، قلقت بريطانيا من أن تكون هناك صلة بين فاروق وإيطاليا عن طريق إيطاليى القصر المقربين إليه، خاصة مع انتشار الدعاية الألمانية فى مصر، إذ وجدت الآذان الصاغية بهدف التخلص من الإنجليز. وكان هناك خط مشترك فى ذلك الاتجاه، جمع كثيرين من المصريين مع مليكهم.

* * *

ومارست بريطانيا ضغوطها على فاروق لإبعاد إيطاليى الحاشية وبخاصة ڤيروتشى Verucci كبير المهندسين بالقصر، وكانت قد سبق وأبعدته فى أثناء فترة الوصاية، لكنه عاد مرة أخرى، وتذرع الملك بأن هذا الإيطالى فنان، ودحض ما انتشر من أقوال حول

اشتغاله بالسياسة، وأنه البوق للدعاية الإيطالية. وتعنَّت فاروق، ورفض الطلب البريطانى برغم تأزم الموقف مع قصر الدوبارة.

ويشكو السفير البريطانى لحكومته من عدم تبصر فاروق للأمور، لأن هذا المهندس الإيطالى يعمل على تمكين نفوذ دولته، وأن عودته للقصر تشير إلى عدم اهتمام الملك بما يسىء لبريطانيا. ويرفع القائد العام للقوات البريطانية بمصر تقريرا يُسطر فيه أن التأثير الذى يقوم به ڤيروتشى كبير، وأن وجوده صار خطرا يهدد المصالح البريطانية. ومن ثم رأت لندن أنه لابد من فصله، وأبلغت سفيرها باستخدام الشدة مع الملك، ولكن الأخير يرفض مرة أخرى، ويصر ليس فقط على بقائه، ولكن أيضا يُدخل معه إيطاليى القصر.

ويواصل فاروق طريقه ولا يبالى، إذ يقرر الاحتفال بإزاحة الستار عن تمثال جده الخديو إسماعيل فى ٤ ديسمبر ١٩٣٨، وتحضره الجالية الإيطالية، ورئيس مجلس الشيوخ الإيطالى الذى سلمه رسالتين من الملك ڤيكتور عمانويل وموسولينى، وفى أثناء الاحتفال ألقيت الخطب التى تناولت علاقة القصر بإيطاليا، مما زاد المسئولين البريطانيين شكا فى الملك.

* * *

وكادت الخارجية البريطانية تفقد أعصابها، وتؤكد على أن الوضع منذ أن تولى فاروق العرش يتدهور، وأنه يتبع الخط المعاكس لأبيه فيما يتعلق بتشبثه برأيه، ويرفض الدخول فى أى حديث سياسى مع السفير، وأنه لم تعد وجهة النظر الخاصة بإسناد هذا السلوك للجهل تفى بالغرض. ويعقد لامبسون المقارنة بين الوضع عقب إعلان الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ وخلع الخديو عباس حلمى الثانى عن العرش، والموقف الذى ينتهجه فاروق، وإمكانية اللجوء إلى الإجراء نفسه.

ويُعدِّد السفير البريطانى عيوب الملك، ويركز على الغرور، وأنه ليس على استعداد لأن يتصور أن مخاطبه ربما يعرف أكثر منه فى موضوع المناقشة، وأنه صلب الرأى، وجاهل، ومنقاد لمستشاريه. ويعرض لامبسون على لندن بعض طرق استمالته، مثل توجيه الدعوة له لزيارة بريطانيا، ومنحه وساما عاليا. ويلتقى بشريف صبرى، ويدور الحوار بينهما حول مشاكسة فاروق، فيبين الأخير أنه متفق مع نازلى على أن تصرفات ابنها قد تفقده عرشه.

وفى أثناء وجود رئيس الديوان فى لندن، التقاه أحد المسئولين، اعتماداً على أنه المحرِّك لعقلية فاروق، وأثار مسألة إبعاد ڤيروتشى، وبين مقدرة بريطانيا بشأن المحافظة على الأسرة العلوية، وأنها أمام العراقيل التى يضعها الملك أمامها، سيكون الأمر مختلفا تماما، وكان المقصود مفهومًا.

وتكاثرت الشكاوى على المسئولين البريطانيين من المتاعب الناجمة عن تصرفات فاروق، فهو لا يدعو ضباط الجيش البريطانى إلى حفلات القصر، ولا يحضر الاحتفالات البريطانية، بينما يحضر الأوبرا الإيطالية. ومن الطريف أنه لجأ إلى أعمال أثارت السفير البريطانى، مثلما فعل عندما أخرج لسانه له ولمصاحبيه فى أثناء حفل نادى الضباط الذى حضره ولى عهد اليونان. كما تم إلغاء حرس لامبسون المتمثل فى موكب راكبى الموتوسكلات، وعدم استقباله رسميا فى المديريات، مما كدَّره وزاد من نقمته على فاروق، فى الوقت الذى استحسن فيه المصريون مثل تلك التصرفات.

وكانت الخارجية البريطانية تتخوف من أن تقوم فى ذلك الحين بأى إجراء ضد فاروق، إذ أوضحت أن رؤية الشعب لفؤاد تختلف كلية عن رؤيته لفاروق، فالأب أجنبى، والابن مصرى، وأن الأخير كوَّن رصيدا شعبيا وافرا، وعليه فإن أى تصرف سيكون له الأثر فى الرأى العام، الذى سوف يلبى النداء ضد التدخل الأجنبى، وفى هذه الحالة سيظهر الملك الشاب كحاكم مستقل، يتفانى من أجل مصلحة بلده، ويرفض أن يكون أداة فى يد القوة الاستعمارية. وتعود وتبدى قلقها البالغ من مسلكه، وتشير إلى الخطورة من نمو عدم المسئولية، وانغماسه فى التأثر الإيطالى الألمانى، وأكدت على ضرورة خلق علاقة طيبة معه، حيث لديه الشجاعة والذكاء اللذان إذا استغلا سوف يساعدانه فى عمله الشاق.

* * *

واستخدم فاروق أسلوب المناورة، فيظهر لبريطانيا التخلى عن بعض تصلبه، ويعطيها بعضا من الأمان، حتى يخفف من موقفها تجاه إيطاليى القصر، وبخاصة ڤيروتشى، فيبين التزام مصر بمعاهدة التحالف، وذلك فى لقائه مع لامبسون، حيث دار حديث اتسم بالود، وكان فاروق لطيفًا للغاية مع السفير، وعندما نقل الأخير للخارجية البريطانية انطباعه الطيب، علَّقت بأنها تشتاق لأن ترى فيلمًا تصويريًا يلتقط صورة لفاروق بعد خروج السفير، وكيف كان يبدو، وما هى أقواله، بمعنى أنها تؤكد على أن باطنه غير ظاهره.

ويستقبل الملك القادة العسكريين البريطانيين، ويقوم ببعض الحركات الخاصة التى تُبدى أنه متعاون مع بريطانيا الحليفة، وينقل لهم تخوفه من هجوم المحور على الحدود الغربية لمصر. ولكنه لم يكن صادق النية، إذ سيطر عليه مبدأ تجنيب مصر ويلات الحرب، لأن فى تحييدها مكسبًا لها، وهو نفس الاتجاه الذى سرى بين المصريين.

وأراد فاروق أن يكسب من المحور مقابل هذا الحياد، وشجعته إيطاليا على ذلك، وبعثت له برسالة، أكد فيها الوزير الإيطالى المفوَّض بمصر أن بلده ليست لها أطماع فى مصر، وأنها تدخر حسن النوايا تجاهها، ولن تمس استقلالها بسوء، وأشار إلى الروابط القوية بين الأسرتين المالكتين فى مصر وإيطاليا. وتبع ذلك زيارة المارشال بالبو حاكم ليبيا إلى مصر ولقاؤه مع الملك. أيضا ربطت العلاقة بين فاروق وهتلر، وجامله الأخير فى مناسبات عدة، كذلك نشطت الدعاية الألمانية داخل مصر، ولكن علاقة فاروق بألمانيا لم تكن بقوة علاقته مع إيطاليا. وأمام ذلك، حاولت لندن استقطابه، وبحثت مرة أخرى عن الوسائل، وانحصرت فى دعوته لزيارة بريطانيا، ومنحه وسامًا عاليًا يعطيه رتبة عسكرية، ولم يكن ذلك اقتراحًا جديدًا. ولكن سرعان ما أعلنت الحرب، واتخذت مصر بعض الإجراءات مثل إعلان الأحكام العرفية، وقطع العلاقات الدبلوماسية مع ألمانيا، وإنشاء جيش مرابط على الحدود الغربية بقيادة عبد الرحمن عزام، وإعلان حياد مصر الذى صمم عليه فاروق.

* * *

وتنازعت فاروقا عدة اتجاهات، فهو يريد أن يوارى عداءه لبريطانيا جانبًا، وفى الوقت نفسه، يعمل بكل جهده لكى لا يظهر بمظهر الخنوع لها سواء أمام الشعب حتى لا يفقد تأييده وتظل صورته الوطنية مشرقة، أم أمام عيون المحور الذى قد يحل مكانها.

واستاءت لندن من وجود على ماهر وطاقمه، وبخاصة من يتولون المسئولية العسكرية، ولكن فاروقا أبدى الملاينة والمراوغة، وقام أحمد حسنين بدور فى ذلك، ومع هذا فإن المشاغبة الملكية استمرت. فعقب إعلان الحرب، يقوم فاروق بزيارة إلى الحدود الغربية، ليتفقد استحكامات خطوط الدفاع، ويستعرض القوات العسكرية المصرية والبريطانية، ويصطحب معه رئيس الوزراء ووزير الدفاع ورئيس الأركان وكبير الياوران وقائد الأسطول البحرى وقائد سلاح المدفعية، ويستقبل كبار عمد ومشايخ البدو، ويمنح كلا منهم بندقية، ويأمر بتوزيع كمية كبيرة من الشعير على السكان، ويعفيهم من العشور المقررة.

ويتأزم السفير البريطاني، ويذكر أن ذلك الشعور المعادى لبريطانيا والمتعاطف مع ألمانيا، أصبح لا يقتصر على القصر، وإنما امتد خارجه. ويُبيِّن كيف أن فاروقا يخضع لعلى ماهر، وبالتالى لابد من مواجهته، وفى حالة عصيانه، عليه أن يرحل، ولكن من الضرورى وضع الرأى العام والجيش فى الصورة، وفى هذه الحالة، فإن الظروف لا تشجع على استخدام القوة.

وحاول لامبسون جذب فاروق، واتصل ببعض المقربين له، والذين من الممكن أن يؤثروا عليه، مثل حسين سرى، وعمته نعمت مختار، ومع هذا أثار الملك السفير البريطانى على فترات متقاربة. فعلى سبيل المثال، فى أثناء قيامه برحلة صيد إلى الفيوم فى فبراير ١٩٤٠، مرَّ على استراحة لامبسون التى تقع على الطريق، فلم يجده، فترجَّل وتحدث مع الحارس الذى لم يعرفه فى البداية، وأشار فاروق إلى العلم المرفوع على المنزل، وسأله عن سبب عدم وضع العلم المصرى بجواره. ولما علم السفير البريطانى استاء للغاية، وعزا ملاحظة الملك إلى الغرور، وذكر أن ذلك سوف يكون له رد فعل فى المستقبل. وبطبيعة الحال فإنها - أى الملاحظة - تنم عن وطنية فاروق الذى أراد أن يرفرف علم مصر على منزل السفير.

* * *

وبضغط من بريطانيا، أقصى عزيز المصرى عن رئاسة الأركان، ، ووصل إيدن وزير الدولة للمستعمرات فى ١١ فبراير ١٩٤٠ ليبذل جهده فى استمالة فاروق، الذى طلب منه إمداد مصر بالأسلحة، وحاجتها إلى قرض مالى، وأنها لا تقل عن تركيا فيما تحصل عليه. ولكن لندن لم تستجب للطلب نظرا لظروف الحرب، وعبَّرت الخارجية البريطانية عن ضجرها من ملك مصر، وذكرت أنه يخلق لها مشكلة خطيرة قد تنمو وتصبح حادة، وأنه لابد من مزيد من الضغط عليه وتحجيمه.

ورأى فاروق أن يهدئ من الحالة، وتحسنت علاقته مع قصر الدوبارة بعض الشىء، وذلك خوفًا من الصدام، فقد كان يدرك قوة بريطانيا على إحلال غيره مكانه، وبخاصة أن الأمير محمد على كان جاهزًا، وعليه يستجيب لطلب لها، فيغادر ڤيروتشى مصر، لكنه يصر على استمرار باقى الإيطاليين فى القصر. بالإضافة إلى تشجيعه على تصرفات وزارة على ماهر التى أرَّقت بريطانيا وزادتها نقمة على الملك. ومثلما لقيت الدعاية الألمانية

الأرض الخصبة فى مصر قبيل الحرب، فإنه مع انتصارات ألمانيا فى ذلك الوقت، تحولت بوصلة الكثير من المصريين تجاهها، ليس تفضيلا لها عن بريطانيا، ولكن انتقاما من الأخيرة، وبالطبع فإن فاروقا حمل المشاعر نفسها.

* * *

ومع بداية شهر يونية ١٩٤٠ تأزم الموقف بين بريطانيا وفاروق، فلم تكن الأولى ترتاح لوزارة على ماهر التى ضمت عناصر لم ترض عنها، وكان فاروقا يناصرها، وذلك فى وقت غدا فيه الحلفاء فى موقف لا يحسدون عليه بعد تلك الانتصارات الألمانية. ولم يخف فاروق الشماتة، فهو يسخر من الإنجليز، ويطلق النكات التى ترفع من شأن عدوتهم.

وهنا أصبح على لندن حتمية التحرك، بفصم عرى العلاقة بين فاروق وعلى ماهر، وتراءى أمامها الوفد الذى بيده ميزان الأمور. وفى مقابلة للسفير البريطانى مع رئيس الوزراء هدف من ورائها إلى حصول الموافقة على إعلان مصر الحرب على المحور. وبناء على ما دار بينهما من حديث، تأكد السفير من تشدد محدثه، وعليه رأى أن وقت التغيير قد حان، وإذا رفض الملك يُهَدَّد أن يختار إما إبعاد رئيس حكومته وإما تنازله عن العرش، وفى الحالة الأخيرة، فهناك الأمير محمد على الذى هو تحت الطلب. وعلى جانب آخر يتحدى فاروق، ويرتدى زى المارشالية، ويستقبل رئيس الوزراء ووزير الدفاع، لبحث تطورات الموقف فى ضوء حتمية هزيمة الحلفاء.

وتكثَّفت الاتصالات بين السفير البريطانى والقائد العام للقوات البريطانية فى الشرق الأوسط، للإعداد للخطوة القادمة. ووافقت لندن على ضرورة الإطاحة بوزارة على ماهر، ولكنها لم تحبذ وزارة وفدية خالصة، خشية إثارة القوى المعارضة.

* * *

وفى ١٧ يونية، التقى لامبسون بفاروق، وطلب منه إبعاد على ماهر عن الوزارة ورئاسة الديوان، مبيِّنا أن بريطانيا تريد حكومة متعاونة، ولا تشترط أن تكون وفدية، وأوضح له أن القائد العام البريطانى ينتظر الرد، وفى ذلك ما يعنى التلميح باستخدام القوة. ولم يكن الملك مستمعًا فقط فى هذه المقابلة، ولم يستسلم على طول الخط، وإنما أيضا تحدث عن موقف الحلفاء الضعيف والمهزوم، وتلك الانتصارات المدوية للمحور. وعلى أى حال، فإن ما حدث كان أول إنذار بريطانى يحمل التهديد باستخدام القوة فى فرض المطالب البريطانية، ويعد تجربة لما سوف يأتى فى يوم ٤ فبراير ١٩٤٢.

ولم يقف فاروق موقفا سلبيّا، فقد بعث برسالة احتجاج إلى الملك البريطانى، ينتقد فيها تصرفات لامبسون، ويعترض على تهديده، مشيرا إلى أن وزارته حائزة على ثقة البرلمان، وأن مطلب مصر هو جيش قوى مثلما كان لها فى الماضى، وأن السفير لا يفهم دوره فى المعاهدة، ويجب عليه ألا يتدخل فى الأعمال الداخلية، ويحترم استقلال مصر. وينهى رسالته بتعاون الشعب والحكومة مع بريطانيا، وكان ذلك مما يحسب لفاروق. وجاء رد لندن بأن ما أقدم عليه سفيرها يرجع إلى تعليماتها، ثم توالت باقى التعليمات على مصر تفيد باستخدام القوة فى حالة العناد الملكى، وذلك برغم أن الموقف العسكرى لم يكن يشجع الإقدام على عزل فاروق.

* * *

وعادت لندن ورأت أن التهديد سيؤدى إلى خرق المعاهدة، ويضر بالمصالح البريطانية، وعليه سُلِّمت رسالة لفاروق من الملك البريطانى يشكره فيها على التعاون ويتعرض للظروف الدولية الحرجة، وينصح بأن تكون لمصر حكومة لها المواصفات التى تتخذ موقفا إيجابيا فى مواجهة إيطاليا.

ويبعث لامبسون لوزير خارجيته يبلغه بأن فاروقا لا يقبل النصيحة، ويحثه على انتهاز الفرصة، واستخدام القوة. وتراجَع الحسابات مرة أخرى، ويأتى الرد من لندن بتأييد ما اقترحه سفيرها إذا أصر الملك على التمسك بعلى ماهر، وأنه إذا تنازل عن العرش، لا يسمح له بالمغادرة حتى لا تحتضنه إيطاليا، ويطالب بالعرش.

وأصبح الوضع شائكًا، وعليه قدَّم على ماهر استقالة وزارته، واجتمع فاروق مع كبار السياسيين، ثم استقبل لامبسون الذى طلب منه حكومة قوية تنفذ بنود المعاهدة، واشترط تأييد النحاس لها، وانضم القائد العام البريطانى للجلسة، وهنا بدت على الملك العظمة ولم يهتز. وبعد اللقاء يكتب السفير البريطانى لحكومته بأن الموقف سينتهى دون عزله، وإن كان ذلك سوف يحدث قريبا.

واستدعى فاروق رؤساء الأحزاب للتشاور حول رئيس الوزراء الجديد، ورفض النحاس تشكيل وزارة قومية أو حتى وزارة وفدية، وصدر الأمر الملكى فى ٢٧ يونية بقبول استقالة وزارة على ماهر، وصدر أمر آخر لحسن صبرى بتشكيل الوزارة.

* * *

استمر فاروق في مشاغبته، وبخاصة فيما يتعلق بحاشيته الإيطالية وعلاقته بعلى ماهر. وراح يستخف ببريطانيا، ويهلّل لانتصارات المحور، ويشيد بإيطاليا، وتبدو عليه الفرحة والبهجة عند هزيمة الإنجليز، وفشلت كلية محاولات لامبسون في جعله يتعاطف مع الحلفاء.

وحضر إيدن مرة ثانية إلى مصر في ١٤ أكتوبر ١٩٤٠، علّه يُغيرّ من الموقف الملكى، ولكنه خرج بانطباع يفيد بعدم تعاون فاروق مع بريطانيا، وأنه يخلق العقبات أمامها. ويكرر السفير البريطاني اقتراحه الخاص بإجباره على التنازل عن العرش للأسباب نفسها، ولكن الخوف من شبح ثورة ١٩١٩ كان ماثلاً أمام بريطانيا، وبالذات ليقينها من توهُّج الملك وخطورة إجراء أى عمل يثير المصريين، بالإضافة إلى حاجتها للتعاون المصرى إبَّان هذه الفترة الحرجة.

وجرت محاولات من أحمد حسنين رئيس الديوان وحسين سرى رئيس الوزراء للتخفيف من جفاء العلاقات بين الطرفين، ولكنها أثمرت سطحيا فقط في مجالات مختلفة، وتوالت مراسلات السفير البريطاني للندن لتظهر استمرار فاروق على اعتقاده بانتصار ألمانيا، وأنه لابد من الإطاحة به.

* * *

ووصل إيدن إلى القاهرة للمرة الثالثة في ٢٠ فبراير ١٩٤١ في محاولة لجعل تأييد الملك إيجابيّا. ولم يكن الأخير يرتاح لمثل تلك المقابلات، وأظهر مرارته في أثناء هذا اللقاء، وتكلم بشأن أن جميع عقود الجيش البريطاني تُجْرَى مع يهود، في وقت يغفل فيه التعاقد مع المصريين. ولم تسفر الزيارة عن نتائج للصالح البريطاني، ووصفها لامبسون بأنها لم تكن مجدية واتسمت بالسلبية، وراح يشكو من الملك، وبأنه يشجع إثارة الشعور الوطني، مما نتج عنه، تصاعد الحركة العدائية ضد بريطانيا، ويُبيِّن كيف أنه ضد سياسة التوسع في إنتاج الحبوب على حساب القطن - احتاجت بريطانيا للمحصول الأول لتموين جيوش إمبراطوريتها - ويُنبِّه السفير البريطاني إلى أن ما يقدم عليه الملك يشكل خطرا على قاعدة الشرق الأوسط، وبالتالي لابد إما إرغامه على الركوع وإما خلعه عن العرش. ومما لاشك فيه أن فاروقا قد صمد وعاكس السياسة البريطانية، مما أضاف له الحسنات لدى الشعب.

* * *

حاول فاروق أن يتعامل بطريقه دبلوماسية معينة مع بريطانيا، حتى يبعد بقدر استطاعته ما يقوم به ضدها وفقا لهندسة على ماهر الذى يصفه لامبسون بأنه «ناسج خيوط العنكبوت». ومع بداية عام ١٩٤٢، والى المحور الانتصارات، وتلقى الحلفاء الهزائم، وثار فاروق مما أقدمت عليه حكومة حسين سرى فى أثناء غيابه بوقف العلاقات مع حكومة ڤيشى، مصرحًا بأن ذلك ليس فى مصلحة مصر، وأن الإنجليز يتلقون الضربات القاصمة فى الصحراء الغربية.

وفى أول فبراير، خرجت المظاهرات تهتف لرومل وفاروق، وتأجَّج الموقف، وأشاد الناس بشخصية مليكهم، وسرى بينهم تماما الشعور المعادى للإنجليز، وظهرت الأعلام الإيطالية على أسطح المنازل وفى نوافذها. وأصبح فاروق مهيئًا لتسليم على ماهر أو أحد أعوانه زمام حكومته، وذلك حتى تكون موالية للمحور عند دخول قواته مصر.

* * *

وجرت الاتصالات بين السفير البريطانى وحسين سرى، واتفقا على استدعاء النحاس لتشكيل الوزارة، ووصلت التعليمات من لندن لتوافق على ذلك، لأنه الرجل المناسب فى تلك الظروف الصعبة. والواقع أن ذلك الأمر لم يكن يغيب عن بريطانيا منذ الإقالة الملكية الأولى للوزارة الوفدية، ولكنه أصبح فى هذه اللحظة ضرورة ملحة لكسر شوكة فاروق، وإنقاذ الموقف المنهار.

ولم يكن هناك منفذ إلا سرعة التصرف، فوضعت خطة محكمة، تضمنت أن تحاصر القوات البريطانية قصر عابدين لإرهاب الحرس الملكى، وأن تكون على استعداد لاستخدام القوة. وإذا رفض الملك تكليف النحاس بتشكيل الوزارة، يطلب منه التنازل عن العرش، وحين يأبى يعزل، ويعين الأمير محمد على ملكًا على مصر، وإذا رفض وهو ما لا ينتظر لأنه قلبا وقالبا مع الإنجليز، تحكم مصر حكمًا عسكريا حتى تنتظم الأمور.

* * *

وفى ٢ فبراير، أضرب طلبة الجامعة، وامتلأت بهم الشوارع، وأخذ وفد منهم طريقه إلى القصر، وطالب الملك بأن يكون على ماهر رئيسا للوزارة، وإطلاق سراح عزيز المصرى وجميع المسجونين السياسيين، وعدم تدخل بريطانيا فى شئون مصر الداخلية. وفى أثناء ذلك قدَّم حسين سرى استقالة وزارته، وجمع فاروق رؤساء الأحزاب وكبار

السياسيين بعد ظهر ٣ فبراير للتشاور فى تشكيل وزارة قومية، وعارض النحاس وصمم على أن تكون وفدية.

ومع صباح ٤ فبراير، تم الاتفاق فى مقر القيادة البريطانية على أنه فى حالة عدم رد الملك على تكليف النحاس حتى السادسة مساء، يصطحب السفير البريطانى القائد العام لمقابلة فاروق، وعليه إما أن ينفِّذ وإما أن يوقِّع على وثيقة التنازل عن العرش، وفى الحالة الأخيرة يكون سفره على إحدى السفن الراسية فى السويس إلى المنفى، واستُبعدت سيشل - لما لها من ذكريات مرتبطة بثورة المصريين - وفُضِّلت كندا.

وكان على فاروق أن يرد قبل انتهاء موعد المهلة، وذلك فى وقت التهبت فيه المشاعر، وعلت الهتافات ضد بريطانيا، ولصالح فاروق، الذى جمع من سبق أن اجتمع بهم، وتعنَّت النحاس فى موقفه، وما لبث أن نُفِّذ سيناريو حادث ٤ فبراير.

* * *

حضر السفير البريطانى بصحبة الجنرال ستون وبعض الضباط البريطانيين المسلحين إلى القصر، وقد أخذت المدرَّعات والمصفَّحات مكانها حول القصر، وعلى متنها ٢٢٥٠ جنديا. وبعد وصول لامبسون بخمس دقائق، استدعى إلى غرفة الملك، ودخل معه الجنرال، وطلب فاروق الإبقاء على أحمد حسنين، وبدأ الحديث بين الطرفين، وبيَّن لامبسون لفاروق أن رده على رسالته الصباحية قد تأخر، وجاء مراوغًا، فحاول أن يجادله، ولكن السفير البريطانى أوقف بسرعة هذا الأسلوب، وأوضح له خطورة الموقف، وسرد عليه جميع أفعاله المضادة للإنجليز، وانتهى إلى القول «وكل هذا يُبيِّن بوضوح، عدم صلاحية جلالتكم أكثر من ذلك للبقاء على العرش». وسلَّمه وثيقة التنازل عن العرش. وكان موقفا صعبًا، وصمت فاروق، وبدفعة من أحمد حسنين، طلب فرصة حتى يحقق الطلب البريطانى. وتحقق، وتم تشكيل النحاس للوزارة.

والسؤال الذى يطرح نفسه: هل وافق فاروق على الطلب البريطانى لإنقاذ عرشه؟ أم كما ذكر ليمنع إهدار الدماء فى شوارع القاهرة؟

مما لا ريب فيه أن فقدان التاج يمثل الضياع، والتمسك به يُعَدّ الوضع الطبيعى، وذلك فى الظروف العادية، ولكن مع استخدام القوة الأجنبية فى التنفيذ، يكون استمرا

التربع على العرش خنوعا . ولم تكن هذه المرة الأولى، وإنما حدثت تجربة سابقة مصغرة، وأذعن فاروق إبَّان أزمة يونية ١٩٤٠ ، أيضا فإن الخطة البريطانية اشتملت على اختيار شخصية أخرى لعرش مصر ، ولم يكن ذلك بجديد، إذ إن لندن فى أعقاب قيام الحرب العالمية الأولى قد أقدمت على تلك الخطوة، وبالتالى مثل ذلك أمام فاروق الذى استسلم للإنجليز، رغبة فى أن يظل ملكًا.

* * *

ولم يؤثر حادث ٤ فبراير فى فاروق وحده، وإنما ساء المصريين جميعا، ماعدا الوفديين، الذين استعادوا السلطة. وانتاب الملك الخوف وسيطر عليه بعد أن هزمه التحالف البريطانى الوفدى، ولكنه لم يستطع المعارضة بعد أن وُضِعَ حد السيف على رقبته. ولم يغفر للسفير البريطانى ما أقدم عليه، واستمر فى جفائه له، وتدخل الوسطاء داخل مصر وخارجها من أجل إزالة ما يعكر الأجواء، وبرغم ذلك اتسمت المقابلات الملكية بالفتور، وتخلل بعضها التعالى الملكى، الذى فاضت به كتابات لامبسون لحكومته.

ويسوِّف فاروق فى مسألة إبعاد إيطاليى القصر، ويتحدث عن الانتصارات الألمانية واليابانية. ويضغط من النحاس، استبعد بعض عناصر الحاشية الإيطالية، وتم اعتقال على ماهر. ومع تأزم الأوضاع الحربية، وتوقع انهيار مصر، رأت السياسة البريطانية الانسحاب للخرطوم، ولكن ذلك لقى المعارضة من الملك، الذى انتعش من جديد للعمل ضد الإنجليز.

وفى الفترة التى تظاهر فيها بالتودد تجاه بريطانيا، والتقى مع تشرشل Churchill فى ٥ أغسطس ١٩٤٢ ، أجرى اتصالات مع المحور، وكان الإنجليز يعلمون جيداً مدى كرهه لهم، وامتلأت مراسلات لامبسون بتسجيل هذا العداء، وبين أن الامتياز الذى حصل عليه، وأعطاه صورة الحاكم الوطنى، يتمثل فى أنه لم يُثَبَّت على العرش بواسطة الإنجليز مثل من سبقه، وأن التأثير المحيط به قد تمكن منه، ومن الصعب القضاء عليه. ووضح الانحياز البريطانى لحكومة الوفد، وخاصة فى أثناء نزاعها مع القصر.

* * *

وانقلب ميزان القوى فى ٢٣ أكتوبر ١٩٤٢ مع انتصار مونتجمرى على رومل فى العلمين، حيث اشتد ساعد بريطانيا، وانكسر جناح فاروق، الذى لبى طلبات قصر الدوبارة، فأبعد الإيطاليين من قصره ماعدا أربعة مقربين له، وأحال عبد الوهاب طلعت وكيل الديوان إلى المعاش، كما أظهر بعض أشكال التقارب لبريطانيا، علَّها تقف بجواره ضد الوزارة الوفدية. أيضًا فقد رأى السفير البريطانى أن موقف فاروق الذى بدا وديا تجاه دولته، سيكون فى صالحها، لأنه سيعمل على إخماد الروح المتَّقدة ضدها.

ومرة أخرى يلتقى فاروق مع تشرشل أثناء وجوده بمصر فى ٢٦ يناير ١٩٤٣، ويتحدثان عن الإصلاح الاجتماعى، ويذكر رئيس الوزراء البريطانى كيف أن الحاجة ملحة لتحسين ظروف الفقراء فى مصر. وأراد الملك أن ينتهز الفرصة، وأشار إلى مساحات الأرض غرب مصر، وبخاصة برقة، فرد عليه تشرشل بأنها كانت خاضعة لتركيا، وعليه ركز فاروق على جغبوب وبردية، رغبة منه فى تعويض مصر للدور الذى تقوم به فى الحرب.

* * *

وتأخذ مجاملات فاروق طريقها، إذ وضع فى حسبانه ألا تعرقل بريطانيا خطوته فى إقالة الوزارة الوفدية فى أعقاب أزمة الكتاب الأسود. ولكن الوقت لم يكن قد حان بعد، حيث مازالت المساندة البريطانية للوزارة قائمة، لدرجة إمكانية استخدام القوة عند الضرورة، لتجنب إقالتها. وذلك نظرا لما تقدمه من خدمات لبريطانيا، بالإضافة إلى أن مسألة اكتساب فاروق إلى جانبها، كان أمرا مُعقَّدا. ونقلت لندن الرأى لسفيرها بإسداء النصيحة للملك لاستبعاد الإقالة، وتحسين العلاقة معه لأن قهره يضر بالمصالح البريطانية، وذلك للشعبية التى يتمتع بها، والتى ستحوله فى حالة استخدام القوة للمرة الثانية إلى بطل حام لحقوق الشعب. وأرجأ الملك الإقالة إلى حين، وحسَّن علاقته مع قصر الدوبارة، واستقبل بترحاب الزوَّار الإنجليز بمن فيهم إيدن. وعندما وقعت حادثة القصَّاصين، جامله البريطانيون، ولكن الأمر لم يستمر طويلا على هذا المنوال.

* * *

ومع بداية عام ١٩٤٤، وعندما تفاقمت العلاقة بين الملك ورئيس حكومته، اتهم لامبسون فاروقا ورئيس ديوانه بإشعال الموقف، وما فى ذلك من تضاد للسياسة

البريطانية. وحاول الملك بكل دهاء أن يستحوذ على الموافقة البريطانية بشأن إقالة الوزارة، وكان قد استحضر أحمد حسنين ليخلف الوزارة القائمة. وتفرَّعت المشاورات البريطانية، وانتهت إلى أن الظروف قد طرأ عليها تغييرات عن وقت حادث ٤ فبراير، وتكرر القول نفسه الخاص بأن يوضع فى الحسبان شعبية الملك. وهدأت الأزمة بعض الوقت، ولكن خطة الإقالة لم تغب عن ذهن فاروق، الذى راح يعيد أمام السفير البريطانى وبحدة أن فى مصر ملكا واحدا، ولا يمكن أن يكون النحاس ملكًا ثانيًا. وهذا دفع كيلرن إلى أن يذكر لحكومته أن فاروقا فى أثناء مناقشاته السياسية يصبح فى غاية العنف. وكما هو واضح فإنه لم يستسلم برغم ما حدث له وظل مشاغبًا.

وانتهز فاروق قيام عدوه كيلرن بإجازته، وقرر القيام بضربته، والإطاحة بحكومته، مستغلاً تراخى بريطانيا آنذاك، فى وقت مضى فيه النحاس يعاكس السياسة البريطانية، فيما يتعلق بتعديل المعاهدة، ومن ثم تمت الإقالة الملكية الثانية للوزارة الوفدية.

* * *

كان من بين الأوراق التى استخدمها فاروق فى مشاغبته بريطانيا، وأثرت فيها بشكل عميق، أن رنا ببصره ناحية الولايات المتحدة الأمريكية. ومنذ البداية، فإن صانعى شخصيته لم يغفلوا عن تلك القوة الجديدة التى ظهرت على الساحة الدولية، ولها المميزات التى يمكن لمصر أن تستفيد منها. فهى تمثل قوة فى حصر المد الشيوعى مع حليفتها بريطانيا، وفى الوقت نفسه، فإنه ربما تكون عونا لمصر فى كفاحها ضد الأخيرة. ومن هذا المنطلق بدأ نوع من العلاقات بين القاهرة وواشنطن، وكان فى شكل محدود، اعتمد على المجاملات.

وعندما نشبت الحرب، ووضح جليا التعاون الأمريكى مع الحلفاء من جهة، والميول المحورية لفاروق من جهة أخرى، جعل ذلك واشنطن تتبنى وجهة النظر البريطانية فى هذا الصدد، فى وقت اعتقد فيه الملك أنه يمكن الاعتماد عليها ليتحدى لندن، وكان طموحا للدرجة اعتقاده بإمكانية أن يوقع الشقاق بينهما. ولكنه أدرك فشل ذلك مع حادث ٤ فبراير، وقت أن استدعى الوزير الأمريكى المفوض كيرك Kirk بعد تسلمه الإنذار البريطانى، فلم يجد منه أى تجاوب، واستشف تأييده للتصرف البريطانى على أساس رفض واشنطن أن تبدو فى صورة الدولة التى تتدخل فى منطقة النفوذ البريطانى، ولكنها

فى الحين ذاته لم تكن ترغب فى إرغام الملك على التنازل عن عرشه، لانعكاس ذلك على أوضاع مصر الداخلية، وإمكانية تصاعد الاضطرابات والحالة الحربية تمر بمرحلة خطيرة.

لم يؤثر هذا الموقف فى فاروق كلية، إذ غمره الأمل بأنه من المحتمل مع الأيام أن تقدم له الولايات المتحدة المساعدة ضد عدوته. ووجد الراحة مع القادة العسكريين الأمريكيين- كانوا من أدوات واشنطن فى تنفيذ سياستها المستقبلية- أكثر مما وجدها مع زملائهم البريطانيين، وعليه كثرت تبرعاته للقوات الأمريكية، مما يثير لامبسون وهو ما يتوق إليه فاروق، ويواصل مجاملاته للأمريكيين بطرق أخرى تختلف عن مثيلاتها للبريطانيين، وكان يحصل على المقابل. فعلى سبيل المثال بعد مقابلة ملكية مع أعضاء الكونجرس فى ١٨ أغسطس ١٩٤٣، يدلون بتصريحاتهم للصحافة عن انبهارهم بشخصية ملك مصر، وكيف أنه العنوان الصادق لمصر والمصريين، وأن الأمانى التى يدخرها لشعبه لا حدود لها، ويعرِّجون على أوجه التعاون بين واشنطن والقاهرة فى المستقبل. وكالعادة فإن السفير البريطانى لم يستطع أن يكظم غيظه، ويشكو لحكومته، وفى الوقت ذاته، فإن ذلك عمل على زيادة أسهم فاروق فى التوهُّج.

وتصادف أنه فى أثناء انعقاد المؤتمر الثلاثى للرؤساء الذى ضم روزفلت وتشرشل وشيانغ كاى شك فى مينا هاوس إبَّان شهر نوفمبر ١٩٤٣ أن كان فاروق فى القصَّاصين عندما وقعت له الحادثة. وقرر الرئيس الأمريكى زيارته، ولكن منعته ظروفه، فأرسل إليه تهنئته بسلامته، ووجه إليه الدعوة لزيارة الولايات المتحدة، مما كدر السفير البريطانى وزاد من حنقه على الملك.

* * *

وفى عام ١٩٤٤، توطدت الصلة بشكل كامل بين فاروق والضباط الأمريكيين، وكان يصحبهم معه إلى أوبرج الأهرام. وتشكو القيادة العسكرية البريطانية للسفارة من تلك العلاقة الاجتماعية الحميمة التى ربطت الملك بالضباط الأمريكيين ويفتقدها الضباط البريطانيون، ومن ثم يتبيَّن القلق الذى انتاب المسئولين الإنجليز وبخاصة وقت الأزمات مع فاروق والتى قلما ندرت.

وأدرك الملك ذلك، فكان كلما شعر بثقل التسلط البريطانى عليه، اندفع بقوة تجاه الأمريكيين، فقد طلب من السلطات الحربية الأمريكية أسلحة لحرسه الخاص، وعدَّ كيلرن

هذا الطلب غريبا، وأنه لم يتخذ فيه الإجراء السليم، إذ لم يعلم عنه وزير الدفاع أى شىء. وقد أثار ذلك الخارجية البريطانية، وغضبت على فاروق.

ورصد كيلرن التحركات الملكية تجاه العسكريين الأمريكيين، وبخاصة الملحق العسكرى وزوجته، إذ كان فاروق يتردد على منزلهما، ويذهب معهما إلى نادى الصيد، ويستحم معهما فى حمام السباحة بالقصر. أيضا فإنه يصحب معه أمريكيين وأمريكيات إلى الفيوم، ويهتم بفتيات الصليب الأحمر الأمريكى. ويؤكد السفير البريطانى أن مثل تلك الأفعال التى يقوم بها الملك هى بقصد تحويل الأمريكيين عن بريطانيا، والعمل ضدها. وبذلك تمكن فاروق من أن يشاغب بريطانيا عن طريق فتح الباب لواشنطن.

* * *

وبرغم توطد الصلات بين فاروق والأمريكيين، فإن الأمر لم يتعد سوى العلاقات الاجتماعية إبان هذه الفترة. أما الناحية السياسية، فقد حاول الملك الوصول إليها، ولكنه فشل. فقد حدث أنه فى أعقاب أزمة الكتاب الأسود، وعندما رفضت بريطانيا تحقيق الرغبة الملكية فى إنهاء عمر الوزارة الوفدية، لجأ إلى السفارة الأمريكية لعلَّها تؤازره، فيرفض الوزير الأمريكى المفوَّض التدخل، ويرى أنها مسألة داخلية، ولكنه فى الحين نفسه يوصِّل له معلومة عن طريق الملحق العسكرى الأمريكى بإنهاء الخلاف مع حكومته، لما فيه المصلحة، وأن تعنُّته له خطورته ليس فقط عليه، وإنما أيضًا على شعبه، وبالتالى فهم فاروق الموقف الأنجلو أمريكى الموحد تجاه الأمور التى تخص الحليفة بريطانيا. ولكنه على أى حال نجح فى مغازلته للأمريكيين، واستطاع أن يسبب المتاعب للإنجليز، مما أضفى عليه المشاعر الى اتفقت مع أدبيات تألقه.

* * *

كانت هذه هى السمة الواضحة التى طغت على فاروق تجاه علاقته ببريطانيا، وكما بدا فإنه لم يستسلم لها على طول الخط، إلا فى الأوقات العصيبة التى تكاد تفقده عرشه، وماعدا ذلك، يتَّبع فى بعض الأحيان سياسة المداراة التى يجيدها لأغراض فى نفسه. ومن المؤكد أن الطريق المضاد لبريطانيا برغم ما اعتراه من نتوءات، فإنه أسهم بدور إيجابى لرفع مكانته لدى الشعب. ومع أن هناك مهندسين شيدوا هذا الاتجاه، فقد تمتع فاروق بحس وطنى، ولم يدخل تحت عباءة الإنجليز مثلما فعل غيره من الحكام سواء فى مصر أم

خارجها، وتمكن بمهارة من أن يكون مشاغبًا، ويُشغل ويُحيِّر السياسة البريطانية طوال هذه السنوات.

وبذلك يتبين أن الفترة الممتدة منذ تولى فاروق العرش وحتى إقالته الثانية للوزارة الوفدية، تُعد الوجه الأول له، لما اكتسبه من تأييد ومساندة شعبية أوصلته إلى مرحلة التوهُّج، بعد أن استغل كل العوامل المساعدة على تحقيق ذلك. وبالرغم من تعدياته على الدستور، فإن هذا لم يمثِّل معوقا لما أغدقه عليه المصريون، حيث إن الظروف التى قدمت خدماتها له، قد دفعتهم لذلك. ولكن الأمر لم يستمر طويلا، لأن مليكهم تحول وأدار لهم ظهره، لتبدأ مرحلة مختلفة لوجه آخر لفاروق حكم به مصر، وأسفر عن أن الشعب الذى رفعه إلى أعلى هوى به إلى أسفل.

٣ـ الآخـــــر

أولاً ـ التحـــوُّل

ثانيًا ـ الجـــزاء

ثالثـًا ـ البحث عن تعويض

رابعـًا ـ التأرجُح

خامسًا ـ العنـــاد

سادسًا ـ التصدُّع

سابعًا ـ السلوكيات الشخصية

ثامنـًا ـ الانهيـــار

تُشكِّل الفترة الممتدة من ٨ أكتوبر ١٩٤٤، وهو تاريخ الإقالة الملكية الثانية للوزارة الوفدية إلى ٢٦ يولية ١٩٥٢ يوم الرحيل الأخير لفاروق بعد تنازله عن العرش لولى عهده، مرحلة الآخر، تلك التى جرت فى روافدها مياه كثيرة غير صالحة، وصبت فى بحر تلاطمت فيه الأمواج، واختلفت صورة فاروق، حيث تحول إلى آخر، بعد أن انتهج سياسة مختلفة، وصلت به إلى الهاوية.

أولاً- التحـــوُّل

عقب انتصار فاروق على الوفد، وبعد أن امتلأ قلبه حقدا على النحاس، قرر ألا يدع ثغرة تمكِّن الأخير من العودة إلى الحكم، وبخاصة أن الظروف الدولية تغيرت، وقد استطاع أن يستغلها لصالحه. كما أن أثر الجرح العميق الذى تركه فى نفسه حادث ٤ فبراير لم يلتئم، ولم تبرح وقائعه أمام عينيه، ولازمته حتى أخريات أيام حياته. وكان لذلك نتائجه عليه سواء فيما يتعلق بمسلكه الخاص أم بسياسته العامة.

ووفقًا لما طرأ على داخله، أصبح هناك تغيير، وبالتالى انعكس على الأسس التى اعتمد عليها فى فترته السابقة، وكان أبرزها بداية لأفول التوهُّج الذى لازمه واعتمد على الجماهير، تلك الى رزحت تحت أعباء سوء الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية. أيضا فإن انتصار الحلفاء، طرح استفسارات تعلقت بالمصير، فيما يختص بجلاء بريطانيا عن مصر، وذلك فى وقت أدرك فيه المصريون أن صورة ملك البلاد قد اتخذت أشكالاً مختلفة، ولم تعد الصورة الواعدة التى تبشر بمستقبل يحتضن كل الآمال المشرقة.

ومما دعَّم من هذا الاتجاه، أن الشخصيات التى أسهمت بدور رئيسى فى التعبئة الشعبية لصالح الملك، فقدت دورها الموجه، وذلك بتوارى بعضها مثل على ماهر وأتباعه، أو باختفاء أحمد حسنين من الساحة بمغادرته الحياة، أو بانضمام وجوه جديدة إلى الحاشية لها سمات وأغراض مختلفة.

* * *

أعدَّ فاروق خطته، وجاءت فى مقدمتها أن يكون الآمر الناهى، وأن يجعل السيادة دستوره، ويمارس من خلالها الأوتقراطية المستفزة. وتعدَّدت أساليب ذلك، ووجد فى السياسيين القدامى التعاون والمؤازرة. والواقع أن الأحزاب التقليدية - الأحرار الدستوريين، الهيئة السعدية، الكتلة، الوطنى - بعد إقالة الوفد عُدَّت بمثابة الجبهة المساندة للملك، بعد أن استسلمت له، وانتهجت أسلوب المحاباة إزاء تصرفاته، فأثنت عليه، وعظَّمته، وأشادت بمناقبه. ومن منطلق شغل هذه الأحزاب للمناصب الوزارية، غدت طوع إرادة فاروق، الذى نجح فى استخدامها لصالحه تمامًا. كذلك فإنها شكَّلت جبهة معارضة للوفد، وسخَّرت صحافتها جيدًا فى هذا الميدان، وأصبح ذلك بيت القصيد للملك بعد أن بدأ يفقد المؤهلات التى سبق أن امتلكها واستمتع بها.

* * *

واستُهلت البداية مع أحمد ماهر الذى شكَّل وزارته فى ٨ أكتوبر ١٩٤٤، ونفَّذ الرغبات الملكية، وأجرى الانتخابات، واستبعد الوفد وحاربه، وشجع فاروقا على التبحر فى ممارسة استبداده، والعصف بالتقاليد الدستورية، فهو يسافر إلى السعودية، ويجتمع بالملك عبد العزيز بن سعود فى رضوى من غير أن يُشكِّل مجلس وصاية يقوم مقامه فى أثناء غيابه، ودون علم رئيس الوزراء، أو وجود ممثل للحكومة معه. وكرَّر الأسلوب نفسه فى اجتماعه بالرئيس الأمريكى على ظهر بارجة حربية بمياه البحيرات المرَّة، ولم تمثَّل الحكومة أيضًا فى هذا الاجتماع، برغم سمته السياسية. وبذلك تمادى فاروق فى أفعاله. ومع هذا بذل أحمد ماهر الجهود فى توظيف الدعاية الملكية عن طريق الصحافة، ومظاهرات العمَّال، ولكنها افتقدت ما كان لها فيما سبق من بريق وتأجج. ولم يمهل القدر رئيس الوزراء إذ اغتيل عقب إعلانه فى مجلس النواب دخول مصر الحرب مع الحلفاء فى ٢٤ فبراير ١٩٤٥.

* * *

وكلَّف الملك النقراشى بتشكيل الوزارة فى اليوم نفسه، وانطلق الأخير فى إشاداته بصفات الفاروق، فهو زعيم للملكية دستورية، ويعمل على تقدم مصر الاقتصادى والاجتماعى والثقافى. وفى خضم الأزمات التى تعرضت لها الوزارة، تركها فاروق وخرج فى رحلة بحرية عبر البحر الأحمر دون أن تدرى الحكومة طبيعتها أو مدتها.

وانتـقل فـاروق إلى نقطة أخـرى من خطتـه ، بعـد أن بدأت تلوح أمـامـه اضطرابات الشعب ، وأحس أن ما اكتنزه من شعبية بدأ يتسرب منه ، فأقدم على اتباع الأسلوب القديم دون أن يضع فى حسبانه أنه لم يعد يتوافق مع الظروف الجديدة ، فهو يتحدث فى الإذاعة ، ويفتح القصر فى رمضان ، ويخطب فى العمال ، ويقوم بالزيارات المفاجئة ، ويتبرع للمحتاجين . ونتيجة لما خلَّفته الحرب من تغييرات اقتصادية واجتماعية ، وتفشى موجة القلق الاجتماعى ، وخوفا من تحركات اليساريين وانتشار مبادئهم ، ركَّز فاروق فى أحاديثه على الإصلاح الاجتماعى ، ورفع مستوى معيشة الفقراء ، علَّ ذلك يمتص من عدم الرضا الذى ساد المجتمع . بالإضافة إلى أن يكون ذلك دعاية له أمام لندن وواشنطن صاحبتى مسألة الإصلاح .

* * *

وجاء دور الطلبة الذين مثَّلوا فيما سبق الثّقل فى توهُّج فاروق ، ولكنهم فى هذه المرة وجدوا وجها آخر لمليكهم ، فلم يلق منهم التعاطف حينما كان يلتقى بعضهم ، ولم يرحبوا بمساعداته لهم ، بعد أن رأوا استهتاره ، واتجاهه الجديد مع بريطانيا ، وتسلُّطه على حكومته . والتقط الوفد الخيط ، وأمكنه تعبئتهم ضده ، وسرعان ما عمَّت الاضطرابات ، وبدأت أزمة عام ١٩٤٦ حين طالب الطلبة بضرورة البدء فى المفاوضات مع بريطانيا ، إذ اجتمعوا فى حرم الجامعة صباح ٩ فبراير ، وخرجوا فى مظاهرة ، قاصدين قصر عابدين ، متخذين طريقهم على كوبرى عباس ، فحاصرهم البوليس واستخدم السلطة المخوَّلة له ، ووقع ما عرف باسم «حادث كوبرى عباس» الذى أدينت فيه الحكومة ، وباركها التأييد الملكى ، حيث نالت المكافأة من فاروق ، فمنح النقراشى الوشاح الأكبر من نيشان محمد على ، ورتبة الباشوية للوزراء الذين لا يحملونها .

* * *

ولم يتنبَّه فاروق إلى أن الاحتفالات التى يُعد لها بمناسبة عيد ميلاده فى ١١ فبراير يجب أن توقف نظرا لتدهور الأوضاع ، ولكنه سيطر عليه الكبرياء والعناد . واشتعل الموقف فى هذا اليوم مع مهرجان الشعلة ، إذ حطَّم الطلبة الزينات ، وداسوا على صورة فاروق بالأقدام ، وأشعلوا فيها النار ، وسبوه وأهانوه ، وارتفعت هتافاتهم تردد «لا مولى إلاَّ الله» . واستمر الهجوم على الشعلة ، وأطفئت عدة مرات على طول الطريق حتى قصر عابدين .

وعلم فاروق بما جرى من التقارير التى كانت ترفع له عن طريق الداخلية، واستاء مما حدث، وتراءى أمام عينيه كيف بدأ المسار فى التحول. ويكتب القائم بالأعمال البريطانى لحكومته لينقل لها ما جرى، ويذكر أن العناصر المضادة للملك يزداد عددها لدرجة كبيرة، وبخاصة فى الجامعة، وأن القصر فقد مركزه الذى حصل عليه.

وكان من المقرر أن يضع الملك فى اليوم التالى حجر أساس المدينة الجامعية، ورأى وزير الداخلية إما ألاَّ يحضر فاروق وإما أن يؤجل الاحتفال، ولكنه - أى الملك - لم يتحمل أيهما، وذهب متأخرا، وشُدِّدت الحراسة على الطرق، وقبض البوليس على بعض الأشخاص فى إحدى العمارات، بتهمة عزمهم إلقاء متفجرات على الموكب الملكى. ولم يحضر المناسبة سوى عدد قليل من الطلبة، وما لبث أن أشارت التقارير التى رفعت له إلى نمو خطير للاضطرابات بين الطلبة، وأنها تحوَّلت إلى الطابع الثورى.

* * *

وحينما أيقن فاروق سوء الأوضاع، حمَّل الوزارة ما يحدث، وبالتالى لم يعالج الموقف بطريقة حكيمة، وإنما رأى تغيير الوزارة، وانتهى به الأمر إلى تكليف نمر السياسة المصرية إسماعيل صدقى بتشكيل الوزارة فى ١٦ فبراير ١٩٤٦ لما له من باع فى التصرف أمام مثل هذه الظروف، ولشخصيته القوية والقادرة على كبح جماح الحركة الوطنية. وتصادف أن وقع لأحمد حسنين، حادث أودى بحياته، ومن ثم فقد فاروق الدور الذى كان رئيس الديوان يقوم به، ومثَّل ذلك نقطة مهمة فى أيامه المقبلة، حيث لم يعد يجد المعلم والناصح والموجه والمستشار، الذى كان يتمتع بالذكاء والكياسة، ويمتلك ألاعيب السياسة.

وتمخض التعاون بين الملك ورئيس وزرائه عن الأحداث الدامية ليوم ٢١ فبراير، والتى استغلها الوفد جيداً. حدث ذلك فى وقت سيطر فيه الهلع على فاروق وصدقى من شبح الشيوعية، وعليه اتسع نطاق تردد التصريحات بشأن الإصلاح الاجتماعى، واستخدم رئيس الوزراء الصحافة الموالية فى هذا الشأن.

* * *

ولم يستمر الوفاق طويلا بين الملك ورئيس حكومته، وبخاصة مع دخول شخصية جديدة للحلبة الملكية، أسهمت فيما وصل إليه فاروق إبَّان هذه الفترة، وهى شخصية

كريم ثابت الذى عينه مستشارا صحفيًا للديوان، وهى وظيفة لم يكن لها وجود، فتم التعيين دون مرتب، لكن مرتبا صُرف له من المصروفات السرية مؤقتا. وامتعض رئيس الوزراء، وكذلك حسين حسنى سكرتير الملك الخاص الذى رأى أن من يشغل هذا المنصب يجب ألا يكون له أقل صلة بأية صحيفة، وأنه ابن المقطم البكر ومعروف هويتها الإنجليزية، وأن قلمه بعيد عن النزاهة. ولكن ذلك لم يأت بفائدة.

استتبع ذلك مؤتمر أنشاص الذى افتُتحت جلساته فى ٢٨ مايو ١٩٤٦، حيث دعا فاروق ملوك العرب ورؤساءهم لبحث قضية فلسطين عن طريق الديوان دون إخطار صدقى أو وزير الخارجية، ولا حتى توجيه الدعوة لهما. واستمر الملك فى محو شخصية رئيس حكومته الذى قدم استقالته، ولكنه لم يتمسك بها عندما رفضها فاروق.

* * *

ومضت يد رئيس الوزراء تبطش بالحركة الوطنية مع تعثر المفاوضات، وترك الملك الأمور وسافر فى رحلة بحرية خارج مصر، مما زاد من استياء الناس، ودلَّ على الاستهتار وعدم المبالاة فى وقت حدثت فيه خلافات داخل الوزارة. وحتى حينما أجرى صدقى تعديلا فيها، سافر إلى فاروق فى رودس، فوقَّع على مراسيم تعديل الوزارة، وإنشاء مجلس الدولة وتعييناته، والحركة القضائية على ظهر يخت فخر البحار بوصفه أرضا مصرية، وكان ذلك تهاونًا ملكيًا سافرًا.

وما لبث صدقى أن قدم استقالته للمرة الثانية، ومرة أخرى يرفضها فاروق، ويسافر رئيس الوزراء إلى لندن، لينهى المفاوضات، ويعود ومعه الاتفاق بالحروف الأولى. وبناء عليه اندلعت المظاهرات ضد مشروع صدقى-بيفن، وأسفرت النتيجة عن تقديم صدقى استقالته للمرة الثالثة، وفى هذه المرة قبلها الملك.

* * *

وأعاد فاروق النقراشى للوزارة مرة أخرى فى ٩ ديسمبر ١٩٤٦، وامتدت الإرادة الملكية، وتحكمت فى كل شىء، وتفاعلت الأحداث الخاصة بالقضية الوطنية. وفى ٢٧ يناير ١٩٤٧ وفى أثناء إلقاء النقراشى بيان الحكومة أمام مجلس النواب، الذى سجَّل فيه عدم موافقة مصر على المقترحات البريطانية، وقطع المفاوضات، وضرورة الاحتكام

لمجلس الأمن. وكما تعود فاروق فى إجراءاته غير الدستورية، حضر إلى المجلس بصفة غير رسمية، ومعه رئيس الديوان بالنيابة، واستمع إلى المناقشات حتى طرحت الثقة بالوزارة.

وكان فى ذلك خطوة من فاروق لإنقاذ مكانته التى تردَّت، ومحاولة أن يظهر بصورة الوطنى. أيضا كان فى تبنِّيه لهذا الموقف إقصاء للوفد الذى من الممكن أن يتفاوض مع بريطانيا. ولكن ساءت الحالة الداخلية، وسادت المظاهرات، وأجِّلت احتفالات عيد الميلاد الملكى، ولم يكن فاروق يتقبل ذلك بسهولة، مما يدل على صعوبة الموقف. ويقر السفير البريطانى كامبل Campbell بأن السبب الحقيقى فى التأجيل يكمن فى أن إدارة الأمن العام علمت أن شباب الوفد سيلقون القنابل فى أماكن الاحتفال، وأن الطلبة سوف يقومون بمظاهراتهم فى ذلك اليوم إحياء للذكرى الأولى لشهداء النقراشى. وبرغم الاحتياطات التى بُذلت إبَّان الاحتفال بعيد الجلوس الملكى، فإنه حدثت بعض الاضطرابات، وانفجرت قنبلة سينما مترو، وأودت بحياة بعض الناس.

* * *

وتبعًا للمسيرة الأوتقراطية، عيَّن الملك إبراهيم عبد الهادى وزير المالية رئيسا للديوان، دون استشارة النقراشى، مع أنه رجل حزبى، وهذا المنصب يجب على من يتولاه أن يكون محايدا. ومن المعلوم أنه فقد أهميته منذ وفاة أحمد حسنين، بعد أن غدا كريم ثابت قناة الاتصال بين مولاه ورئيس الديوان. أيضا ضم فاروق عدلى أندراوس رئيس القسم الأوربى بالقصر للبعثة المصرية للأمم المتحدة، وطلب منه مراجعة المسودات الخاصة بالقضية المصرية، ولذلك خطورته لما لهذه الشخصية من صلات بالإنجليز.

ولم تقتصر تصرفات فاروق على الداخل، ولم يراع ظروف عرض القضية المصرية على مجلس الأمن، وأثار أزمتين مع فرنسا التى رأت أنهما يشكلان تدخلا مصريا فى شئونها، الأولى خاصة بتمسكه بإرسال مؤن لتونس، نتيجة للمجاعة التى تعرضت لها، عن طريق الطوَّافة فوزية، ورفض فرنسا لذلك، واقتراحها إرسالها على باخرة فرنسية، وانتهى الأمر بأن أفرغت الطوافة حمولتها خارج المياه الإقليمية لتونس. أما الأخرى، فهى تتعلق باستضافة الأمير عبد الكريم الخطابى بوصفه لاجئا سياسيا، وقد تم ذلك دون علم الحكومة. كما تدخل الملك فى النزاع بين إندونيسيا وهولندا، إذ استدعى السفير البريطانى

والقائم بالأعمال الأمريكى ووزير هولندا المفوَّض، ليتحدَّث معهم فى قضية النزاع دون أن تدرى الحكومة، وذلك فى أثناء وجود النقراشى بالخارج.

* * *

وعندما عاد النقراشى من نيويورك، اشتدت يد الملك على الوزارة، وسرعان ما حدثت أزمة نوفمبر ١٩٤٧، عندما طلب فاروق من رئيس حكومته الاستغناء عن عبد المجيد بدر وزير المالية وأحمد عطية وزير الدفاع الوطنى، حيث تواجدا بملهى حلمية بالاس مع وزيرين آخرين، وأنه حينما دخل الملهى، غادر المكان الأخيران فقط، وتم له ما أراد. ولم يلبث أن تدخل فى مسألة إضراب البوليس فى أوائل إبريل ١٩٤٨. ويستكين رئيس الوزراء، ويوافق مرغما على تعيين كريم ثابت مستشارا للإذاعة، وتولية مرتضى المراغى الأمن العام.

ويُكثِّف النقراشى من الدعاية للملك، بعد أن فقد شعبيته، وسُخِّرت فى ذلك الصحافة الموالية، فسلكت النمط نفسه، الذى لم يعد يؤثر فى الناس. أيضا تم التركيز على المجال الاجتماعى، بافتتاح مشروع توزيع الأراضى المستصلحة على صغار الفلاحين فى كفر سعد بالغربية، ولكن لم تؤت هذه السياسة أكلها.

* * *

وسعى فاروق ينقب عن مكسب، علَّه يعوض ما فقده، وربما يعيد إليه مكانته، ويحوِّل غضب الشعب عنه، وتجسد فى خوض حرب فلسطين، حيث أصدر أوامره باجتياز الجيش الحدود إلى الأراضى الفلسطينية مع باقى الجيوش العربية، فور إعلان قيام دولة إسرائيل فى ١٥ مايو ١٩٤٨، وذلك دون قرار مجلس وزراء أو برلمان، ومن غير علم النقراشى، الذى انصاع لمليكه، وطلب من هيكل رئيس مجلس الشيوخ عقد البرلمان فى جلسة سرية، وتم عرض الأمر بصورة غير دقيقة، أدت إلى الموافقة على إعلان الحرب على إسرائيل. وامتصت الحرب بعض الغضب السائد، وعن طريق الأحكام العرفية، أمكن إحكام السيطرة، ولكن مع الهزيمة، تصاعدت أعمال العنف.

ومارس فاروق هوايته فى إذلال الحكومة وإهمالها، لدرجة أنه عند طلاقه لفريدة، وبرغم أنه أمر يمس العرش، فإن رئيس الوزراء فوجئ ببلاغ القصر عن الطلاق. وأذعن للتصرفات الملكية بصفة عامة، ماعدا موقفا واحدا، اختص برفضه فتح اعتماد مبلغ مليون

جنيه لإصلاح اليخت الملكى المحروسة، نظرا للظروف المناوئة لكل من القصر والحكومة معا، والتى كان من نتائجها حل جماعة الإخوان المسلمين على أساس أنهم مصدر خطر على النظام والعرش، مما أسفر عن اغتيال النقراشى.

* * *

وطبق الملك سياسته على إبراهيم عبد الهادى الذى شكَّل الوزارة فى ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨، وكان قد سبق أن طوَّعته اليد الملكية، ومضى يعصف بالمعارضين، فلم يرحم اليمين ولا اليسار، فى وقت ازدادت فيه الحالة سوءا. وبرغم إعلان الهدنة مع إسرائيل فى فبراير ١٩٤٩، فإنه بناء على الرغبة الملكية، استمر العمل بقانون الطوارئ. وتفاقمت حوادث العنف، وشدِّدت الحراسة على الملك، حتى أصبح نادراً ما يظهر أمام الناس، واتُّخذت إجراءات أمنية بالغة، خصوصا بعد اغتيال حسن البنا.

ولم يكف فاروق عن طريقته فى العصف بالتقاليد الدستورية، والافتيات على حقوق الحكومة، فهو يستقبل حسنى الزعيم قائد الانقلاب السورى فى أنشاص، ويعترف بنظامه، ويختار محافظ القناة ليكون سفيرا فوق العادة لدى دمشق، وذلك دون علم إبراهيم عبد الهادى. وردا على هذا، قام الأخير - على استحياء - بتخفيض المبلغ الخاص بإصلاح المحروسة، ووضعت الاشتراطات الخاصة بالعملية.

ويرفض الملك تعيين فؤاد صادق رئيسا لهيئة أركان حرب الجيش، ويعيِّن بمعرفته - وفقا لأمر ملكى وليس بمرسوم يصدر عن مجلس الوزراء - عثمان المهدى ليكون رجله وقت الأزمات. وفشل إبراهيم عبد الهادى فى إنهاء الصراع داخل وزارته، ولم يُقدِّر له الملك ما فعله فى خدمته، ورتَّب الأمر لإسقاط الوزارة، فى وقت حدث فيه نوع من التقارب بين فاروق والوفد. وانتهى الأمر باستقالة وزارة إبراهيم عبد الهادى فى ٢٥ يوليه ١٩٤٩.

* * *

واختار فاروق حسين سرى ليُشكِّل الوزارة فى اليوم نفسه على أساس أنها وزارة قومية، فضمت جميع الأحزاب ماعدا حزب الكتلة، وذلك تمهيدا للانتخابات. ولم يكن رئيس الوزراء سهلا فى البداية، حيث دخل فى صراع مع كريم ثابت، وتلاحقت أزماته مع الملك، وتدهورت العلاقة بينهما، وتعثرت الوزارة أمام تقسيم الدوائر والانتخابات، ولم تنجح المحاولة الملكية فى الحفاظ على الائتلاف.

وما لبثت يد فاروق أن ثقلت على حكومته، فيطلب أن يستقيل حسين فهمى وزير المالية، لما بدا منه بشأن إصلاح المحروسة، فاستقال. وكان له موقف آخر، فقد رفض التصريح للملك بدولارات وفرنكات سويسرية، سبق وطلبها لشراء تحف فنية، ومع هذا فقد تمكن فاروق من تهريبها، كما استغل سيطرته على الحكومة، وباع لها يخت فخر البحار بمائة ألف جنيه، لكنه احتفظ به.

وتلوَّن موقف رئيس الوزراء، وغدت ملامح الخنوع واضحة عليه، وتخلى عن موقفه من كريم ثابت، ثم قدَّم استقالة وزارته، وكُلِّف بتشكيل أخرى محايدة فى ٣ نوفمبر ١٩٤٩، لإجراء الانتخابات، وصار محل الرضا الملكى، وأنعم عليه فاروق بقلادة فؤاد الأول، ومن ثم أضحى صاحب المقام الرفيع، ومنح الباشوية لأربعة من وزرائه، بهدف أساسى تمثَّل فى الرغبة الملكية بشأن تحقيق التوازن فى الانتخابات، وعدم حصول الوفد على الأغلبية، وقد بذل القصر الجهود القوية من أجل التنفيذ.

* * *

ولم يكن الموقف فى صالح فاروق، وبخاصة أن المساندة التى كان يلقاها من خارج الأحزاب، قد فُقدت. فمصر الفتاة، برغم ما بذله أحمد حسين من إرضاء لمليكه - وإن تخلل ذلك نتوءات عابرة - فإن الملك لم يكن معطاء معه، ويرجع ذلك إلى أسباب متعدِّدة، من أهمها وفقا للحسابات الملكية، أنها تبنَّت اتجاها وقتيا انتهى بظروفه، وبالتالى فإن جذورها غير عميقة فى المجتمع.

أما الإخوان المسلمون الذين سبق وأن لعب فاروق بأوراقهم جيداً، وكسب من ورائهم كثيرا، لأنهم القوة الأيديولوچية الراسخة لمحاربة الشيوعية عدوته اللدود، والمتزعمون للتيار الإسلامى والعربى للقيادة الملكية فى هذا الميدان، وأصحاب الوجود على الساحة، وبالذات فى الجامعة، مما يجعلهم ينافسون الوفد، نظرا لدقة تنظيمهم. بالرغم من ذلك جميعه، فإنه كان لحوادث الاغتيالات التى أقدموا عليها، ولنزوعهم للسلطة، ولما يقوم به الملك من مخالفات دينية، وأخيراً للموقف البريطانى منهم، كبير الأثر فى جعل فاروق ينقلب عليهم. وبناء على توجيهاته تم حل الجماعة فى ٨ ديسمبر ١٩٤٨، ومن ثم فتحت المعتقلات أبوابها لأفرادها، مما ولّد حركة رد فعل عندها، فاغتالت النقراشى، ورد القصر باغتيال حسن البنا. وعليه أصبح العداء الملكى للإخوان المسلمين متأصِّلا.

وبالنسبة للتيارات اليسارية، فإنه من المسلَّم به أن تتجمع نوعيات الكراهية كلها فى قلب فاروق تجاهها، نظرا لطبيعة تلك التيارات التى لا تتفق قلبا وقالبًا مع النظام القائم. ومع أن عملها كان له طابع السرية، لكنها تمكنت من توصيل تهديدها إليه فى كل فرصة سنحت لها فانتهزتها.

* * *

وهكذا يتضح تعدد الجبهات المضادة لفاروق، والتى ساءها تصرفاته، وانغماسه فى الفساد، وسمعته المنهارة، داخل مصر وخارجها، وذلك فى وقت عانى فيه المجتمع من الأوضاع المتردية سواء أكانت اقتصادية أم اجتماعية، فقد خرجت مصر من الحرب بسلبيات غمرتها، إذ ازداد الأغنياء ثراء، والفقراء فقرا، وظهرت طفيليات جديدة على سطح المجتمع، عبَّرت عنها طبقة أغنياء الحرب مما ضاعف من سوء الأحوال. ومع هذا لم يفكر ملك البلاد فى العمل على انتشال المصريين مما حاق بهم، ولكنه تمادى فى السلوك المعاكس، والذى بدا مكشوفا تماما مع حكومة الوفد الأخيرة.

ثانيًا ـ الجـــزاء

بعد الإقالة الملكية الثانية للوزارة الوفدية فى ٨ أكتوبر ١٩٤٤، لم يترك فاروق عداءه للوفد جانبا، وإنما احتل مساحة كبيرة على خريطته، فرأى إجراء التحقيق فى التهم المنسوبة إلى النحاس ومن معه، ولكن كانت وقفة لندن قوية، ورفضت ذلك. واستمرارا لسياسة استيلاء القصر على الوفد من الداخل، حاول أحمد حسنين مع فؤاد سراج الدين، وفشل. وصارت الدعاية ضد الوفد إحدى مهمات القصر الأساسية، ومن ثم أنشئت صحيفة أخبار اليوم لتقوم بالمهمة. وردّا على هذا، نزل الوفد بثقله عن طريق تحريك مظاهرات الطلبة، ولم يجد صعوبة بعد أن أصبح الملك فاروقا آخر، وعلت الهتافات ضده، ونالت بريطانيا نصيبها منها. أيضًا انتقدت وهاجمت الصحافة الوفدية الحاشية الملكية، ولم يقتصر الأمر على ذلك، وإنما تعداه إلى تطبيق التصفية الجسدية باغتيال أمين عثمان فى ٥ يناير ١٩٤٦، وقد أشارت أصابع الاتهام إلى فاروق، وبعث القائم بالأعمال البريطانى بتقرير يفيد ذلك.

ولم تستمر الأحوال على هذا المنوال طويلا، وأصبحت هناك رؤية جديدة تخص المثلث التقليدى - الإنجليز، الملك، الوفد - وبدأت بريطانيا بالتحرك الإيجابى، فمن مصلحتها أن يتولى الوفد المفاوضات لأنه القادر على التحكم فى الحركة الوطنية بعد تدهور شعبية فاروق. أما الملك فقد رأى أن يقوم بلعبة سياسية تحسب له بعد تدنى مركزه، وذلك بتخفيف حدة الهجوم على الوفد. أما الأخير، فإنه وجد إمكانية اتباع سياسة الملاينة مع فاروق ليصل إلى الحكم.

وبدأ تنفيذ التقارب بواسطة السفارة البريطانية، وبعض الشخصيات المصرية، وعلى رأسها الرأسمالى الكبير أحمد عبود، وقام كريم ثابت بمهمته على أكمل وجه. وذلك فى وقت كان سكرتير عام الوفد فؤاد سراج الدين قد أعدَّ العدَّة للتفاهم، وركز على إخلاص الوفديين للعرش، وأسفرت النتيجة عن اشتراك الوفد فى وزارة حسين سرى القومية، ومضى زعيم الوفد يشيد بالمآثر الملكية، وجُنِّدت صحيفة المصرى فى هذا الميدان.

* * *

ولم يكن فاروق يرتاح إطلاقا لعودة زعيم الوفد بأى شكل، وبالتالى لم يكن هناك المقابل لما أقدم عليه الوفد من تمجيد، وكان رد فعله على ذلك، أن أمر بحملة دعاية واسعة ضد النحاس، تولتها أخبار اليوم، حيث استرجعت حادث ٤ فبراير، والفساد الذى عاشته فيه الوزارة الوفدية. وانعكس ذلك على الوفد بعض الوقت، وبخاصة فى أثناء الانتخابات التى أجريت فى ٣ يناير ١٩٥٠ وفاز فيها الحزب بالأغلبية المطلقة برغم أخطائه. وقد أسهم فاروق بدعامة أساسية فى هذا الفوز، بمعنى أن حب الشعب الذى نهل منه عبر فترة التوهُّج، انقلب إلى نقيضه، نظرا لما اعترى الملك من فساد واستهتار، وبالتالى فقد المصريون الأمل فيه، هذا الأمل الذى اتجه كلية ناحية الوفد، لأنه القادر على الوقوف أمام المسيرة الأوتقراطية الملكية. ولكن هل حدث ذلك بالفعل؟

* * *

وقع فوز حزب الوفد وكسب النحاس لهذه الجولة على فاروق كالصاعقة، لأنه جاء الحكم هذه المرة ليس على أسنة الرماح، وإنما بالرغبة الشعبية. حقيقة أنه كانت هناك بعض التجاوزات فى الانتخابات، ولكن سوء الأوضاع أدى إلى هذه النتيجة الإيجابية. وراح فاروق يسوق الأسباب التى أدت لانتصار خصمه عليه، وعاوده تفكيره فى تطبيق سياسة

الاستيلاء على الوفد من الداخل، بمحاولة استقطاب فؤاد سراج الدين مرة ثانية، وتكليفه بتشكيل الوزارة، ليكون بين يديه من ناحية، ولضرب النحاس من ناحية أخرى، ولكنه فشل، واضطر للامتثال للأمر الواقع بعد تدخل كريم ثابت، ونصيحة أحمد عبود، بأن زعيم الوفد لن يسبب له المتاعب، وسيكون طوع أوامره.

* * *

ولما كان فاروق فى موقف ضعف بيِّن، فقد أراد أن يحمى نفسه برئيس ديوان يعتمد عليه، إذ ظل المنصب خاليا منذ عام ١٩٤٨، ووقع اختياره على حسين سرى لما له من مؤهلات. فهو الرجل القوى، وصاحب الصلة الطويلة به، والذى يتمتع بالحنكة والخبرة. أيضًا فإنه يحوز قبول قصر الدوبارة، وله العلاقات الطيبة بأقطاب الوفد. ومن هنا اشترط على فاروق أن يصلح من تصرفاته، ويكون رئيس الديوان حلقة الاتصال الوحيدة بين القصر والحكومة، وضرورة تنحية غير المسئولين فى القصر والذين يتحدثون باسمه. وتقابل حسين سرى مع الملك فى منزل حسن يوسف، واستبشر خيراً عندما وجد منه الآذان الصاغية لما عرضه عليه، وبخاصة فيما يتعلق بسلوكه الشخصى غير المرضى عنه. وتولى المنصب فى ١٢ يناير ١٩٥٠، وهو التاريخ نفسه الذى صدر فيه الأمر الملكى للنحاس بتشكيل الوزارة مما يدل على الموقف الملكى. وقدَّرت لندن أن تعيين رئيس الديوان سيكون حاجزاً لمنع التصادم بين الملك والنحاس، وأن الأول فى حاجة للتوجيه الذى افتقده، بعد أن اهتزت مكانته كثيراً.

* * *

وأعطى تعيين حسين سرى فى المنصب الأمان لفاروق، حيث اعتقد أنه تحصن ضد أى هجمات وفدية عليه، وحاول أن يهدئ نفسه، ودار بخلده أن هذا الحدث السياسى الكبير بعودة الوفد، سيكون موضعًا لاهتمام الناس، وأن ذلك ربما يُقلِّل من الغضب عليه، إذ كان على يقين من الحالة المتدهورة التى آل إليها. وفى الحين ذاته مزَّقه الصراع الداخلى بتلك العودة غير الحميدة.

ولكن وفقا للثنائى كريم ثابت ـ فؤاد سراج الدين، تم نسج علاقة جديدة، اتسمت فى ظاهرها بتقديم فروض الطاعة والولاء لصاحب الجلالة، حتى لقد قيل إنه فى أول مقابلة ملكية للنحاس، قبَّل يده، ولكن ليس هناك ما يثبت ذلك سوى شهادة شاهد عيان هو

صلاح الشاهد الذى صرَّح بهذه المعلومة. أما إن كانت صحيحة، فربما أدرجت ضمن الخطة الجديدة بشأن التعامل مع الملك، والتى جاءت على النقيض من مواقف النحاس السابقة. حقيقة أن هناك بعض الوقفات الإيجابية له، مثل تصميمه على دخول طه حسين الوزارة، وعدم موافقته على أن يدخلها كريم ثابت، لكنها كانت استثنائية.

* * *

وبدأت الحكومة فى سلسلة من التنازلات المالية لصالح الملك، وكان ذلك أكثر ما يهمه آنئذ، فتم اعتماد مبلغ ١,١٣٢,٠٠٠ جنيه لإصلاح المحروسة، وزيدت المخصصات الملكية إلى ١٢٢,٠٠٠ جنيه، وأغمضت عينيها عن تغاضى فاروق وتسويفه فى دفع ضريبة الإيراد. وذلك فى وقت بلغ العجز فى الميزانية ١٦ مليون جنيه، وأصبح سيف غلاء المعيشة مسلطا على رقبة الشعب.

وحاول حسين سرى أن يحد من نهم فاروق، الذى أظهر تكدره، والنتيجة إقالته من منصبه. واستمرت الحكومة فى العمل على إرضاء الملك، فسهَّلت له القروض الدولارية، وعبَّدت له طريق الرشوة، بواسطة التلاعب فى البورصة، والاستفادة من احتكار سوق القطن، بالاشتراك مع البارزين الوفديين، ويصف السفير البريطانى الضرر الذى لحق من جراء ذلك بصغار التجار ومنتجى ومستهلكى القطن داخليا، والأثر السيئ الذى تعرض له فى الأسواق الأجنبية.

وراحت الحكومة تهيئ الظروف للملك، ليمتلك الأسهم والسندات فى الشركات، وامتدت عطاءاتها إلى المقربين له، وكانت مسألة عمولة كريم ثابت من مستشفى المواساة، وما انبثق عنها فيما يختص بنفقات حرب فلسطين، مثاراً لقضية دستورية، تمثَّلت فى العدوان على مجلس الشيوخ، ووصلت إلى قمة التهاون الحكومى للصالح الملكى، حيث صدرت مراسيم ١٧ يونية ١٩٥٠ التى أقصت رئيس المجلس وعدداً من أعضائه، وأحلت مكانهم أعضاء وفديين ومن الحاشية. وكان ذلك حدثًا مستفزاً، ودل على مدى التعاون الملكى الوفدى لتبادل المنفعة.

* * *

بناءً على تلك السياسة التى اتبعها الوفد، لم يكن فاروق فى حاجة إلى احتضان أعدائه من معارضى أحزاب الأقلية، الذين كانوا من أدواته فى محاربة حزب الأغلبية. ومن ثم

فقد أدخلوه تحت بند معارضتهم، وتحركوا فى هذا الصدد، وبخاصة بعد صدور مراسيم يونية، حيث أذاعوا بيانا، معلنين فيه أن ما حدث هو اعتداء على الدستور، كما قدموا للملك عريضة فى ١٨ أكتوبر من العام نفسه، وذلك عقب عودته من رحلته الخاصة بأوروبا، تضمنت الأوضاع المنهارة، وحمّلته مسئولياتها، وكانت جريئة فى كلماتها، قاسية فى معانيها. ومما يذكر أنه لم يوقع عليها رؤساء تلك الأحزاب فقط، وإنما أيضًا مستقلون.

وعدّ فاروق ما حدث عيبا فى الذات الملكية، وصودرت الصحف التى نشرت العريضة، وتم القبض على الذين تولوا توزيعها، وطلب من رئيس وزرائه سرعة التحرك وإسقاط المعارضة، وفاض غضبًا عليها، وأوقف التعامل معها - استثنى من ذلك حافظ رمضان رئيس الحزب الوطنى الذى اعتذر عما أقدم عليه - وأثر الحدث فى نفسه تأثيرًا عميقًا، لأن ذلك معناه أن الزمام كاد أن يفلت من يده، وأصبح يتوقع أن القدر يخبئ له مفاجآت قادمة، أيضًا غدا ضعيفا فى مواجهة الوفد الذى لم يكن يضمن ولاءه الأبدى.

* * *

ودخل تحت عباءة المعارضة جماعة مصر الفتاة التى تحولت إلى حزب مصر الاشتراكى منذ نهاية عام ١٩٤٩. ومع وزارة الوفد، تأججت تحركات أحمد حسين ضد فاروق، الذى فزع من نشاط هذا الحزب، وقد تفرع إلى عدة قنوات، فى داخل مجلس النواب، واللقاءات العامة، وصحيفتيه، وبلغ الهجوم على تصرفات فاروق مداه، وامتد لرجال حاشيته. واتهم الحزب بالعيْب فى الذات الملكية، وضاق فاروق ذرعا برئيسه، الذى دفع الثمن، وصدرت الأحكام ضده، وأصبح من رواد السجون.

وفى البداية لم تشارك جماعة الإخوان المسلمين فى المعارضة، إذ تمكن فاروق من الاحتفاظ بولائها، وعادت شرعيتها بعد إلغاء قرار حلها، وجمعته العلاقة الطيبة بمرشدها، نظرًا لمصالح مشتركة، واعتبارات عدة، أهمها الوقوف أمام العدو المشترك المتمثل فى الشيوعية. ولكن مع تفاقم الاختلافات بين الجماعة، تولت المعارضة فيها، توجيه أقلامها ضد التصرفات الملكية.

* * *

أما عن التيارات اليسارية، والتى كان فاروق يخافها، ويصرح بأن موسكو وراءها، فإن منشوراتها التى تحض على الثورة، أقلقته تماما، وأرجع المظاهرات التى هاجمته لها،

وكان ما كتبته صحافتها مثار ألم له، إذ سيطر عليه أن الشيوعية لن تبقيه على العرش. وقد استغل الوصوليون هذه العقيدة لديه، وحملوا له الأخبار الوهمية تجاه الخطر المحدق به، فزاد ذلك من عصبيته، وجعله أكثر إصراراً وتمسكا بالارتماء على الأعتاب الغربية.

ولم تقتصر المعارضة الصحفية على الصحافة الحزبية والأيديولوچية، وإنما وجدت أخرى، وجهت سهامها ضد فاروق، فبجوار المستقلة، هناك تلك التى حولت اتجاهها المؤيد له وقت فترة توهُّجه، وذلك عندما غير مساره، وعليه جمع العداء بينهما، مما جعله يفقد صوابه أمام تلك الأصوات التى ارتفعت تندد به وبالمحيطين حوله، وتكشف ما خفى من أوراقه.

* * *

كان موقف الحكومة الوفدية من المعارضة الموجهة للملك متأرجحا وغير متصلب. أما بالنسبة لذروة المعارضة الصحفية، فإنه يُحْسَب للحكومة أنها خفَّت قبضتها عنها. أيضا فقد غابت الأحكام العرفية، ثم ذلك الموقف القضائى الإيجابى، وأخيرا الإصرار والتحدى والتضحية التى عاش فى كنفها الصحفيون، ذلك جميعه مثَّل قاعدة، صورت فاروقا الآخر، وكان له رد فعله.

وأراد الملك كبح جماح الصحافة، ولكن ذلك لم يسفر إلا عن صدور قانون ١٢٠ لعام ١٩٥٠ بحظر نشر أنباء الأسرة المالكة، إلا بإذن من وزير الداخلية، وذلك فى أعقاب تصرفات أم الملك وأخته فى الولايات المتحدة، وكانت مادة خصبة للصحافة، حيث استغلتها ليس فقط ضد فاروق، وإنما أيضا ضد النظام نفسه. كما صدر قانون آخر يحظر نشر أخبار الجيش، إلا بإذن من وزير الحربية، وذلك عندما انتشر اللغو فى مسألة الأسلحة الفاسدة. ومع هذا ازدادت الصحافة نقدا وهجومًا على الملك.

وبرغم أن الحكومة أعدت ثلاثة تشريعات لتقييد حرية الصحافة، تلبية الرغبة الملكية، فإنها وجدت المعارضة سواء من الوفديين أم غيرهم. وهنا لابد من الإشارة إلى أنه كان هناك اختلاف بين القيادة الوفدية ـ أطلق عليها السفير البريطانى مجموعة فؤاد سراج الدين ـ وما دونها، حيث سلكت الأولى طريق الاستسلام للقصر، أما الأخرى، فلها الموقف المغاير.

* * *

وربط فاروق بين الصحافة ومجلس الدولة، فعندما تصدر القرارات بتعطيل بعض الصحف، نظراً لما ينشر فيها ضد الملك، يلجأ أصحابها إلى مجلس الدولة، الذى يصدر أحكامه لصالحهم، وبالتالى يواصلون طريقهم المعهود. وأعدت الوزارة مشروعا بتعديل اختصاص المجلس، وزيادة الرقابة عليه، لكنه قوبل بمعارضة شديدة، ومن ثم واصل أحكامه التى أثارت الملك، فرأى الإطاحة به. وفى أثناء رحلته الخاصة بشهر العسل، بعث برسول يحمل الأمر الملكى بإلغاء مجلس الدولة، وعرض الأمر على مجلس الوزراء، فرفضه البعض بإصرار، مما أزعج فاروقا. ومن اللافت للنظر أنه لم تكن هناك سياسة موحدة للوزارة تجاهه، فأحياناً تكون لها المواقف المتشددة، وكثيراً ما يصبح التساهل والاستسلام هما جواز استمرارها فى الحكم.

ودافع فؤاد سراج الدين عن الملك ضد حملات الصحافة الأجنبية التى كانت ترصد خطواته وتُسجِّل أفعاله وتنقد وتُحلِّل وتسخر منه، ومنع وزير الداخلية دخولها مصر، وصودرت الأعداد التى وجدت مع السائحين، ومع ذلك انتشر ما جاء بها بين الناس، وأثير بعض ما احتوته فى البرلمان. ولم تنجح مجهودات الوزارة فى حجب تصرفات الملك غير السوِّية عن الشعب.

* * *

وشكَّلت مسألة التحقيق فى قضية الأسلحة الفاسدة، حدثًا فى التحكم والسيطرة الملكية، وذلك بعد أن فجرها إحسان عبد القدوس فى روز اليوسف، ودلَّل عليها بوثائقه، وتورط الحاشية الملكية فيها. وهنا غضب فاروق، وحوصر النائب العام لشل حركة التحقيق، وأدت الأيدى الخفية دورها، وتدخل فؤاد سراج الدين فى أعمال النيابة للصالح الملكى، وبرغم ذلك، فإن فاروقا كان ينتظر المزيد، وتمكن من حفظ التحقيق، بل وأنعم على رجال حاشيته الذين وقعوا تحت الاتهام بالنياشين. وقد وصف القائم بالأعمال البريطانى هذا التصرف الأخير بالجنون السياسى. وصدر بيان، اعتذر فيه النحاس عما سببته تحقيقات النيابة من ضيق لبعض أفراد حاشية جلالته. وكان ذلك تحديا سافرا لمشاعر المصريين.

* * *

وبذلك تحول المؤشر، وبعد أن كان فاروق يخضع لتكتيكات معينة، هدفها الأساسى

محاربة الوفد منذ أن اعتلى العرش، أضحى الآن طوع بنانه، وبالتالى لم يعد هناك من يعارضه فى تصرفاته، فالساحة خالية أمامه، وليس له منافس. وأصبح زعيم الوفد ينتهز الفرص أحيانا، ويخلقها أحيانا أخرى، ليشيد بمآثر صاحب الجلالة، وبأثر رجعى. والواقع أن النحاس تغيرت شخصيته إبَّان هذه الفترة، فلم يعد المحارب القوى الصلب والنشط المتحمس، وإنما بدا عليه التعب والإرهاق. ولم يكن ذلك يرجع إلى كبر سنه وما يصاحبه من ضعف جسمانى، بقدر ما أحاطه من تغييرات، فرضت نفسها عليه وكبَّلته من أجل تحقيق المصالح لأشخاص بعينهم.

وبصفة عامة انقلبت الأوضاع، فبعد أن كان الوفد يجاهد فى كسب الشعبية من الملك، غدا يسعى لإضفاء نوع منها عليه، حيث إنه فقدها كلية، فى وقت تلطخت فيه سمعته داخل مصر وخارجها. فعلى سبيل المثال، أعدت له الوزارة استقبالاً مصطنعًا عقب عودته من أوروبا فى خريف عام ١٩٥٠، ويلتقط السفير البريطانى ستيفنسون Stevenson الصورة، ويعلق على الاستقبال بأنه لم تكن هناك علامات تلقائية حقيقية لحماسة شعبية. وتكررت المجاملات المصطنعة بين الطرفين، والتى اتسعت مجالاتها.

* * *

وفى ١١ فبراير ١٩٥١، وبمناسبة عيد الميلاد الملكى، وإعلان خطبة فاروق على ناريمان، أراد النحاس أن يحدث نوعا من التقارب بين الملك وشعبه، فأعلن عن المشروع الجديد لإسكان الفقراء، والذى حمل الاسم الملكى، ووزع وزير الاقتصاد ألف فدان من أملاك الدولة بكفر سعد على الفلاحين المعدمين، بواقع خمسة أفدنة لكل فلاح وفقا لشروط بيع ميسرة، عُدَّت ثمنا رمزيا. وواصلت الوزارة سياستها فى ترضية الملك، فالمصوغات الذهبية أصبحت تدمغ باسم فاروق، ويتم تسهيل تعيين أعوان الملك فى المراكز ذات الأهمية وبخاصة المالية، إلى غير ذلك من المكاسب.

* * *

ومع كل ما قدمته الوزارة لفاروق من تنازلات، وبرغم يقينه بأنه أصبح محاطًا، ليس فقط بالمعارضة، وإنما أيضًا بتلك المشاعر التى غمرت المصريين، وتحولت ضده تماما، فإنه وفقا لشخصيته المتقلبة، وللظروف المحيطة به، وبعد أن حصل على ما يريده من حكومته، بدأ فى التململ منها. وراح يسوق حججه بأنها وراء الأوضاع الاقتصادية المتردية، وأفهمه

إدجار جلاد، وهو أحد المؤثرين فيه، أن الوفد سيصل بالبلاد إلى حافة الإفلاس، لإسرافه على البوليس والجيش، وابتزازه الأموال المتعلقة بالتموين وعقود الأشغال العامة، وأنه لابد من أن يُستبعد من الحكم.

وفكر فاروق فى الأمر، فوجد استحالة تنفيذه حينئذ، فالمعارضة أصبحت ضده، والإقالة سوف ترتبط بالشعبية لصالح الوفد وتزيد من البغض له، والمفاوضات مع بريطانيا قائمة، وبالتالى تراجع عن تحقيق ما يصبو إليه. وبذلك وضعت القيود أمام التخلص من الحكومة، برغم المساوئ التى اعترتها حتى إنها عرفت باسم «حكومة الأثرياء».

* * *

غير أنه كان من المتوقع أن يحدث الانشقاق بين الملك والوفد، لأن السيناريو السابق قصد من ورائه تحقيق أهداف معينة لكل من الطرفين، فاروق لتحقيق أطماعه، وإشباع نهمه، وإسباغ الشرعية على تصرفاته. والوفد لاستعادة مكانته، وضمان بقائه فى الحكم، وانتصاره على المعارضة، بالإضافة وكما أقرت القيادة الوفدية إلى أن ما أقدمت عليه الوزارة للصالح الملكى، جاء نتيجة الرغبة فى تحقيق سياسة الوفد تجاه الإنجليز، ولذا عملت على الحيلولة دون إقالتها.

فى ذلك الوقت كانت مصر تتعرض لظروف اقتصادية صعبة، أسهم فيها الطرفان، حيث جمعتهما الصفقات على حساب المصريين، فقد عُرض على مجلس الوزراء البريطانى تقرير كتبه وزير الخارجية، أفاض فيه بوصف الحالة المعيشية فى مصر، ووصول مؤشر الأسعار إلى أقصاه، وعبَّر عن البؤس والشقاء اللذين يعيش فى كنفهما المصريون.

* * *

وواصل الملك سياسة الهجوم على حكومته، وتعمَّد إحراجها، وبخاصة فؤاد سراج الدين برغم ما قدمه له، وحاول أن يتحالف مع عناصر الوفد المعادية للوزير، لكنها كانت ضد فاروق، الذى راح يهاجم النحاس ويصف وزارته بأن أعضاءها لصوص.

وترك الملك مصر، وسافر مع عروسه فى رحلة شهر العسل إلى أوروبا فى الأسبوع الأول من يونية ١٩٥١، وواجهت الوزارة الصعوبات القائمة، بالإضافة إلى الخلافات التى تخللتها. ومع ذلك لم يتوان النحاس عن الإشادة بمليكه، حتى لقد وصل به الأمر إلى أنه عَدَّ كابرى التى هى مصيف فاروق المفضل، والمكان الذى يمارس فيه هواياته غير

الأخلاقية، القبْلة التى يجب على المصريين التوجه إليها، وقد أذاع ذلك فى الخطبة التى ألقاها لتهنئة المَلك بحلول عيد الفطر. ومضى يُنفِّذ طلبات صاحب الجلالة وهو فى الخارج، فعلى سبيل المثال يقصى الشيخ عبد المجيد سليم عن مشيخة الأزهر، لما أدلى به للصحافة من تصريحات مضادة لفاروق.

* * *

وعقب عودة الملك فى ١٥ سبتمبر، تحمل رئيس الوزراء هجومه، وحدث بعض التغيير فى الوزارة، وبرغم تحقيق ما أصر عليه فاروق فى هذا الشأن، فإنه لم يكن راضيًا عن استمرارها. وبالفعل فإن هيكلها اهتز، لدرجة أنه فى شهر أغسطس سافر ستة من الوزراء للخارج، كما أن التعارض فى الآراء والاتجاهات أصبح من سماتها. وأراد فاروق أن يبعث أزمة الكتاب الأسود بصورة مماثلة، بمعنى أن ينقب فى الفساد الجديد الذى انتاب الوفد، وخاصة ثنائى زينب هانم الوكيل - فؤاد سراج الدين، ليحقق هدفه بأن يفضح القيادة الوفدية أمام الشعب، علٍّ ذلك ينعكس عليه، بصرف نظر الناس عما يقوم به، وفى الوقت نفسه يسترعى النظر لموقفه بأنه يحارب الفساد.

وتنفيذًا لهذه الخطة، صمم فاروق على صدور قانون الكسب غير المشروع، وتطبيقه بأثر رجعى، ليدخل المسئولون فى وزارة ٤ فبراير تحته. وتولت أخبار اليوم سلسلة نشر فضائح الوفد. وقد تعقدت الأمور أمام الحكومة، حيث لم تتمكن من استمالة الملك برغم التنازلات التى قدمتها، ثم ذلك القانون الذى سوف يهوى بها، كذلك اهتزاز صورتها أمام الشعب، وأيضًا توقعها الإقالة بين الحين والآخر، ذلك جميعه دفعها إلى توجيه ضربة قوية، ربما تعيد لها مكانتها المفقودة، فأقدمت على إلغاء معاهدة ١٩٣٦ واتفاقيتى الحكم الثانى. ووضعت فى حسبانها أن هذا الإجراء سيقف أمام الملك، ويمنعه من إقالتها، حتى لا يتحول الوفد إلى شهيد للوطنية. ولم يكن التفكير فى تلك الخطوة بجديد، إذ سبق وطُرحت فى خطبة العرش لعام ١٩٥٠.

* * *

ووُضع فاروق أمام الأمر الواقع فى صباح يوم الإعلان عن الإلغاء الذى تم فى مساء ٨ أكتوبر ١٩٥١ أمام البرلمان، ولم يكن فى مقدرته الاعتراض. ومما لا شك فيه أنها كانت خطوة جريئة من الوفد، وفسَّرها أصحابها بأنها السبب فى اتباعهم لسياسة الملاينة مع القصر. ومن المؤكد أن هذا وارد، ولكن الأمر لم يكن يصل إلى تلك الدرجة من الاستسلام للقصر بما يتعارض مع المبادئ التى التزم بها الوفد فى فتراته السابقة.

وتصارعت داخل فاروق اتجاهات متضاربة. ففى البداية خشى من رفض التوقيع على الإلغاء، فى وقت بلغ فيه غضب الشعب مداه، وخالجته المشاعر بأن هذا العمل من الجائز أن يستعيد به بعض شعبيته التى انهارت تمامًا، وسيطرت عليه الغيرة الحمقاء من جراء التأييد الجارف الذى حصل عليه الوفد بسبب هذا الإجراء الموفق. ومن ثم صمم على استخدام جميع أسلحته لمحاربته.

* * *

واشتعلت الحركة الوطنية ضد الإنجليز بعد تعثر المفاوضات، والتهبت منطقة القناة بنشاط كتائب الفدائيين، وحاول فاروق أن يركب الموجة بالتشجيع، ليضفى شيئا من البريق على صورته السوداء أمام الناس، ولكنه فى قرارة نفسه كان على دراية تامة بالخطر المحدق بالعرش من المد الثورى، والذى أطلق عليه الإرهاب، مبينا أن الحكومة تكفله. وفى كل مرة يرى إقالتها، ويشجعه فى ذلك أندراوس مستشاره الاقتصادى، ويستعرض أسماء من يشكلون الوزارة، وقد احتل على ماهر الصدارة، يعود ويتراجع، خوفًا من أن تكون هذه الإقالة هى الورقة الرابحة للوفد بالنسبة للجماهير. وفى الوقت ذاته فقد حدث أن تقوى الوفد بما أقدم عليه، ويدأفى مناوشة الملك بتصرفات سطحية.

* * *

وأقبل الملك على عمل مضاد للوفد، إذ عين حافظ عفيفى رئيسًا للديوان فى ٢٤ ديسمبر ١٩٥١ - ظل المنصب شاغرًا ما يقرب من سنة وتسعة أشهر - وذلك بتأثير من أندراوس، لاعتبارات متعددة، منها المصالح المالية المشتركة من ناحية، وعلاقته الطيبة بالإنجليز من ناحية أخرى. كما أنشأ فاروق منصب مستشار الديوان الملكى للشئون الخارجية، وانتدب له عبد الفتاح عمرو صديقه القديم وسفير مصر فى لندن، ومعروف أيضًا علاقة الود التى تربطه ببريطانيا. وحدث ذلك فى يومين متتالين دون تبليغ الحكومة. وكانت فرصة لها لتقدم استقالتها وتحرز نقطة لصالحها، وبخاصة أن ما كانت تهدف إليه والمتعلّق بإلغاء المعاهدة قد تحقق، ولكنها رضيت بالأمر الواقع، معتمدة على رغبتها فى التفرغ لحركة الكفاح ضد بريطانيا، وذلك برغم تأكدها من أن إقالتها قريبة.

* * *

واستاء الشعب من التصرفات الملكية، وظهر التعبير عن السخط بالمظاهرات التى قامت فى ٢٦، ٢٧ ديسمبر، ولم تقتصر على القاهرة والإسكندرية، وإنما امتدت إلى عواصم المديريات، وكان الطلبة عنصرا أساسيا فيها، وترددت الهتافات المضادة لبريطانيا والملك وحافظ عفيفى، الذين رأوا أنها صناعة وفدية، وربما ذلك يمثل جزءًا، ولكن الواقع أن النفوس أصبحت تغلى كالمراجل.

وظل فاروق متخوفًا من إقالة الوزارة فى ذلك المناخ المفعم بالانفعالات، إذ خشى من أن التهاب الحركة الوطنية ضد الإنجليز يتحول ضده، وخصوصا بعد ازدياد يقينه من المركز المتدهور الذى وصل إليه، وكيف أنه من السهل أن يعصف غضب الجماهير بعرشه. ولم يكن أمامه فى ذلك الوقت إلا الدعاية ضد الوفد، فتم توجيه حملة صحفية لمهاجمة الحكومة. وكانت بريطانيا شغوفة وتنتظر اللحظة الحاسمة لإقالة الوزارة الوفدية من الحكم بعدما ساءت العلاقة معها. وبطبيعة الحال فإن الوضع تغير كلية عن ظروف حادث ٤ فبراير. وعلى جانب آخر، فقد كثّف فؤاد سراج الدين وأحمد عبود ضغوطهما على فاروق عن طريق كريم ثابت وأندراوس، وذلك بواسطة الإغراءات المالية التى كان لعابه يسيل لها حتى يصرف النظر عن الإقالة وقتئذ.

* * *

وبرغم سياسة المهادنة التى اتبعها النحاس، فإن فاروقا لم يمل من التطاول عليه، وعندما ولد ولى العهد أحمد فؤاد فى ١٦ يناير ١٩٥٢، والذى لقب بأمير الصعيد، انبرت الوزارة فى الاحتفالات والمجاملات التى لم تتفق إطلاقًا مع جميع الظروف السيئة التى تمر بها مصر. وارتبط هذا الحدث بالمزيد من المظاهرات العدائية ضد الملك وابنه، وحملت طابع العنف، حيث حمل بعض المتظاهرين السلاح، وتبادل إطلاق النار مع البوليس، وسقط عدد من القتلى والجرحى.

وجن جنون فاروق بعد أن علم بما تردّد فى المظاهرات التى امتلأت بألفاظ اللعنات، ليس عليه فقط، وإنما أيضًا على ابنه الوحيد وولى عهده الذى طال انتظاره. ونقل رئيس الديوان الغضب الملكى للنحاس، فطلب منه أن يطمئن مليكه، وبيّن له أنه سيقوم بإجراءات أمنية مشددة، فالدراسة ستعطل، وسيوجه نداء إذاعى للطلبة للالتزام بالهدوء.

وعندما عاد حافظ عفيفى إلى القصر نصح الملك بضرورة تغيير الوزارة فى خلال شهر ، إلا إذا وقع شىء مهم لم يكن متوقَّعا .

* * *

وفى ٢٥ يناير حدثت معركة الإسماعيلية بين الجيش البريطانى وبلوكات النظام، وظهرت فيها وحشية وضراوة الإنجليز ، وبطولة وتضحية البوليس المصرى، مما زاد الأوضاع سوءا، وتجمَّعت عواصف غضب الشعب لتترجم ما حدث يوم ٢٦ يناير ، يوم السبت الأسود الذى احترقت فيه القاهرة، هذا الحادث التراجيدى الذى تعدَّدت رواياته .

بدأت المأساة فى الثانية من صباح ذلك اليوم، بتمرد عمال الطيران فى مطار القاهرة، تبعها تمرد بلوكات النظام، الذين زحفوا تجاه الجامعة، وانجرف معهم الطلبة، واتجهوا إلى مبنى رئاسة الوزراء، مطالبين بقطع العلاقات الدبلوماسية مع بريطانيا، وإعلان الحرب عليها، فأجابهم عبد الفتاح حسن وزير الشئون الاجتماعية، بأن الوفد يرغب فى ذلك، ولكن الملك يمانع، فقصدوا عابدين، وانضم إليهم طلبة الأزهر . وتجمَّعت حشود المتظاهرين الساخطين على الملك وأعوانه والإنجليز ، وتراخت قوات الأمن فى وقف هذا الهدير . وما أن انتصف اليوم حتى بدأت الشرارة الأولى للحريق من ميدان الأوبرا، وانتشرت النيران، والتهمت كثيرا من الأماكن التى ضمت الملاهى الليلية التى ارتبطت بارتياد فاروق لها، وأيضا المؤسسات ذات العلاقة بالمصالح البريطانية . وسادت الفوضى وأعمال السلب والنهب .

* * *

وأشارت أصابع الاتهام إلى عدة جبهات، فقد حامت الشبهات حول فاروق، نظراً لملابسات معينة، تمثلت فى مأدبة الغداء الملكية - وليس العشاء كما هو معتاد - التى أقامها احتفالا بميلاد ولى العهد، ودعا إليها عدداً كبيراً من ضباط الجيش والبوليس القاهريين فقط، ماعدا مصطفى نصرت وزير الحربية والبحرية وفؤاد سراج الدين وزير الداخلية . تلك الدعوة التى بُلِّغت تليفونيا، وليس مثلما هو متبع عن طريق البطاقات، كما أن فاروقا لم يراع أحداث الإسماعيلية، ولا المظاهرات العنيفة، وصمم على الدعوة ولم يلغها . وعندما اشتعل الحريق، وطلب وزير الداخلية تدخل الجيش، تمنع الملك فى البداية، ثم

سمح بعد فترة، وذلك فى وقت تلكأ فيه المنوطون بأمر التنفيذ، ولم ينزل الجيش إلى الأماكن المشتعلة إلا متأخراً، وكانت طلقات رصاصه فى الهواء.

وخشى فاروق على نفسه، واستدعى السفير الأمريكى كافرى Caffrey لتأمينه من الحريق فى حالة امتداده للقصر، حيث لم يكن يتصور أن تتطور الأمور بمثل هذه السرعة. واتُّخذت الاحتياطات على الفور، إذ أحيط القصر بثمانمائة من سلاح الهجانة، ونصبت المدافع حول أسواره، لمنع اقتراب المتظاهرين. وانتاب فاروقا الفزع، وطلب تجهيز طائرة هليوكوبتر، لنقل ناريمان وطفلها إلى قصر القبة، ولكن طبيبها بيَّن أن فى تحركها خطراً عليها. وغمرت المشاعر المجتمعين فى القصر بأن الثورة أصبحت على الأبواب.

* * *

وعلى جانب آخر، فقد حدث تلاق بين الملك والإنجليز - الذين كانوا ساخطين على الوفد - بأنه إذا فقد الأول السيطرة على الموقف، فإن القوات الإنجليزية ستكون له السند والمعين، ومن ثم حامت الشبهات حول قصر الدوبارة، وأن له يداً فى الحريق. كذلك فإنها حامت حول حزب مصر الاشتراكى (مصر الفتاة)، إذ إن رئيسه أحمد حسين قد عبَّأ المصريين بالثورة، واشترك فى أحداث ذلك اليوم. كما تردَّد أن الإخوان المسلمين المعارضين لسياسة المرشد العام، أسهموا فى الحريق. وأيضاً وقع تحت الاتهام فؤاد سراج الدين على أساس أنه لم يتمكن من ضبط الأمن، ويتعاونه مع عبد الفتاح حسن أجَّج الموقف. والواقع أن هذه التعددية قد أسهمت بشكل أو آخر فى حريق القاهرة، ولكن مازال الفاعل مجهولا، والذى استغل الغضب الثائر ليفجر البركان. ومما لاشك فيه أن هذا الغضب كان منصبا فى الدرجة الأولى على الملك، نظراً لما وصل إليه من تدن وانحدار.

* * *

وعلى أى حال، فقد اهتز فاروق من جراء ما وقع، وأدرك أنه ربما يكون بداية للنهاية، التى تحققت بعد ستة أشهر فقط، وقدمت الفرصة نفسها له، لتتحقق الإقالة الملكية الثالثة والأخيرة للوزارة الوفدية فى اليوم التالى للحريق، عقب إعلانها للأحكام العرفية، بعد أن ألبسها ثوب الاتهام لما جرى، ونالت جزاءها عما قدمته لصاحب الجلالة من تنازلات. ويكتب السفير البريطانى لحكومته ليبين أن حادث الحريق جاء فى الوقت المناسب، حيث

أعطى الدفعة لفاروق، تلك التى كان يحتاج إليها للإقالة، وأنه اتخذ القرار، عندما اقتنع بأن القوات البريطانية تتحرك صوب القاهرة.

وتخبَّط فاروق فيمن يختاره ليشكل الوزارة فى هذه الظروف الصعبة، وتضاربت مصالح الحاشية التى كانت تستفيد من وجود الوفد فى الحكم، ولكن سرعان ما هدأ فاروق من هزته، وذلك عندما تعمَّق فيه إحساس الانتصار على غريمه النحاس، ويقينه من أن الوفد احترق مع حريق القاهرة، وأنه بالأحكام العرفية قد أوقف المظاهرات التى أقلقت مضاجعه، وعقد الألسنة التى لاكته، وشل الأقلام التى فضحته. وازداد غروراً، لأن إيمانه المعقود على الجيش تثبَّت، والخوف الذى كان يتتابه أحيانا من ناحيته تبدد، نظراً لما قام به من مجهودات يوم الحريق، ولم يستغل المناخ الذى هيئ له، ويقوم بالإطاحة بالنظام، ويسيطر على الموقف.

ثالثا- البحث عن تعويض

بعد أن سفر الوجه الملكى الآخر بشكله المختلف الذى يتعارض مع المنهج الذى سار على هديه إزاء الدور الخارجى الذى يُعَدّ بمثابة الدور المصرى تجاه الإسلام والعروبة، كان من المنتظر أن يتوارى فاروق عنه، لكنه نظر إلى ذلك من زاوية مختلفة، بمعنى أنه وجد فيه تعويضًا من الممكن أن يرسم له صورة تكون اليد المنقذة لما آل إليه من ناحية، وليكون له عونًا ضد الشيوعية من ناحية أخرى. ومن هنا واصل على اتخاذ خطواته إلى المساجد، والتبرع لها داخل مصر وخارجها، والاهتمام بالمناسبات الدينية، وخاصة فى شهر رمضان، سواء على أرض مصر أم فى العواصم الإسلامية، والإدلاء بالأحايث الإذاعية عن آداب الإسلام، وتوجيه العناية بالبعوث الإسلامية، وإيصال المساعدات المالية والهدايا لأبناء المسلمين فى الخارج. ثم كان الإجراء الذى اتخذه، وقصد من ورائه إثبات أنه الحاكم المسلم المدافع عن كيان الدول الإسلامية، والمتمثل فى تقربه من تركيا ومحاولة كسب ودها، وموقفه من إندونيسيا فى أثناء أزمتها مع هولندا.

* * *

وبالنسبة لنسج العلاقة مع تركيا، فقد حدث أنه فى أثناء رحلة فاروق بالبحر المتوسط فى سبتمبر ١٩٤٦، أن رسا بيخته على ميناء مرسين فى زيارة غير رسمية لتركيا، وكان له

الرصيد من الإعلام لديها، حيث إن الصحافة التركية سبق وأن كتبت عن اهتمام الأتراك بسماع إذاعة القرآن الكريم خلال شهر رمضان من قصر رأس التين، وأن نزعة الملك الدينية، جعلته محبوبا لهم. وعندما وطئت قدماه الأرض التركية، أذاع كلمة عبَّر فيها عن أخوة الشعبين التركى والمصرى، وذكر أنه يتحدث بالعربية، لأنها لغة القرآن الكريم، وحرص على التنقل والاختلاط بالناس. وكان من الواضح أنه أراد الحصول على المكاسب ليس فقط فى المجال الإسلامى، وإنما كذلك لاستخدامه ضد الاتجاهات السوفيتية فى تلك المناطق. وبعد هذه الزيارة، بعث فاروق برسالة خاصة إلى رئيس الجمهورية التركية، كما أرسل إليه مجموعة من الطوابع البريدية التى أصدرتها مصر.

* * *

وأما عن القضية الإندونيسية، فإن فاروقا أمر بإقامة صلاة خاصة من أجلها، وأداها مع المصلين، بهدف تحقق له فى الحال، إذ عقب الصلاة، ارتفعت الأصوات تهتف بحياة الفاروق حامى المسلمين، ثم فور الانتهاء من الحديث الدينى، قرأ الجميع الفاتحة لتفريج كرب الإندونيسيين. وما لبث أن صدر بلاغ كبير الأمناء بدعوة القصر للمثلين السياسيين لبريطانيا والولايات المتحدة وهولندا فى ٣٠ يوليه ١٩٤٧، حيث طلب فاروق منهم بذل المساعى لدى حكومة هولندا، لإنهاء العمليات الحربية الجارية فى إندونيسيا، مصرحا بأن استمرار هذه الحالة له وقع أليم على نفسه ونفوس المسلمين قاطبة. كذلك فقد أرسل بعثة للهلال الأحمر إلى إندونيسيا للمساهمة فى علاج الجرحى. وسرت هذه الأنباء، وتناولت الصحافة فى البلاد الإسلامية الحديث عن رعاية ملك مصر للمسلمين وموقفه الإيجابى من قضايا الدول الإسلامية، وكان ذلك ما يسعى إليه.

* * *

بيد أن هذه السياسة الملكية لم تجد صداها على الصعيد الداخلى، فقد تغير وضع الأزهر، إذ إنه باختفاء الشيخ المراغى من الساحة، فقد فاروق المعين والمساعد، ولم يستطع خلفه الشيخ مصطفى عبد الرازق والذى اختاره الملك برغم أنه لم يكن عضوا فى هيئة كبار العلماء، أن يملأ المكان الذى كان من سبقه يشغله. وحاول فاروق استقطاب الأزهريين، ولكن طرقه فشلت أمام انخراطهم تحت لواء المعارضة، وانجرافهم فى تيار الحركة الوطنية، وكان للوفد دوره فى ذلك، وخاصة مع تخبط الملك واستهتاره وفساده

وما حل بأسرته من انقلاب، وبالتالى لم يستطع أن يتباهى بالصورة الإسلامية التى كان يتعالى بها على غريمه النحاس.

وضح ذلك جليا مع بداية الخمسينيات، فانخفض مؤشره فى الناحية الإسلامية إلى أدناه، وحاول أن يُعوِّض، فهو يكثر من التبرعات لوزارة الأوقاف بشأن ترميم وإصلاح وتجديد المساجد، ولم يكن ذلك لوجه الله تعالى، وإنما لمصلحة خاصة، حيث رغب فى نقل وقف جده الخديو إسماعيل من الوزارة إلى ديوان الأوقاف الخصوصية الملكية، أيضًا أراد أن يذر القليل من الرماد فى العيون بشأن ما يحدث من أمه وأخته على الأرض الأمريكية فيما يختص بقضية زواج الأميرة فتحية، فوجد أنه ربما يكون لهذه العطاءات الملكية المردود الإيجابى.

* * *

وتدريجيا اختفى وجود فاروق من الاحتفالات الدينية، وأناب عنه رئيس حكومته، واختار بداية شهر رمضان (يونية ١٩٥١) ليقوم فيه برحلة شهر عسل غير مبال بالشعور الإسلامى. وسرت أخبار لهوه فى هذا الشهر الكريم، ونشرتها الصحافة الأجنبية، وبالتالى انحدرت مكانته تماما لدى المسلمين داخل مصر وخارجها.

وعقب عودته، مارس أوتقراطيته على الأزهر، فأقصى الشيخ عبد المجيد سليم الذى هاجمه فى أثناء غيابه بتصريحه المشهور «تقتير هنا وإسراف هناك»، وإعلانه أن الصبر قد نفد، وأنه لا يريد للعلماء أن يأكلوا ديوكا رومية، ولكنه يريد لهم الخبز فقط. وكان لذلك رد فعله، فقد تناولت الصحافة الموضوع، وانتقدت الملك لإقدامه على هذا التصرف، وأرسل علماء المسلمين فى الخارج برقيات استنكار لذلك. ولما كان الشيخ على علاقة سيئة بالوفد، فقد ربطه على ماهر بإقالة الوزارة الوفدية الأخيرة، التى استمر بعدها على سياسته النقدية والهجومية.

وفى محاولة للحصول على أى مكسب، أمر فاروق أن يكون للبعوث الإسلامية مدينة سكنية وأسهم فى مصاريفها، وأن يُطبَع الصحيحان البخارى ومسلم على نفقته الخاصة، ويواصل متابعته للنهوض بالمركز الثقافى الإسلامى فى لندن. ولكن ذلك لم يسترجع له أى شىء مما خسره، بعد أن سقطت هيبته، حتى إن خطباء المساجد وجهوا نظر المصلين إلى سوء الحال الذى وصل إليه الحاكم، ولكن سرعان ما فرضت عليهم الخطب التقليدية.

وفى آخر رمضان له فى مصر، غيَّر من النظام المعتاد الخاص بقراءة القرآن الكريم فى فناء القصر، واكتفى بجعله داخل قاعة تشريفات الحرملك. أيضا لم يعد مسموحا بدخولها إلا للطبقة العليا.

* * *

وفى ظل هذا المناخ، كان فاروق شغوفا بطوق النجاة ليعوض ما فقده. حقيقة أنه أصبح من الصعب كلية أن يفكر فى مسألة الخلافة الإسلامية، حتى لقد رد كريم ثابت على ما نشرته نيوز رڤيو فيما يتعلق بأن الملك مازال يُمنِّى نفسه بالخلافة، وذكر أن ذلك زعم منها، ولكن داخليا لم يكن فاروق ليترك هذا الأمر جانبا، لدرجة أنه عقب مولد ولى عهده، أمر بالبحث عن انتسابه للأشراف، وذلك ليصبح من السلالة النبوية الشريفة التى تسهم فى منحه جواز المرور، لتحقيق ما يأمله.

وخرجت الصحافة فى يوم ٦ مايو ١٩٥٢ ببيان نشرته للسيد محمد البيلاوى نقيب الأشراف، ينص على أن نسب فاروق يرجع إلى الأشراف من ناحية جده الأكبر لأمه. وقد تولى مهمة البحث حسين الجندى وزير الأوقاف فى وزارة الوفد الأخيرة، وشاركه كريم ثابت فى هذا العمل. وأدخلت كلمة السيد على الدعاء لفاروق فى المساجد. وكان ذلك من سخريات القدر، بأن يكون سليل آل البيت يغوص فى الملذات، وقد زاده ما حدث سخرية وازدراء فى مصر والعالم الإسلامى.

وكما هو واضح، فإن جميع تلك المساعى من أجل التعويض لما فقده فاروق، جاءت بالنتيجة العكسية فى ذلك الميدان، ولكن هل هذا الذى أصبحت صورته لها الشكل الآخر فيما يتعلق بممارسته لحياته الخاصة التى امتلأت بأنواع اللهو المختلفة وتنافت مع تعاليم الدين، كانت عقيدته الداخلية بعيدة عن الإسلام؟ لاشك فى أن تصرفاته الخارجية لم تكن تنم عن ذلك، ومع هذا، فإن الجزم بالتحديد لما يحتويه الداخل، أمر صعب، ولكن كان يستشف من أحاديثه مع بعض الأجانب، أنه يحمل إيمانا فى أعماقه.

* * *

كان هناك اتجاه آخر يكمل الاتجاه الإسلامى على خريطة السياسة الفاروقية، وهو الاتجاه العربى، وقد حاول من خلاله أن يغذى الاتجاه الأول، وبخاصة أنه بعد الإقالة

الملكية الثانية للوزارة الوفدية، اطمأن إلى أن منافسه خرج من الميدان العربى، وأنه وحده أصبح فارسه. وكان أول شيء يقدم عليه نشر بيان فى الصحافة بتأييد حكومته الجديدة - التى هى من صناعته - لقضية الوحدة العربية.

ووجد فاروق فى جامعة الدول العربية وأمينها العام عبد الرحمن عزام الشعاع الذى ينفذ منه ليحقق غرضه فى الريادة العربية. ويمضى فى تحركه، فهو يحث الملك عبد العزيز ابن سعود على توقيع بروتوكول الإسكندرية الخاص بالجامعة العربية، ثم ما يلبث أن يتوجه فى رحلة بحرية إلى ينبعُ فى ٢٢ يناير ١٩٤٥، لزيارة الملك السعودى، واصطحب معه أمين عام الجامعة وبعض رجال القصر وكريم ثابت - مندوب المقطم فى ذلك الوقت - واجتمع الملكان فى رضوى، وتباحثا فى مشروع سوريا الكبرى، وكيفية مواجهة الأطماع الهاشمية، كما تناول الحديث القضية الفلسطينية والمصلحة البريطانية داخل الدول العربية، والتصدى للشيوعية. وفى هذه الرحلة ارتدى فاروق الزى العربى، ثم انتقل إلى المدينة المنورة، وزار قبر الرسول صلى الله عليه وسلم، وصلى الجمعة فى الروضة الشريفة بالحرم النبوى، ورفض أن يشق له الجنود الطريق، لحملهم السلاح. وعلت الهتافات لفاروق داخل الحرم بأن يعز الله بالفاروق مصر والإسلام والعرب. وفى أعقاب صلاته، صرَّح بأنه يسأل الله أن يعينه على خدمة بلاده والإسلام والعروبة، ويبارك اتحاد العرب. ووزع منحة مالية كبيرة على سدنة الحرم النبوى، وفقراء المدينة وينبُع والطريق، وتبودلت الهدايا بين الملكين.

* * *

وبعودة فاروق، توافدت عليه البرقيات التى تهنئه بهذه الخطوة، وصدرت التصريحات المتعددة لتبارك وتحفز على الاستمرار. وسرعان ما حضر الرئيس السورى شكرى القوتلى، واستقبله الملك، حيث طُرحت على مائدة المباحثات، موضوعات اجتماع رضوى، وأشاد الرئيس بفاروق مصر ومجهوداته العربية.

وعندما انتهى وزراء الخارجية العرب من وضع نظام عمل الجامعة العربية، التقى فاروق مع أعضاء الوفود العربية، وتحدث إليهم عن الدور المصرى، وروح التعاون بين الدول العربية، وأنه على القوى أن يحمى الضعيف. ويستاء السفير البريطانى من ذلك، ويُبيِّن أن بريطانيا لا تؤيد زعامة دول عربية غير مستقلة. ومع هذا، ففى لقاء الملك برؤساء

الحكومات العربية، وذلك قرب توقيع ميثاق الجامعة، عبَّر لهم عن الآمال العريضة فى الوحدة العربية، وكيف أن أحدها معقود على هذه الجامعة. وقد أعطى له المجتمعون الإحساس بأنه ملك الجميع، مما زاده نشوة وسعادة، وتقمَّص شخصية زعيم العرب، وخاصة بعد أن تم توقيع ميثاق الجامعة فى ٢٢ مارس ١٩٤٥.

* * *

وأراد فاروق أن يترجم أهمية المركز التى استحوذ عليه، فحينما وقع العدوان الفرنسى على سوريا ولبنان فى مايو ١٩٤٥، طلب من رئيس حكومته النقراشى قطع العلاقات الدبلوماسية مع فرنسا، ولكن الأخير ذكر له أنه طالما الأمر يتعلق بالسياسة الخارجية، فلابد من مناقشته مع السفير البريطانى، لذا فإنه حين انعقد مجلس الجامعة العربية، وجَّه رسالة له، شرح فيها ما أقدمت عليه فرنسا، وطالب باستقلال البلدين وحصولهما على السيادة الكاملة.

ولما كان الملك قد استهواه التحرك فى المحيط العربى، فقد أبحر فجأة إلى جدة، فوصلها فى ٢٠ سبتمبر ١٩٤٥، مصطحبًا معه رجالا من حاشيته، وأخته فوزية وإسماعيل شيرين - سوف يكون له دور فى آخر حكم فاروق - وقضى فيها بعض الوقت ثم أبحر إلى جزر قمران، وهى مستعمرة بريطانية فى جنوب البحر الأحمر، قريبة من الساحل اليمنى، واستقبله مديرها المدنى، وقدم تبرعه لمسجد فيها، وذلك لعلاقته بإمام اليمن. وبعد ذلك وصل إلى ميناء مخا قرب باب المندب، ثم عاد للعقبة فالعريش فالإسماعيلية. وقد كانت هذه الرحلة غريبة الطابع، ووصفها القائم بالأعمال البريطانى بأنها ملتوية.

* * *

وفى يناير ١٩٤٦ لبى الملك عبد العزيز بن سعود الدعوة الملكية المصرية، وقام بزيارة إلى مصر مع أخيه وأبنائه وحاشيته، واحتفى به فاروق بصور متعدِّدة. وتناولت المحادثات السلام وحسن العلاقات بين الدول والقضية الفلسطينية، وتطابقت رؤية الملكين نظرا لتوافق مصالحهما.

واستمرارًا على المنهج نفسه، حضر فاروق احتفال مرور عام على تأسيس الجامعة العربية، وأبدى الاقتراحات التى تُقرِّب العرب، وركز على القومية العربية المشتركة.

وتأخذ مجاملاته طريقها فى السراء والضراء مع سوريا والعراق واليمن، وتشيد الصحافة العربية بملك مصر.

والواقع أن ما حظى به فاروق من مكانة عربية لم يستمدها مما أقدم عليه. حقيقة أنه ضاعف نشاطه وخاصة مع بداية عمل الجامعة العربية، ولكن لابد أن يوضع فى الحسبان مركز مصر ودورها فى الميدان العربى.

* * *

أما عن تحركات فاروق تجاه فلسطين، فمنذ نهاية عام ١٩٤٤، راح يتحدث عنها، وينتهز فرص لقاءاته بالضيوف الأجانب ويثير قضيتها، ويتعرض للموقف الأمريكى المتعاطف مع اليهود، وكيف أنه يؤدى إلى أن واشنطن سوف تخسر العرب. ويُبيِّن للسفير البريطانى أن قيام دولة يهودية يتمخض عنه إقامة علاقات لها مع السوفيت. وكان حريصاً على اتباع هذه النغمة - وكما تصور - حتى يدفع بريطانيا للتحرك الإيجابى ضد اليهود.

وفى عام ١٩٤٥ سيطرت على فاروق الرغبة فى زيارة القدس، ولكنها لم تتم لعدم استقرار الأحوال فيها، لدرجة أن القنصلية المصرية بها تعرَّضت للضرب. وعقب توصية الرئيس الأمريكى ترومان Truman بشأن تشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين، رأى الملك عقد اجتماع للحكام العرب لبحث هذا الأمر، ولكنه لم يُوَفَّق فى تلك الخطوة، ويرجع القائم بالأعمال البريطانى ذلك إلى كره الهاشميين فى العراق والأردن له.

وفرَّق فاروق بين ما يحدث فى فلسطين ويهود مصر، إذ أعلن أن واجبه حمايتهم لأنهم يعيشون فى كنفه. ويواصل اهتمامه بالقضية الفلسطينية، ويتحدث مع السفير البريطانى بشأن خطر الهجرة اليهودية، واتخذ من نشاط الجامعة العربية التأكيد لموقفه من القضية، وأكد ذلك فى لقاءاته مع الزعماء العرب.

* * *

وحينما نشر تقرير لجنة التحقيق الأنجلو أمريكية فى أواخر أبريل ١٩٤٦ الذى أوصى بالهجرة اليهودية، بعث فاروق على الفور برسائله الخاصة إلى المسئولين فى الأردن وسوريا ولبنان حول مضار ذلك، ودعا ملوك ورؤساء الدول العربية إلى عقد مؤتمر أنشاص، وحضره ممثلو الأردن والعراق وسوريا ولبنان والسعودية واليمن، وكان الأول

من نوعه فيما يختص بالقضية الفلسطينية . وافتتح فاروق جلساته فى ٢٨ مايو ١٩٤٦ ، وسيطر على المناقشات التى ارتكزت على الرفض لأى هجرة يهودية جديدة إلى فلسطين . وقد عُدَّ هذا المؤتمر تدشينًا لمكانته العربية .

* * *

وفى أعقاب المؤتمر ، استقبل فاروق الحاج محمد أمين الحسينى ، مفتى فلسطين السابق لاجئا سياسيا ، وكان ذلك تمشيًا مع خطته بشأن النكاية فى الملك عبد الله ، ومحاولة لاكتساب بعض الشعبية التى راحت تتسرب منه ، ومضى يصطحب ضيفه فى مناسبات متعددة . واتباعا للسياسة نفسها ، استقبل مطران الروم الكاثوليك فى فلسطين . ولم يكن فاروق يترك فرصة فى مقابلاته مع المسئولين الإنجليز ، إلا ويتحدث عن الأوضاع الفلسطينية ، ويذكر أن ما يحدث من اضطرابات هناك ، له التأثير فى مصر والبلاد العربية ، ويُبيِّن أنه لابد من العمل على الاستقرار . وفى كلمته الإذاعية التى ألقاها فى رمضان (١٩٤٧) حيّا فلسطين ، وأعلن أنه يسعده مساعدتها فى كفاحها للحصول على حقها فى النصر .

واستخدم فاروق القضية الفلسطينية لصالحه ، وساعدته الظروف ، خصوصا حينما وضح موقف العراق والأردن منها ، فالتقطه ، ونفذ سياسة الاحتواء العربى . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإنه عقب صدور قرار الأمم المتحدة عام ١٩٤٧ بشأن تقسيم فلسطين ، واجتياح المظاهرات مصر ، استغل ذلك حتى يحول مسيرة الغضب الذى تعرض له . وتعدَّدت رسائله للحكام العرب ، واختصت بطرق إنقاذ فلسطين .

* * *

واستقبل الملك اللجنة السياسية الخاصة بالجامعة العربية فى ١٢ أبريل ١٩٤٨ ، وتمت قراءة بيانه عليها ، والذى تضمن أنه إذا دخلت الجيوش العربية فلسطين لإنقاذها ، فإن ذلك سيكون حلاً مؤقتًا وخاليًا من كل صفة من صفات الاحتلال أو التجزئة لفلسطين ، وأنه بعد تحريرها سوف تُسلَّم لأصحابها .

ومضت الاجتماعات بالمسئولين العرب فى القاهرة ، وامتلأ فاروق ثقة بقدرة القوات العربية على ردع اليهود فى حالة قيام الحرب بينهما ، وهذا ما صرَّح به للسفير البريطانى ، وأعلن أن مصر عقدت النية على مد الفلسطينيين بالمساعدات الحربية والمالية ، وفرَّق بين

اليهود والصهاينة، وذكر أن مصر لن تقبل بقيام دولة صهيونية على مقربة من حدودها، وأنه لابد من استخدام القوة لردع ذلك. ثم وجّه رسالة إلى الفلسطينيين قال فيها «أبشروا، فإن العدالة فى جانبنا، والله كفيل بأن يدفع عنا كل مكروه». وأصبح متوقعًا أن الحرب قادمة، وأعدّ مجلس الوزراء مشروع قانون لفرض الأحكام العرفية من ١٥ مايو وهو تاريخ انتهاء الانتداب البريطانى، وذلك لتأمين حالة الحرب داخليا، وأيضًا تأمين الجيش المصرى خارجيا.

* * *

ومن هنا كان فاروق صاحب قرار الحرب، وما لبث أن أصدره، وعبرت القوات المصرية الحدود إلى فلسطين مع الجيوش العربية فى ١٥ مايو ١٩٤٨، وذلك عقب الإعلان عن قيام دولة إسرائيل، وبعد ثلاثة أيام، استدعى الملك السفير البريطانى، وأظهر له استياءه من الاعتراف الأمريكى بإسرائيل، مبينًا أن العرب سيهاجمون اليهود، وأن النتيجة المرجوة لن يطول مداها، إذا لم يحصل اليهود على مساعدات خارجية، وأن الحماسة متوهجة، والغيرة الدينية متحفزة، والغضب سائد نتيجة بشاعة اليهود والمؤيَّدة بالصور لدى الصليب الأحمر، وذلك جميعه يجعل الرجال فى شوق للاستشهاد لأنه الطريق إلى الجنة.

* * *

وبانتصار القوات العربية على اليهود، صدر قرار مجلس الأمن فى ٢٩ مايو بوقف القتال، وتدخل مسئولو السفارتين البريطانية والأمريكية لإقناع فاروق بقبول ذلك. وعندما حضر الوسيط الدولى الكونت برنادوت Bernadotte، استقبله الملك الذى لم يكن راضيًا عن وقف القتال على أساس أن الحرب ستنتهى لصالح العرب، وأن الهدنة تعطى اليهود الفرصة وكسب الوقت للتزود بالأسلحة والعتاد. والواقع - وكما ذكر برنادوت - أن فاروقا وضع أمامه هدف الحصول على مجد لنفسه. وإذا تركنا ذلك جانبا، فإن تحليله فى مسألة الهدنة كان منطقيًا.

وحينما هدَّد الملك عبد الله بالانسحاب من الحرب، بل ومن الجامعة العربية، أيضًا وبالضغط على فاروق وافق على الهدنة، لكنه أصرَّ على عدم قبوله قيام دولة يهودية. وقبل استئناف القتال بأيام قليلة، يزور القوات المصرية فى جنوب فلسطين، تملؤه فرحة

الانتصار، ويدلى بالتصريحات التى تنم عن مهارة الجيوش العربية فى فلسطين، معبراً عن الآمال والأمانى المنتظرة التى سوف تعيد إليه ما فقده على أرض مصر.

* * *

وتأتى الهزيمة التى أسهم فاروق فيها، لانفراده بقرار الحرب، وعدم تبصره بحالة جيشه وعدَّته وعتاده، وتلهفه وتسرعه من أجل الحصول على المكاسب التى تعوضه عما خسره، فما كان إلا أن زادت هذه الخسارة. وبرغم ذلك، ووفقا لسياسة البحث عن تعويض، يمضى على الدرب نفسه، ويواصل اهتمامه بالقضية الفلسطينية، ويكثر من التحدث عنها. وحين دعا رؤساء وفود الدول العربية لدى مجلس الجامعة العربية، أمر أن يترك مكان خال يخص فلسطين على المأدبة الملكية. وكانت مثل تلك الأعمال تستخدم دعاية له فى مصر والخارج، لكنها لم تكن تحد من الهجوم عليه.

والواقع أن ما تردد بشأن تعاطف الملك مع اليهود، لم ينطبق على موقفه من إسرائيل، فهو يأمر بمنع إعطاء تأشيرات للمندوبين الإسرائيليين لحضور الاجتماع الإقليمى لمنظمة الصحة العالمية. كما شملت لقاءاته مع المسئولين الأجانب، وبخاصة البريطانيون، حديثه عن الدعاية القوية لإسرائيل، وتأثيرها على البيت الأبيض فى واشنطن، وحثه لبريطانيا على ترك التأثر جانبًا عند معالجتها للقضية الفلسطينية، كذلك عارض أى اتجاه يرى الاعتراف بإسرائيل، ففى إبريل ١٩٥٠، قدم إليه رئيس الديوان حسين سرى - وله العلاقات مع كبار الرأسماليين اليهود - مذكرة، تتضمن أن تتبع مصر المنهج العملى، وتتفاهم مع إسرائيل، ويتم عقد الصلح معها، وتعترف بها. ويرفض فاروق، ويتشدد فى القول مع رئيس ديوانه، ويبلغه إن لم يعدل عما يرى، فعليه الاعتذار عن بقائه فى منصبه.

* * *

وهنا لابد من الإشارة إلى أن فاروقا قد سبق، وفى أثناء حديث له فى يناير ١٩٤٩ مع دوجلاس Douglas - قائد الطيران البريطانى فى الشرق الأوسط - أن ألح فى طلب مصر للأسلحة، وأن الاتحاد السوفيتى يمد إسرائيل بها، وبيَّن أنه متفائل لنتيجة المفاوضات الجارية فى رودس، وأشار إلى إمكانية عقد تسوية مع إسرائيل، لكنه لم يتطرق إلى نوعية تلك التسوية، وهل كان يعنيها أم طرحها من أجل الموقف حتى يدفع الحماسة البريطانية من أجل تحقيق الغرض الأساسى، ألا وهو إمداد مصر بالأسلحة. هذا الطلب الذى أكد

عليه مرة أخرى فى مقابلة له مع الفيلد مارشال سليم Slim ـ رئيس هيئة أركان حرب الإمبراطورية ـ وبين خشيته من هجوم اليهود لأن هدفهم سيناء وقناة السويس، وهو لا يريد أن يُؤخذ على غرَّة، وأن الحدود التى وضعتها الأمم المتحدة غير مأمونة.

وبذلك يبدو أنه لم يكن له الموقف المستسلم للوجود الإسرائيلى. ومما يذكر أنه فى أعقاب تنازله عن العرش مباشرة، وفى حديث جرى بين السفير الإسرائيلى فى واشنطن أبا إيبان ومدير قسم الشرق الأدنى بوزارة الخارجية الأمريكية، يستنتج منه الموقف المتشدد لفاروق تجاه إسرائيل.

* * *

كان لعام ١٩٤٩ أهمية لدى فاروق، حيث وقع فيه ثلاثة انقلابات عسكرية فى سوريا، وهى بالنسبة له السند ضد الأسرة الهاشمية فى العراق والأردن، وبالتالى تشكل عقبة أمام مشروع سوريا الكبرى. وحينما وقع الانقلاب الأول على يد حسنى الزعيم، الذى وجد نفسه فى حاجة إلى الآخرين لتثبيت مركزه، رأى أن تحقيق مآربه ينحصر فى الملكين المصرى والسعودى، بعد أن لفظ نورى السعيد والملك عبد الله.

وعلى صعيد آخر، فإن فاروقا تمسَّك بإيمانه بزعامته للعرب، وصدارته فى الجامعة العربية. وبخاصة أن أمينها العام كان يعد له الخطوات فى سبيل نوال مراده، والتى كانت إحداها الوقوف أمام أطماع الهاشميين وبالذات الملك عبد الله، فضلا عمًا قام به كريم ثابت من نشاط، والذى انتابته المشاعر القومية من ناحية، ومن ناحية أخرى رغبته فى البحث لمليكه عن مخرج مما حاق به. ومن هذا المنطلق فُتحت قناة اتصال مع قائد الانقلاب السورى.

وحضر حسنى الزعيم إلى مصر فى ٢١ إبريل ١٩٤٩، واستقبله فاروق فى أنشاص، وتناولت مباحثاتهما التطلعات والتحركات الهاشمية، وعرضت مسألة أن يكون ملك مصر ملكا على سوريا، والزعيم نائبًا عنه، وأعلن الأخير أنه إذا أراد العرب تكوين إمبراطورية، فإن فاروقا سيكون إمبراطورا عليها. وأثلج ذلك صدر الملك الذى أعلن على الفور اعترافه بنظام الحكم الجديد فى سوريا، ووعد بالمساعدات الحربية والمالية لها. وأعقب ذلك الاعتراف السعودى بالانقلاب السورى، وهذا ما أراده حسنى الزعيم الذى أعلن رفضه صراحة لمشروع سوريا الكبرى، مما أسعد فاروقا. وتبودلت المجاملات الزائدة

بين الطرفين، وأهديت الأوسمة بينهما، ويقوم الزعيم بدوره فى الإشادة بالملك الصديق فاروق، وتنشر الصحافة ذلك، فيزداد الأخير نشوة، ويغمره الإحساس بأن هناك تعويضاً لما فقده.

* * *

ولم تكتمل فرحة فاروق، إذ وقع الانقلاب الثانى، وقتل حسنى الزعيم، فأعلن الحداد عليه، وبالتالى فقد المؤازر له، فضلا عما استقر داخله بناء على ما حدث أمام عينيه كمثل آخر خلال أشهر قليلة، كيف أنه من السهل لجيش أن يقوم بانقلاب.

وكان سامى الحناوى، زعيم الانقلاب، يختلف عن سابقه، وبرغم أن الملك اعترف بنظامه، فإن ذلك جاء متأخراً، بالإضافة إلى العلاقة التى ربطته بالعراق، وإمكانية قيام وحدة بينهما. وعليه استقبل فاروق شكرى القوتلى، ليشكل جبهة معارضة لما هو منتظر.

وسرعان ما وقع الانقلاب الثالث على يد أديب الشكلى، الذى حاول أن يتقرب من الملك، وزار القاهرة فى أوائل عام ١٩٥٠، ولكنه لم يلق ما وجده حسنى الزعيم، حيث انشغل فاروق بمشروع الضمان الجماعى الخاص بالأمن العربى بفرعيه السياسى والعسكرى، والذى يرتكز على تحالف عسكرى عربى عام، ليدعمه أمام مشروع الدفاع المشترك الغربى، وليكون قوة أمام التهديدات السوڤيتية.

ويستاء السفير البريطانى من المشروع العربى، ويشكو لحكومته من أن العمل مستمر على أن تكون مصر الزعيمة، وذلك بتحريض من القصر، إذ يقوم به المخططون، وبمباركة الملك، والواقع أنها لم تكن مباركة فقط، وإنما رغبة أكيدة وملحة فى تحقيق الريادة الملكية.

* * *

وبرغم أن البحث عن تعويض خارجى لما فقده فاروق فى مصر، قد انصب بالدرجة الأولى على المشرق العربى، نظراً لاعتبارات كثيرة، فإنه أيضا ولّى شطره للمغرب العربى الذى كان له الوضع الخاص، حيث الوجود الفرنسى الطاغى، ومع هذا فقد تحداه فاروق، ففى عام ١٩٤٧ يقدم المساعدات المادية لتونس عندما اجتاحتها المجاعة. ويدخل الأمير عبد الكريم الخطابى تحت حمايته، ويهتم بقضية المغرب الأقصى، ويصف الفرنسيين بأنهم مستعمرون، ولابد لهم أن يجلو عن المغرب، ومن ثم فقد نال إعجاب المغاربة.

أما عن ليبيا، فلم تكن مغيَّبة كلية عن خريطة فاروق العربية، إذ تضمنت رسالته التى بعث بها فى مايو ١٩٤٦ إلى الأمير عبد الله وبشارة الخورى وشكرى القوتلى، الأوضاع فيها، كما عرض قضية استقلالها فى مؤتمر أنشاص فى العام نفسه، كذلك أرسل إلى طرابلس المساعدات فى أثناء تعرضها للمجاعة فى العام التالى. وشابت علاقته بالسنوسى بعض الشوائب، وذلك بعد رفضه تسليم مصر بعض الهاربين إلى برقة من الإخوان المسلمين عام ١٩٤٩.

* * *

وبصفة عامة، فإن ما بذله فاروق من مجهودات بشأن البحث عن تعويض، لم يأت بالنتيجة المرجوة، سواء داخل مصر أم خارجها. حقيقة أنه أحرز بعض النجاحات، وخصوصا فيما يتعلق بالميدان العربى، لكنها لم تشفع له، وإنما تم التركيز على أخطائه الخارجية، لتضاف إلى مثيلاتها الداخلية. حقيقة أنه أعطى شيئا من البريق لدور مصر الريادى فى المنطقة، ولكن عندما ربط ما أقدم عليه بأغراضه التى تنطق بالهوى وتسعى للمصلحة الخاصة، عجز عن انتشال نفسه من التردى والعودة إلى التوهج.

رابعا ـ التأرجـح

اتسمت علاقة فاروق ببريطانيا فى أعقاب الإقالة الملكية الثانية للوزارة الوفدية فى ٨ أكتوبر ١٩٤٤ بالهدوء، ومضى يردِّد فى لقاءاته مع المسئولين البريطانيين، وخصوصا العسكريين الذين ربطته بهم العلاقة الطيبة، أهمية التعاون بين البلدين، وأنه سينسى الماضى ـ لكنه فى الأعماق ظل هذا الماضى يحمل له الذكريات الأليمة ـ وحاول إثبات تحوّله للجانب البريطانى، فى وقت انهارت آماله بهزيمة المحور. وترجم ذلك بطرق متعددة من المجاملات، فطلب اللقاء بإيدن الذى كان فى زيارة لموسكو، فمر على القاهرة والتقاه فى ٢٤ أكتوبر ١٩٤٤، وعبَّر فاروق عن سعادته بعودة الأمور إلى نصابها، وكان اللقاء ودوداً ودافئاً. وأظهر الملك مشاعره المتعاطفة مع بريطانيا فى مناسبات متعددة، وبيَّن للقائم بالأعمال البريطانى أنه لم يكن أبدا ضد الإنجليز، وأن الذين نعتوه بذلك حكموا عليه ظلما. ومما لاشك فيه أن أحمد حسنين رئيس الديوان آنذاك، قد أدى دوره فى هذا التقارب، وزاد منه عبد الفتاح عمرو، صاحب العلاقة الوطيدة بالملك والإنجليز.

ولكن مع عودة كيلرن من إجازته إلى مصر فى نوفمبر ١٩٤٤ ، استعاد فاروق مواقفه المضادة برغم ما أبداه للسفير من ارتياح ظاهرى. وهنا ووفقا لطبيعة شخصيته أراد أن يظهر ورقة المشاكسة، وذلك فيما يتعلق ببعض المقربين له والمحسوبين على الهوية المحورية، ولكن عبد الفتاح عمرو تدخل وأنهى الموقف. وسرعان ما عاد فاروق إلى دائرة التحالف، فهو يكثر من جلساته مع القادة العسكريين البريطانيين، ويحضر الحفل الذى أقامه وزير الطيران البريطانى، ويرتدى زى سلاح الطيران، ويزور المصانع الحربية البريطانية فى ضواحى القاهرة، ويتناول الغداء مع القائد العام البريطانى، ويسعد بالطائرة التى قدمتها لندن له هدية فى عيد ميلاده لعام ١٩٤٥ ، ويبدى رغبته فى زيارة بريطانيا. ولمزيد من تحسن العلاقات، تم تعيين صديقه عبد الفتاح عمرو وزيرا مفوَّضا لمصر فى لندن.

* * *

ويجمع فاروق مع رئيس الوزراء البريطانى فى ١٧ فبراير ١٩٤٥ ، ويتدخل الأخير فى عدم محاكمة النحاس، ويطرح عليه مسألة إعلان الحرب على المحور، حتى تصبح مصر عضوا فى اجتماع سان فرانسسكو، كما نوَّه إليه بضرورة الإصلاح الاجتماعى. وتم له ما أراد بالنسبة للمطلبين الأولين. ويُبيِّن فاروق أن مصر غدت حليفة لبريطانيا، وأن عليها أن ترد الجميل لبلده.

وتتابعت لقاءات الملك بالمسئولين البريطانيين، وفى كل مرة، يركز على استنكار الرؤية التى تنظر إليه على أنه ضد بريطانيا، ويحاول إثبات إخلاصه لها، مصرحًا للوزير البريطانى المقيم فى الشرق الأوسط، بأنه فى حاجة إلى مساعدتها طوال عمره، وأنه يعرف أن مصر مهمة لها، فهى حجر الزاوية فى علاقتها بالشرق الأوسط، وهو فى وسعه العمل من أجل الصداقة البريطانية المصرية أكثر من أى شخص آخر، وأن التلاقى فى منتصف الطريق الوسيلة للتعاون، ويُعرِّج على مسألة تدخل بريطانيا فى شئونه، ورغبته فى ألا تعمل على جرح كبريائه، وتتعامل معه بوصفها شريكة لمصلحة مشتركة، وقلَّل من قدر حكومته. ثم عاد وكرر أن المستقبل يعتمد على مساعدة بريطانيا له فى كل شىء، ولكن يجب أن تكون هذه المساعدة بشكل غير فضولى.

وحرص فاروق على إعطاء الصورة الجميلة لتقاربه مع بريطانيا، فيقوم بزيارة لبعض

وحدات الأسطول البريطانى فى مياه الإسكندرية، وهو فى زى قائد الأسطول البحرى، ويحضر غداء المؤتمر البريطانى بالفيوم، ويهدى ٢٥ ألف سيجارة إلى جندى بريطانى فقد بصره ويديه فى إحدى معارك الصحراء الغربية، وينوى فتح حانوت دخان فى بلده، ويتبرع بالمال لإعادة بناء كلية الجراحين فى لندن.

* * *

ويُثنى السفير البريطانى على فاروق، ويعيد عليه أنه لن يتدخل فى سياسة مصر الداخلية مرة أخرى. ومن جانبه لم يترك الملك فرصة، إلا وجامل فيها الوجود البريطانى، ويصرح بأنه يستعيد قول أبيه بأن مصر على مدى خمسين سنة قادمة، لابد من ارتباطها ببريطانيا، وأنه لم يمض بعد سوى عشر سنوات على المدة المحددة. أيضًا يرحب بالعرض العسكرى البريطانى الذى أقيم فى القاهرة احتفالا بعيد ميلاد الملك البريطانى، ومن ثم فإن مواقفه إبان هذه الفترة خصمت من رصيده لدى المصريين، وأثرت على الشعور العام المضاد لمثل تلك الأفعال.

وعرفت لندن كيف تُروِّض الملك، بترديد نغمة الخطر الشيوعى الذى يفزعه، وأن المنفذ الوحيد لحمايته ليس فقط تنفيذ السياسة البريطانية، وإنما أيضا الارتماء فى أحضانها. وكانت الخارجية البريطانية دائما تؤكد أن الملكية المصرية هى المؤسسة الوحيدة التى ما زالت تمتلك المكانة والسلطة والاستمرارية. وبرغم أنها تعترف بالأخطاء التى وقع فيها ملك مصر، وكيف أنه كان العدو اللدود لبريطانيا، فإنها تفخر ببسط سطوتها عليه، خاصة بعد الانتصار فى الحرب. كذلك فهى ترغب فى أن تبنى السياسة على إعطائه التصرف على شرط أن يكون لها الاعتبار، وتشير إلى إمكانية إعادة النحاس إلى الحكم عندما تسنح الظروف، وتنبه إلى عدم إغفال ردود فعل اتجاهات الملك الأوتقراطية، بينما تُسجِّل أن الوفد يحمل شعلة الحرية والديمقراطية، ولكنها تنتهى إلى أن الأخيرة - أى الديمقراطية - وفقا للمفهوم الأنجلو أمريكى ليس لها وجود فى مصر. وكان ذلك هو نمط التفكير الإنجليزى آنذاك.

* * *

وبدأت مسألة تعديل المعاهدة تطفو على السطح، وتغيرت الظروف بعد أن تولى حزب العمال البريطانى الحكم فى ٢٦ يولية ١٩٤٥، فقد توارى إيدن وزير الخارجية

السابق الذى ساند كيلرن، وتقلّد عبد الفتاح عمرو منصب السفير المصرى فى لندن، ويبذل الجهد ليحسن صورة مليكه لدى المسئولين البريطانيين، وفى الوقت نفسه يكيل للوفد الاتهامات، وعقد المقارنة بين الملك وزعيم الوفد، فالأول فى سن الخامسة والعشرين، وأمامه أربعون سنة أخرى، والآخر فى سن السبعين، وليس هناك من هو جدير بخلافته.

واتجهت سياسة لندن للعمل على مزيد من التقارب مع فاروق، جريا وراء استقطابه عند تعديل المعاهدة، وذلك بإقناعه بأن بريطانيا معه، طالما أنه يحافظ على مصالحها. وكانت أولى الخطوات سحب كيلرن من قصر الدوبارة، لمحو أى أثر يلازم الملك، وليصبح أداة سهلة لتحقيق المطالب البريطانية، وذلك قبل أن تبدأ المفاوضات.

ومثلت إزاحة كيلرن من طريق فاروق، نقطة فوز، أسعدته وملأته فرحة ونشوة، فى وقت التهبت فيه الحركة الوطنية، حيث المظاهرات التى تعلن رفضها لأى استسلام للجانب البريطانى، وتطالب بالجلاء، وكانت الأحكام العرفية قد ألغيت منذ ٧ أكتوبر ١٩٤٥، وأطلق للصحافة العنان، مما زاد الموقف اشتعالا.

* * *

ويتدارك فاروق لموقعه على خريطة السياسة البريطانية، ومساعى جذبه، والعمل على ترضيته بمختلف الطرق، وأنه أيضا لكسب لندن، وحاجته لوقوفها بجانبه، استخدم جميع أدوات التحالف معها، فقد فكر فى الوقت ذاته أنها لم تنفض يدها من الوفد بعد. ووفقًا لطبيعته التى لا تلتزم بخط معين رأى أن يبرهن لها على أنه يمتلك مفتاح شعبه، بمعنى أنه يمكنه تأليبه عليها. وبالتالى تصبح على يقين من ضرورة التركيز عليه فقط دون الوفد. ولما كان تشجيع المظاهرات هو المحقق لتنفيذ تصوره، فإنه التجأ لهذه الوسيلة التى سوف تظهره فى صورة الرجل الوطنى الغيور على مصر، والذى ينافس الزعماء السياسيين، وبخاصة النحاس، وأنها كذلك من الممكن أن تعالج انفراط عقد شعبيته، وتصرف النفور عنه، وعندئذ يتحول الشعور العدائى الذى هو من نصيبه إلى بريطانيا، وذلك تبعا لرؤيته. وتستوعب الخارجية البريطانية هذه الخطة، وتعقب بأن القصر يلعب بالنار. والواقع أن المظاهرات فى أثناء تلك الفترة لم تكن فى صالحه على الإطلاق، وكانت هتافاتها ضده.

* * *

وعندما صدر الأمر الملكى لإسماعيل صدقى بتشكيل الوزارة فى ١٦ فبراير ١٩٤٦، وجدت بريطانيا فى نص الأمر علامة واضحة على ديماجوجية القصر، نظراً للإشارة الملكية الخاصة بالرغبة فى تحقيق الأمانى الوطنية، والمطالبة بتضافر القوى الوطنية. ويُسجِّل القائم بالأعمال البريطانى للندن أن رئيس الوزراء يعمل مع القصر على تنظيم المظاهرات التى تهتف بالجلاء ووحدة وادى النيل وتطعن فى بريطانيا.

وجاء يوم الإضراب العام فى ٢١ فبراير، ليتأجج الموقف، وتشتعل المظاهرات، ويصفها القائد العام للقوات البريطانية لحكومته، ويطلب اتخاذ خط صارم مع الملك، ويقترح أن يكون عسكريا وضرورة تبليغه بأن يتحكم فى الموقف. واحتج قصر الدوبارة على أحداث هذا اليوم، وتقابل القائم بالأعمال البريطانى مع فاروق، وندَّد بما حدث.

ولما كان الملك يخشى من تفاقم الأمور، وعودة أحداث يوم ٤ فبراير، وغضب بريطانيا، فقد حاول تلطيف الأجواء. ولكن الأمر لم يستمر طويلا، وفى وسط إحدى الأزمات، أراد أن يعين على ماهر رئيسا للديوان، ولما كان ذلك لن يرضى بريطانيا، انصاع وعيَّن إبراهيم عبد الهادى فى المنصب. ولم تهدأ الأحوال التى ازدادت سوءاً مع الأحداث الدامية التى وقعت بالإسكندرية فى ٤ مارس - يوم الحداد على شهداء ٢١ فبراير - ومرة أخرى يشكو القائم بالأعمال البريطانى لفاروق مما حدث، فيعبِّر الأخير عن استيائه، ولكنه فى الحين ذاته أدان التصرفات البريطانية.

* * *

وتشدَّد فاروق تجاه الموقف البريطانى حتى قبل بدء المحادثات الرسمية الخاصة بالمفاوضات، وعندما بدأت أصبح طرفا فيها عن طريق الاتصالات، وأيضًا فى أثناء لقاءاته سواء مع السفير البريطانى الجديد كامبل أم وزير الطيران البريطانى، حيث أظهر تمسكه بالمطالب الوطنية. وبالطبع استاء الإنجليز من ذلك، وجرت بعض المحاولات لإعادته لهم، ونجحت لبعض الوقت، فاقترحت لندن تجديد مسألة زيارته لبريطانيا، ولكنها أرجئت لخلافاته مع الملكة فريدة، وفرض نفسه على المفاوضات. ويستعرض كامبل الاتهامات التى وجهت إليه لتخطيه حدوده الدستورية، ولتقربه من بريطانيا. وحتى يبعد فاروق الشبهات عنه، قام برحلة بحرية غير رسمية فى البحر المتوسط، فاستقبل بحفاوة من حاكم قبرص، والسفير البريطانى فى تركيا، ورفض الإدلاء بأية تصريحات سياسية. ويتخلى عن تشدده، ويساند المقترحات البريطانية، ويُقدم على تغيير حكومته، ويعود النقراشى إليها مرة أخرى، بعد أن نال الرضا البريطانى.

ولكن الأمر لم يلبث الأمر أن بدأ الملك ينحرف عن حليفته، حين وجد أن الرأى العام قد تحوَّل ضده، نظرا لما كان يصدر عنه من سوء تصرفات، وعاد من جديد لتشدده، ووضح ذلك فى أحاديثه مع السفير البريطانى، إذ بيَّن له أن السودان أكثر حيوية بالنسبة لمصر عن إسكتلندا بالنسبة لإنجلترا.

ويرتدى فاروق ثوب الوطنية، ويحضر جلسة مجلس النواب فى ٢٧ يناير ١٩٤٧ والتى أعلن فيها النقراشى الالتجاء إلى مجلس الأمن، ويُقبِّل العلم المصرى، ويرفعه على المناطق التى انسحبت منها القوات البريطانية، ويوفد مندوبه ليضع أكاليل الأزهار على قبرى مصطفى كامل وسعد زغلول والنصب التذكارى لشهداء الجامعة، ويرفض تقديم جائزة لمتفوِّق بريطانى فى إحدى مسابقات نادى الطيران، ويمنحها لمصرى برغم حصوله على المركز الثانى. وبطبيعة الحال تأسف لندن على تلك الحركات التى يقوم بها ملك مصر.

* * *

ومضى التصلب الملكى. ودافع فاروق عن موقف الصحافة التى تهاجم بريطانيا، وتوافدت التقارير البريطانية على لندن، تلك التى تُسطِّر أن القصر متعاون مع الحكومة فى تصعيد التعصب وأعمال العنف ضد الأجانب.

وعقب إعلان مصر عن الاحتكام إلى مجلس الأمن بموافقة فاروق وتشجيعه، أسرعت الخارجية البريطانية فى تجميع الوثائق الألمانية التى تدين علاقاته بالمحور أثناء الحرب، وذلك لتبرر حادث ٤ فبراير حينما يُذكر. وأشارت إلى أنه يكره الإنجليز من كل قلبه، ومن الصعب أن يتحول لصديق لهم، وأنه متذبذب وغير ثابت، وعديم الثقة بالنفس، ولا يعمل حسابا للمستقبل، ولديه عقدة الشعور بالنقص لعدم اكتمال تعليمه، وهذا يجعله يبدو بمظهر المتعالى. وهو محب لذاته ومخدوع. كما عَدَّته يهدد المصالح البريطانية فى مصر عن طريق تشجيع الأعمال المضادة للإنجليز.

* * *

وبفشل القضية المصرية أمام مجلس الأمن، أيقن فاروق صعوبة الاستمرار فى موقفه المتصلِّب، فأظهر للسفير البريطانى أنه شغوف بالوصول إلى تسوية مع بريطانيا، ولو تطلب أن تكون البداية سرية بينه وبين المسئولين البريطانيين، إذ أراد أن يسترجع مكانته لديهم. ولكن لندن ترفض، معقِّبة بأن اتباع الطريق السليم هو إجراء المفاوضات مع

الحكومة وليس مع الملك شخصيا. وكان فى ذلك الوقت قد سيطر عليه الهلع من الخطر السوڤيتى، لدرجة أنه بعد أن كان يطالب باتفاقية عسكرية بريطانية مصرية، تتبعها أخرى مع الدول العربية، رأى توسيعها لتشمل دول الشرق الأوسط، وبالإضافة لتركيا، تنضم اليونان للاتفاقية، وذلك لتكون دفاعًا ضد أى تدخل شيوعى.

وتحدَّث فاروق عن موقف مصر فى حالة نشوب حرب بين الاتحاد السوڤيتى والدول الغربية، والتى تنبأ بقرب وقوعها، وأنه على مصر أن تكون فى الجانب البريطانى، وعليه فإن الأمر يصبح فى حاجة إلى مفاوضات. وفى لقاء له مع السفير البريطانى فى ٢٨ أكتوبر ١٩٤٨ طالب لمصر بأسلحة للدفاع عن نفسها وصد الهجوم السوڤيتى المتوقع عليها. واستعرض نشاط موسكو فى فلسطين، ووجود ضباط وخبراء روس لدى اليهود، كذلك المعدات الحربية التى توردها لإسرائيل، وقال «إننا لن نحارب بالبطاطس». وعلى جانب آخر، فقد توقع إمكانية إتمام الوفاق بين بريطانيا والوفد على حسابه. وتثبّت هذا الشعور كلية عقب هزيمة حرب فلسطين، وتصاعد الموقف الداخلى.

* * *

ولم يكن فاروق موفقا فى اتخاذ خطوات التقارب من الإنجليز فى أثناء هذه الفترة، وقد فاضت مجاملاته لهم، وجاءت زيارته للسفارة البريطانية للاستفسار عن صحة الملك البريطانى، والإعراب عن تمنياته له بالشفاء، والتهنئة بميلاد دوق أدنبرة ابن ولية العهد، ومنحها نيشان الكمال، وذلك فى وقت غير مناسب على الإطلاق، لتزيد من الحنق والنقمة عليه، حيث تفاقمت المظاهرات لأسباب متعددة، كان هو فى مقدمتها. والواقع أنه فى تلك الأثناء، طغى عليه إحساس اهتزاز العرش من تحته، وأن بريطانيا قادرة على تثبيته، ومن ثم ضغط على حكومته لوقف المظاهرات وضبط الأمن من أجل الطرفين: هو وهى.

وتكهّنت بريطانيا بقرب زوال عرشه، لتدهور مكانته، وفقدان شعبيته بسلوكه سواء فى حياته الخاصة أم العامة، ورأت أنه حتى الأمل الذى كان يراوده من وراء حرب فلسطين ذهب هباءً، وأصبح لا يوجد أحد فى مصر يقول كلمة طيبة فى حقه، بالإضافة إلى فضائحه فى الكازينوهات والأماكن العامة والمجالس الخاصة، وكيف أنه راح يردد «أنا وبعدى الطوفان». وقد آن الأوان لإيجاد نوع من الاتفاق بين القصر والوفد لحاجة كل منهما للآخر، ولأن وجود الملكية كمؤسسة أمر ضرورى لبريطانيا.

* * *

وأعدت الخارجية البريطانية عُدَّتها فى حالة إقصاء فاروق عن عرشه من ناحية، والمحافظة على استمرار تطويعه من ناحية أخرى. بالنسبة للجانب الأول، فقد تناول مسألة ترتيب وراثة العرش، وتدرَّجت وفقا للأولوية: الأمراء محمد على، محمد عبدالمنعم، عز الدين حسن، ثم الخديو السابق عباس حلمى الثانى. أما عن الجانب الآخر، فيتمثل فى الإكثار من زيارات المسئولين البريطانيين لقصر عابدين، وأن تكون أحاديثهم مع الملك عن الشيوعية ومساوئها، كذلك منحه رتبة عسكرية فى أحد الأسلحة البريطانية، وإرسال بعض الهدايا إليه، وزيارته بريطانيا.

* * *

وفى ١٢ أكتوبر ١٩٤٩، بعث فاروق برسالة سرية إلى سفيره فى لندن لتسليمها للرئاسة العليا للجيش البريطانى، دلَّت على مدى الخوف الذى يسيطر عليه. فهو يعود ويكرر من خلال سطورها أنه إذا بدأ الاتحاد السوفيتى بالشر، فستكون مصر فى الركاب البريطانى، وعبَّر عن سعادته إزاء بقاء القوات البريطانية مكانها، وأنه لا يمكن فى هذه الآونة أن يصرح بأعلى صوته بتفضيله استمرار الاحتلال. ومرة أخرى، يعلن عن رغبته فى اتفاق سرى بينه شخصيا وبين الجهات العليا فى لندن. وبالطبع رفض المسئولون البريطانيون ما احتوته تلك الرسالة، ويعلق السفير البريطانى بأن الملك محب لذاته، وينشد العمل فى الظلام. وبذلك يتبين كيف أصبح فاروقا آخر فيما يختص بوطنيته.

ومما تجدر الإشارة إليه أن عبد الفتاح عمرو قد حمل رسالة ملكية أخرى لوزير الخارجية البريطانى، ولكنها شفوية، يُفهم منها أن مليكه بالإضافة إلى هلعه من التهديد الشيوعى، فهو متطلع للبحث عن تأكيد المساندة البريطانية له، إذا ساءت الأحوال فيما يتعلق به شخصيا. ولكن الإجابة حملت أن مسألة التدخل فى حالة قيام ثورة أو انقلاب، تمنعه حساسية معينة من جانب بريطانيا. وهذا ما أثبتته الأحداث فيما بعد.

* * *

وتفانى فاروق فى إبداء دلائل خضوعه لبريطانيا، وبخاصة بعد أن تمكنت منه مشاعر إمكانية عودة الوفد، لدرجة أنه فى مقابلة ملكية تمت فى ١٩ نوفمبر ١٩٤٩، حضرها السفير البريطانى وبعض المسئولين العسكريين البريطانيين، وعندما دار الحوار، وتناول المناورات الحربية الجوية، والتدريبات للقوات المصرية مع القوات البريطانية، بيَّن أن

الأخيرة تتوافر لها سبل الراحة، وقال متبسمًا: «إنى واثق من أنها تحب مصر، وترغب فى البقاء فيها». ويخرج للصيد مع السفير والقادة البريطانيين، وكان منهم الچنرال إرسكين Erskine القائد العام للقوات البريطانية فى مصر - صاحب مجزرة الإسماعيلية التى وقعت فى ٢٥ يناير ١٩٥٢ - وتنشر الصحافة صور الرحلة، مما ألهب غضب الشعب على فاروق.

* * *

وازداد الملك قلقا بفوز الوفد فى الانتخابات عام ١٩٥٠، وفى الوقت ذاته رأى أنه قد صنع جميلا لبريطانيا التى كانت ترغب فى ذلك، ومن ثم لابد لها أن تقف بجواره إذا دخل فى صراع مع حكومته الوفدية، وعمل على ترضيتها، ومضى يبحث فى مسألة تجديد دعوة زيارته لبريطانيا، ولكن ظروفها لم تكن تسمح حينئذ، لذا أجلت الزيارة لوقت آخر. وبالتالى أحييت فكرة منحه رتبة عسكرية بريطانية، وتم ذلك بالفعل فى ١٢ مارس ١٩٥٠، عندما وصل دوق جلوسستر وزوجته إلى القاهرة، وتوجها إلى قصر القبة، واستقبلهما الملك، وقدم له الدوق براءة الرتبة الشرفية، وبها أصبح چنرالا فخريا فى الجيش البريطانى، ورد عليه فاروق بإهدائه صورته موقعا عليها، كما منح زوجته نيشان الكمال.

وشعر فاروق بالامتنان، وأحس أن الرتبة هى رد اعتبار له عن إهانة حادث ٤ فبراير، وأقام احتفالا بهذه المناسبة فى أنشاص، ودعا إليه كبار الضباط البريطانيين فى منطقة القناة، وكبار ضباط الجيش المصرى، وذلك دون علم الحكومة، وارتدى الزى الرسمى، حاملا شارة الرتبة، حتى تؤدى له التحية العسكرية. حدث هذا بينما كان المصريون منصهرين فى بوتقة الكفاح الوطنى ضد الإنجليز، مما دل على أن فاروقا تجرد تماما من أى مشاعر وطنية.

واستمرت سياسة الاحتواء البريطانى للملك، وترجمها السفير الجديد ستيڤنسون، الذى يبعث لحكومته ليؤكد على أن فاروقا مازال يردد إقراره بضرورة الوجود العسكرى البريطانى، والتفاهم مع الحلفاء الغربيين، لتحققه من أن مركزه واستقراره يعتمدان على ذلك، وأنه غير راض على تصلب وزير الخارجية محمد صلاح الدين لتشدده فى المحادثات بلندن.

* * *

وسرعان ما تعكر صفو فاروق، بسبب ما تناقلته الصحف الغربية، وبخاصة البريطانية عن مسلكه الشخصى، وهجومها عليه بصورة استفزازية، وتعرية تصرفاته بعد أن انقلب

على الوجه الآخر، وعدَّدت خطاياه، وتعرضت لفضائح أمه فى أمريكا، ثم عرَّجت على تدنى المستوى الاجتماعى فى مصر، وكيف أنه يمتلك الأراضى الواسعة، ويمدها بالمياه الوفيرة، ويسوّق منتجاتها، والانعكاسات السيئة لذلك على الفلاحين وخصوصا المعدمين. وزاد الطين بلة أن تلك الصحافة تابعت رحلته لصيف ١٩٥٠، وزخرت مقالاتها بالنقد الذى وصل إلى التجريح، وعندما احتج السفير المصرى فى لندن، ردت الخارجية عليه لتؤكد على حرية الصحافة، وتذكر أن تصرفات الملك السيئة تقضى على حسناته، ورأت أن ما يكتب هو ورقة رابحة ترصد أخطاءه ويمكن استخدامها ضده فى الوقت المناسب. ويسافر أحمد عبود إلى لندن، ليتصل بالمحررين، ليتوقفوا عن نشر ما يسىء إلى الملك، وأنفق الكثير من أجل ذلك، ولكنه لم يجد أى فائدة، فصرح برأيه لبعض من أصدقائه البريطانيين - بصفة سرية - بأن الملك يستحق هذا البلاء نظرًا لسلوكه المتدنى.

* * *

وكحركة رد فعل، استخدم هو الآخر ورقته الخاصة بالنشر فى الصحافة الموالية للقصر، بما يؤكد حرصه على تحقيق الأمانى الوطنية، وأنه سينجح فيما فشل فيه الوفد. وبذلك أبلغ بريطانيا رسالته، وبأنه أيضا يمكنه توجيه الأقلام ضدها، ولم يضع أمام عينيه اختلاف الوضع فى البلدين.

وكانت الخطوة التالية هى افتتاح الدورة البرلمانية فى نوفمبر ١٩٥٠، وإشارته إلى أن معاهدة ١٩٣٦ انتهت مدة صلاحيتها، وأنه لا مناص من إلغائها. وتكرر ذلك فى خطبة العرش، كما آثر عودة محمد صلاح الدين من لندن. وبحلول شهر يونية ١٩٥١، يسافر فاروق فى رحلة شهر العسل، ليتأزم مرة أخرى من الصحافة البريطانية التى أعادت كرتها للنيل منه، والاستهزاء به من خلال الفن الكاريكاتيرى. وغضب وثار، وتوالت شكاواه، وبالطبع لم تكن النتيجة أكثر من صفر.

* * *

وبعودة فاروق إلى مصر، وتحرُّج الموقف بين بريطانيا والحكومة الوفدية، وتصميم الأخيرة على رفض مقترحات الدول الأربع - بريطانيا، الولايات المتحدة، فرنسا، تركيا - الخاصة بتأسيس قيادة مشتركة من الحلفاء فى الشرق الأوسط للدفاع عنه، تمهيدًا لإلحاقها بحلف شمال الأطلنطى، رأت لندن الضغط على الملك لتغيير حكومته، وأنه لابد من

منحه بعض الامتيازات فى المقابل. ولكن النحاس وضع فاروقا أمام الأمر الواقع، مما أوجب توقيعه على إلغاء المعاهدة واتفاقيتى الحكم الثنائى. وجاءت المباغتة التى ارتاح لها، لتنتقم له من الصحافة البريطانية كما صرح بذلك. ومع هذا، فقد اتفق مع الجانب البريطانى على إقصاء الوفد فى أى فرصة ممكنة أخرى، حتى لا يظهر أمام الشعب بإقالته وقتئذ أنه الضحية من أجل الأمانى الوطنية.

* * *

وفى ذلك الحين، اشتعلت معركة الفدائيين فى منطقة القناة، واتسعت المظاهرات، وغدا فاروق هو الملجأ الوحيد لبريطانيا، والقادر على كبح جماح حكومته، والدخول فى مفاوضات معها فى ظل بقاء القوات البريطانية فى منطقة القناة دون فترة زمنية محددة. وبرغم التزام الملك بحركات أظهرته بأنه يجارى الحركة الوطنية، فإنه بعد أن انحدرت مكانته، وجد فى بريطانيا الملاذ من الخطر والحماية للتاج. وعندما أيقن أن الولايات المتحدة تؤيدها فى سياستها، عمل على المزيد من التقرب منها، خصوصا بعد أن جمعهما آنذاك العدو المشترك وهو الوفد، واتفقا على أن عمل الحكومة يجعل من المستحيل دخولها فى مفاوضات مع الجانب البريطانى، وأنه فى هذه الحالة، يكون التعامل من خلال الملك. وذلك الأمر هو الذى كانت ترفضه لندن قبل ذلك.

واشتد المد الوطنى مع بداية ديسمبر ١٩٥١، ووقع العدوان البريطانى على كفر عبده، وهددت الحكومة بقطع العلاقات مع بريطانيا، وسحبت السفير المصرى لديها. وحتى يبرهن فاروق على حسن نيته تجاه البريطانيين، عيَّن حافظ عفيفى، صاحب الهوية الإنجليزية رئيسا للديوان فى ٢٤ ديسمبر، وفى اليوم التالى كان منصب جديد قد جُهِّز، وشغله عبد الفتاح عمرو - ومعروف انتماؤه - وبه أصبح مستشاراً للملك فى الشئون الخارجية مع احتفاظه بوظيفته الأصلية، أيضا عيَّن إلياس أندراوس ذا الصلة الوثيقة بقصر الدوبارة، مستشارا اقتصاديا له، وقد مثَّل هذا الإجراء، قمة التحدى السافر للمصريين الذين فار غضبهم. ولما كان فاروق يعلم مدى تأثير ذلك عليهم، وأن العداء ضده بلغ مداه، امتنع عن استقبال السفير البريطانى آنذاك حتى يبعد القيل والقال كما توهم.

* * *

وانزعج فاروق حينما أعلم السفير البريطانى رئيس الديوان بما تردد عن أن الحكومة

تبحث مسألة قطع العلاقات الدبلوماسية مع بريطانيا عقب أحداث الإسماعيلية التى وقعت فى ٢٥ يناير ١٩٥٢، وأن لندن ستعد ذلك «حالة حرب» وما يترتب عليها من توسيع العمليات التى تقوم بها القوات البريطانية. وعلى الفور أبلغ القصر مجلس الوزراء بأن الملك لن يصدق على أى خطوة فى هذا الصدد. وكان قد سبق وفشلت جميع التوجيهات التى لفتت بها بريطانيا نظر فاروق بما تقدم عليه الحكومة ضدها، حيث خشى من النتائج التى تترتب على الإقالة، وآثر الانتظار لوقوع حادث جسيم، يكون له الدافع القوى، لينال مع حليفته المرغوب فيه. وجاء حريق القاهرة فى ٢٦ يناير ليحقق المطلوب.

وبعد الإقالة الملكية الأخيرة للوزارة الوفدية، كان من المفروض أن يستمر تقارب فاروق من الإنجليز، لكنهم ألقوا عليه اللوم لتلكُّئه فى إنقاذ الموقف يوم الحريق، وما ترتب على ذلك من خسائر لحقت بهم. وهو الآخر رأى أن العمل الوحشى الذى قامت به قواتهم فى الإسماعيلية، قد عرَّض عرشه للخطر. وتمنع عن استقبال السفير البريطانى حتى ٣٠ يناير، وفى أثناء مقابلة هذا اليوم، بين له أن الشيوعيين وراء ما حدث مستخدمين الشباب الاشتراكى (مصر الفتاة)، لتحقيق هدفهم، ووافقه على تحديد مسئولية فؤاد سراج الدين وعبد الفتاح حسن عن أحداث الحريق، وكان فخوراً بجيشه وولائه له نظراً لدوره فى هذا الصدد، ووعد السفير بأنه سوف تتخذ الإجراءات ضد الصحافة المتطرفة كما أسماها.

* * *

والواقع أن الملك قد سيطرت عليه كلية حتمية الارتباط ببريطانيا، إذ عَدَّها المظلَّة التى تحمى عرشه، فقواتها المرابطة فى منطقة القناة والقريبة من القاهرة، هى القادرة على التدخل لإنقاذه إذ حدث له مكروه. ومن أجل ذلك، فإنه عندما كان يشعر بالخطر الجاثم على صدره، يتراجع تماما عن سياسة التعنت التى كان يستخدمها مع البريطانيين. وعليه فقد استغلت لندن نقطة الضعف هذه فى أوقات كثيرة.

واحتلت المجاملات مساحة فى العلاقة بين الجانبين، وأرجئت المحادثات الخاصة بالمفاوضات بعض الوقت للاتجاه المتشدد لرئيس الوزراء على ماهر، وتم الاتفاق بين قصرى عابدين والدوبارة على اختيار شخصية أحمد نجيب الهلالى ليشكل الوزارة، لاتجاهاته المضادة للوفد، لكن موقفه جاء متشدداً أيضًا من المباحثات. وفى أثناء تلك الأحداث، شعر فاروق بأن النحاس قد استعاد البعض من شعبيته، ولم يكن ليسمح بذلك على الإطلاق بعد أن اندثرت محبة الناس له، فتوصل إلى العودة لطريقته

المستهلكة، والتى تعتمد على المضى فى اتباع السياسة المضادة لبريطانيا، معتقداً أن هذا المسلك، سيجعله منافساً لزعيم الوفد ـ الذى عدته بريطانيا عدوا بعد أن أشعل الحركة الوطنية ضدها ـ وبالتالى ربما يلتقط شيئا من الشعبية.

ومن هذا المنطلق، أقدم فاروق على عدة خطوات تثير بريطانيا، فأشار فى خطبة رمضان (مايو ١٩٥٢) إلى حقوق مصر ومطالبها، وينشر مصطفى أمين أن جلالته تبرع بثلاثة آلاف جنيه لكتائب التحرير، وينقل قوله بأنه لو كان لديه ولد فى سن تمكّنه من الحرب، لأرسله إلى منطقة القناة ليكافح معها، وأن جلالتها قدمت ثمانمائة جنيه للشهداء، وراحت صحيفة أخرى تشيد بأيادى فاروق البيضاء على العمل الفدائى. ورأت السفارة البريطانية أن ذلك عمل مضاد، ورد القصر بأنه قد حان الوقت الذى يجب أن يذكر فيه الشعب أن فاروقا هو الوطنى الأول فى البلاد، وبذلك وضح المفهوم. وما لبث الملك أن صرح بأن مصر لن تقبل من بريطانيا أى حل لقضيتها، إلا إذا كان كالوردة التى جُرِّدت من الأشواك، وخاصة فيما يتعلق بوحدة وادى النيل، ولقب ملك مصر والسودان.

* * *

وواصل فاروق معاكسته لبريطانيا، وخرج عن طاعتها، وأسقط وزارة الهلالى، ورغم اعتراضها على حسين سرى، فقد شكّل الوزارة، حيث رأته قنطرة لوصول الوفد إلى الحكم، وهى الغاضبة عليه. وتقوم الخارجية البريطانية بتحضير ملف كامل بجميع المخالفات السياسية والمالية والإدارة التى من الممكن أن تدين الملك، وكانت سببا فى تقديم الهلالى استقالته، لاستخدام مادته وقت الحاجة. وبطبيعة الحال لم تكن لندن راضية عن حاشية فاروق، وأطلقت عليها لفظ «عصابة»، وخصوصا ثنائى كريم ثابت ـ أندراوس، لقوة شخصيتيهما، وأسرهما الملك، وتسليمه بذلك من أجل مصالحه الشخصية والتى ارتكزت فى المقام الأول على المزيد من الثروة. وبعد أن كان فاروق متزمّتا فى الإبقاء على الأحكام العرفية وما يدخل تحتها، راح يشجع رئيس الوزراء ليعطى الوعود فى برنامجه على إلغائها، ولم يعر أى اهتمام بالاحتجاجات البريطانية، ولم يكن جنوحه عنها ينبع من وطنيته، تلك التى تبخرت عندما تحول إلى الآخر. وسرعان ما تتابعت الأمور سريعا، وانبثق فجر يوم ٢٣ يولية.

* * *

وهكذا يتضح أن فاروقا تأرجح فى علاقته مع بريطانيا ما بين التقارب والتباعد، وأن هناك عوامل داخلية دفعته لذلك، ولكنها لم تكن بمفردها، وإنما هناك أيضا عامل خارجى مهم، وكان له طاقة نور اهتدى بها، وعلق عليه آماله وأمانيه، ورأى إمكانية توظيفه، علَّه يعيد إليه ما فقده، وقد تمثَّل فى الولايات المتحدة الأمريكية.

بعد الإقالة الملكية الثانية للوزارة الوفدية فى ٨ أكتوبر ١٩٤٤، ومع قرب نهاية الحرب، أصبحت الرؤية واضحة لفاروق فيما يختص بعلاقاته بالغرب. وقد سبق أن تمكن من أن يحوز على اهتمام السياسة الأمريكية، التى رأت أن تستخدمه وفقا لتخطيطها، وأدرك ذلك فى البداية، وأيقن أن المستقبل صار لواشنطن، وأن أى استفادة يستطيع الحصول عليها منها، ستكون له عونا ضد بريطانيا، ومن ثم فقد واصل مسيرته بشأن التقرب منها.

والواقع أنه قد حدث نوع من شبه التراجع بالنسبة لعلاقة فاروق بالأمريكيين، تعلَّق بالقضية الفلسطينية وإسرائيل. ولما كان الموقف الأمريكى متعاطفا مع اليهود، غدا من الصعب عليه أن يؤيدها فى وقت راح يبحث فيه عن تعويض لما فقده وتمتع به إبَّان فترة حكمه الأولى. وقد وضح ذلك فى نهاية عام ١٩٤٤ حينما انتقد الميول الأمريكية للصهيونية، وفى العام التالى عندما أوصى الرئيس الأمريكى بالهجرة اليهودية إلى فلسطين، وفى العام الذى يليه حين نشر تقرير لجنة التحقيق الأنجلو أمريكية، واختص أيضا بالهجرة، ثم يأتى الاعتراف الأمريكى بإسرائيل عام ١٩٤٨ ليكدِّر فاروقا وقت أن قرر الحرب ضدها.

* * *

وكان فاروق قد سعد بمقابلة الرئيس الأمريكى، روزفلت Roosevelt عندما حضر إلى مصر فى ٢٠ فبراير ١٩٤٥ والتقاه على ظهر الطراد الأمريكى فى البحيرات المرَّة، وتم هذا اللقاء فى سرية تامة، ودارت المحادثات حول العلاقات الأمريكية المصرية، ونصح روزفلت بإعلان مصر الحرب على المحور، وأسفر الاجتماع عن تقديم طائرة أمريكية ذات محركين هدية لملك مصر، اعترافا بالخدمات التى قدمت للقوات الأمريكية. ويستاء السفير البريطانى من أن واشنطن سبقت لندن فى ذلك، مما يدل على شىء من الصراع على المصالح بين العاصمتين. وقد انشغلت الخارجية البريطانية بإنجراف فاروق تجاه

الأمريكيين، ووجدت فى ذلك تشجيعا له للتمرد عليها، وبالتالى فإنها وقفت أمام رغبته فى رفع درجة التمثيل السياسى المصرى لدى واشنطن إلى درجة سفير، ولكن هذا لم يستمر طويلا، إذ سرعان ما تحقق ذلك عام ١٩٤٦ .

* * *

وعلى جانب آخر، جدَّد الرئيس الأمريكى ترومان الدعوة لزيارة فاروق للولايات المتحدة، إذ سعت واشنطن إلى جذبه إليها، فى وقت ماطلت فيه بريطانيا بشأن زيارته لها. ويرجع السفير البريطانى سبب ارتفاع مؤشر الود الأمريكى للملك إلى عدم الانسجام مع الوفد، ولم يكن ذلك ببعيد، إذ رأى الأمريكيون فى فاروق الأداة الطيعة التى من الممكن أن تترجم سياستهم.

وأراد فاروق تشجيع الوجود الأمريكى الاقتصادى بمصر، وتحرك فى هذا الصدد، مما أقلق السفير البريطانى من هذه القناة التى فتحت بين الطرفين، وأبلغ وزير خارجيته بما يرتاب منه. والواقع أنه مع نهاية الحرب، غدا للولايات المتحدة الثقل فى المنطقة فى وقت بدأت فيه بريطانيا تتراجع، وكان من الطبيعى أن يعى فاروق ذلك، ويعمل على مزيد من الارتباط بواشنطن، ليواصل خطته فى إزاحة التسلط البريطانى من ناحية، والتصدى للتربص السوفيتى من ناحية أخرى.

ويبتهج فاروق لمجرد أن يلمح بعض الملاحظات من الأمريكيين لصالحه، وإن لم تُنفَّذ، مثلما حدث عندما وجد أن الوزير الأمريكى المفوَّض أصبح فى جانبه ضد عدوه كيلرن، حين خرج عن حياده، واقترح على السفير البريطانى إبعاد النحاس عن زعامة الوفد.

* * *

وحاولت لندن استغلال علاقة واشنطن الجيدة بفاروق على أساس الوقوف بجوارها للعمل على نجاح المفاوضات، لما يعود ذلك بالفائدة على العاصمتين، وخاصة فيما يتعلق بمسألة الدفاع المشترك عن الشرق الأوسط، وجرت الاتصالات فى هذا الصدد، واستجابت الولايات المتحدة، وقام وزيرها المفوَّض بدوره، ولكن الأمور تعثرت. أيضًا حاولت إثناء فاروق عن عرض القضية المصرية على مجلس الأمن، ولم توفق، وعندما عُرضت، أيدت المشروع البرازيلى، بمعنى أنها تضامنت مع حليفتها بريطانيا، حيث كانت هناك خطوط عريضة ارتبطتا بها فى إطار سياستهما العامة.

ولم يكن موقف الولايات المتحدة المساند لبريطانيا ليؤثر سلبًا فى فاروق، وأخذت المجاملات طريقها المعتاد بين الجانبين، ونجح الملك فى مشاكسته لبريطانيا التى تكدرت من ذلك الأسلوب، واستاءت وقت أن تحوَّل عنها، وأعلن صراحة لسفيرها أن حكومته ترى الاستعانة بالفنيين العسكريين الأمريكيين لتحديث الجيش المصرى، وإرسال عسكريين مصريين إلى أمريكا للتدريب فيها. وتضرر السفير البريطانى من الرغبة الملكية فى وجود بعثة عسكرية أمريكية فى مصر، وهذا ما طلبه النقراشى فى أثناء وجوده فى الولايات المتحدة، وجاء وفقًا لهوى فاروق. وزاد من حنق لندن تلك البعثة العسكرية المصرية التى سافرت لأمريكا عام ١٩٤٧ بناء على دعوتها.

* * *

وتمشيًا مع خطة الولايات المتحدة فى أن تكون وريثة لبريطانيا فى الشرق الأوسط، وحامية للمصالح الغربية فيه، وتحقيقا لتنفيذ مشروع الدفاع المشترك، اختارت كافرى المنفِّذ الماهر للسياسة الأمريكية، وصاحب التجارب الناجحة فى أمريكا اللاتينية، ليكون سفيرا لها فى مصر، والتى وصل إليها فى ٢٢ سبتمبر ١٩٤٩، ليتولى مهامه مع ملكها وفقا لمنهجها وترجمة لسياستها، وقد تصدر مقدمتها الإصلاح الذى رأت فيه المدخل للوجود بالمنطقة فى المستقبل القريب، وركزت فى البداية على الإصلاح الاجتماعى، وعرضته على فاروق من خلال لقاءاته مع الأمريكيين.

واتباعًا للمنهج، تتولى بعض الصحف الأمريكية مهمة إلقاء الضوء على مصر ومليكها، وكيف أنها تتمتع بمميزات إستراتيجية واقتصادية وثقافية، وتُشيد بفاروق وبأنه الذكى والنشيط والوطنى، وهو القادر على توحيد شعبه، وقيادة ثورة ضد الفساد. وكان ذلك مما أطرب فاروقا، وشجعه على تفضيل واشنطن على لندن. ومن جهة أخرى، فإنه لم يُشكِّل نقد بعض الصحف الأمريكية الذى وجهته لتصرفاته أمرًا خطيرًا على علاقاته مع الأمريكيين.

* * *

ومع تأزم المفاوضات فى أثناء حكومة الوفد الأخيرة، طلبت لندن من واشنطن التدخل لتقديم المساعدة، وبخاصة أنها تؤيدها فى مسألة بقاء القوات البريطانية فى منطقة القناة، لما له من تسهيل لمشروع الدفاع المشترك. هذا بالإضافة إلى ما ترتب على إلغاء المعاهدة من

فقدان بريطانيا لصوابها، وتلك التصرفات التى أقدمت عليها. وعليه فقد وضع فاروق ذلك فى حساباته، فضلا عن رعبه من الاتحاد السوڤيتى، ومن ثم وجد فى واشنطن المخلص، وذلك بأن تضغط على بريطانيا لتهدئة الأوضاع فى منطقة القناة، مقابل موافقته على إدخال مصر فى دفاع الشرق الأوسط فى الوقت الذى يراه مناسبا. ولما كان الموقف الأمريكى معروفا، فقد ناشد كافرى الملك بأن يعوق أى إجراءات ضد القوات البريطانية فى منطقة القناة. كما كتب إيزنهاور Eisenhower - القائد العام لقوات غربى أوربا آنذاك - لفاروق مبينا أن قاعدة قناة السويس لا غنى عنها، ليس للقوات البريطانية فحسب، وإنما أيضا لقوات الحلفاء. ولم تكن واشنطن قدا اعترفت بإلغاء المعاهدة، وربطت بين ما ألحَّ به الملك عليها بشأن لقب ملك مصر والسودان، واشتراك مصر فى مشروع الدفاع المشترك.

* * *

وبرغم أن فاروقا قد سلَّم بما تبديه واشنطن، فإنه لم يكن يقدر على تحقيقه فى هذه الآونة، حيث ساءت الأوضاع سواء العامة المتعلقة بمصر أم الخاصة به، إذ تراءت أمام عينيه الهاوية التى كانت تنتظره. وقد خالجته نفسه أحيانا بأن بريطانيا هى المنقذ فى حالة حدوث مكروه له، ولكن راوده كذلك أنها غير مضمونة بدليل تأرجح العلاقة بينهما، وبالتالى فإنه وجد فى الولايات المتحدة القوة القادرة على إنقاذه إذا ما خذلته بريطانيا، وهذا ما كان يتوقعه.

وتوطَّدت الصداقة بين فاروق والسفير الأمريكى، وأطلعه على مكنونه، ورأى فيه الحماية، مما رفع درجة تأثيره فيه، ومن هنا أصبح الرأى الذى يبديه السفير له المقام فى اعتبار فاروق، الذى ارتبط به، وخاصة وأثناء الأزمات التى تعرض لها، فقد استدعاه يوم حريق القاهرة، واستاء السفير البريطانى من ذلك، فبالإضافة إلى غيرته منه، فإن تسيُّد المكانة الأمريكية لدى الملك، وتراجع مكانة دولته، قد زاد من حنقه على فاروق.

* * *

ولم تكن واشنطن راضية عن ملك مصر، ورسمت خطتها فى خطين، الأول الإصلاح الذى يتطلب تحديث الأوضاع فى ظل الملكية بعد إعادة بلورتها، وفى حالة الفشل يكون الثانى وهو إقصاء النظام القديم برمَّته، ولم تكن تتفق مع خطة لندن التى حبذت الملكية الدستورية، ذلك النظام الذى تعيش فى كنفه.

وفى فبراير ١٩٥٢ حضر كيرمت روزفلت رجل المخابرات الأمريكية إلى مصر، واستقبله فاروق بالترحاب، وكان قد سبق والتقاه وقت الحرب، ولكنه وجد فاروقا آخر، إذ فقد القدرة على تركيز أفكاره، وغدا متأرجحا أى أن ما يوافق عليه يعود لينقضه، وهذا ما التقطه سريعا المبعوث الأمريكى، وبعد دراسة دقيقة، قدم تقريره للمسئولين الأمريكيين، شرح فيه ما وصل إليه الملك من تدهور. وفى نهايته نصح بإقصائه، وتكهّن بدفن النظام الملكى نهائيا.

* * *

ومع الفترة الأخيرة من حكم فاروق، وضح تماما التسلط الأمريكى عليه، إذ أصبح كافرى محركا للأحداث، فى وقت برز فيه عدم التلاقى بين وجهتى النظر البريطانية والأمريكية. فبينما كان الإنجليز حريصين على استبقاء وزارة الهلالى الأولى، فإن السفير الأمريكى ساند الملك فى الإطاحة بها، وأيد تكليف حسين سرى بتشكيل الوزارة، ولم يقم بدور فعال فى إقناع فاروق بالتخلص من ثنائى كريم ثابت ـ أندراوس، كما طلبت لندن ذلك من واشنطن، إذ كان من الصعوبة البالغة أن يتخلى عنهما مهما ضُغِط عليه، ولكنه انصاع لطلب كافرى بالإبقاء على حافظ عفيفى فى منصبه.

واستغل فاروق الاختلاف الأنجلو أمريكى فى هذا الصدد، ولم يذعن لبريطانيا، وكاد لها، وكانت قد فقدت الأمل فى إمكان تقديم واشنطن مساعدتها بشأن استخدام الحزم مع الملك حتى يعود إلى رحابها. ولم يكن ذلك مساندة له فى موقفه منها، وإنما تكتيك سياسى أمريكى. وفى حقيقة الأمر فإن ما تصوره فاروق من أن الولايات المتحدة هى المنقذة والمخلصة له مما هو فيه وما ينتظره من هوان، كان سرابا وفقا لأوراق واشنطن.

وبذلك تنجلى الظروف الداخلية والخارجية التى دفعت بفاروق لسلوك متأرجح فى علاقته مع بريطانيا إبَّان الفترة التى أصابه فيها التغيير وتحول إلى آخر.

خامسا ـ العنــــاد

عُدَّت الإقالة الملكية الثانية للوزارة الوفدية فى ٨ أكتوبر ١٩٤٤ فترة جديدة فى علاقة فاروق بجيشه، الذى لم ينس الإهانة التى تعرض لها رمز مصر فى حادث ٤ فبراير، وفى الحين ذاته، فإن التقارب الذى حدث بين فاروق والإنجليز، جعل رؤية العسكريين تحيد

عما كانت عليه بشأن قائدهم الأعلى، وخاصة مع الظروف الجديدة التى أحاط نفسه بها، وأسهمت فى التغيير الكلى الذى تخلله، ولكنه لم ينتبه لذلك، بل دعم عقيدته التى تؤمن بأنه مهما تغيرت الأحوال، ووجدت المصاعب، فإنه معه جيشه المطيع الذى غدا بالنسبة له السلاح القوى والمستعد لأن يشهره وقت أن يريد فى وجه أعدائه.

وعثر فاروق على غايته، وامتلك مفتاح كبار المسئولين العسكريين، الذين تقربوا إليه، وأغدق نعمه عليهم، فغمروه بالإحساس بأن الجيش ملك يمينه، وأن رجاله بين أصابعه يحركهم كيف يشاء. وتأصلت تلك المشاعر فى أعماقه، عن طريق مواصلة البرنامج المعد، الذى اعتمد على نقل الصور المتعددة التى تنطق بالولاء التام والطاعة العمياء من رجاله العسكريين المخلصين، وذلك من خلال زياراته للأسلحة المختلفة، وحضوره المناورات، واستعراضه للوحدات.

ولما كانت البعثة العسكرية البريطانية تتصل بفاروق مباشرة، فقد استغل ذلك فى مسألة طلب إمداد الجيش بالأسلحة، ليكون أمام الجميع الملك الذى يهتم بقوة جيشه، كذلك فإنه لم يغب عنه لحظة فى أنه جيش آبائه وأجداده.

* * *

وتمكن الغرور من فاروق، وأصبحت تصرفاته مرفوضة من الضباط الشبان، فهو يستهزئ بالرتب العسكرية، وذلك عندما منح سائقه رتبة بكباشى (مقدم)، ومضى يفصل من يتحداه- وفقا لوجهة نظره- فعلى سبيل المثال فى أحد أيام مايو ١٩٤٥، وحينما دخل نادى الصيد، ووجد ضابطين، أمرهما بمغادرة المكان، وصدرت الأوامر بنقل أحدهما إلى أسوان والآخر لسيوه، ولما رفضا، وطلبا المثول أمام محكمة عسكرية، تم فصلهما من الجيش. كما تحكم فى الرتب والألقاب، فاللواء يحصل على الباشوية، والأميرالاى البكوية.

وعندما كان فاروق يتفطن إلى ضرورة تخفيف يده عن الجيش، يلتقى بالضباط فى ذكرى حادث ٤ فبراير بناديهم، ويتسامر مع صغارهم إذا تصادف وكانوا موجودين، ويحدثهم عن دور الشباب المنتظر، ويصدر أمره بإلغاء العقاب البدنى، ولما استفسرت السلطة العسكرية البريطانية عن السبب، عزاه السفير البريطانى إلى رغبة فاروق فى اكتساب القاعدة العريضة فى جيشه، بعد أن بدأت شعبيته المعهودة تتوارى.

* * *

وأخذ التذمر طريقه داخل الجيش، وتكونت عدة تنظيمات سرية. وفى البداية برز الملازم مصطفى كمال صدقى، وهو يسارى ومغامر ومتقلب، وأحيانا كثيرة يكون متطرفًا، وبعد أن ترك الحرس الحديدى، ارتبط به الضباط الشبان وصف الضباط، على أساس أن أصحابها وخاصة الأخيرين يعانون من تسلط الأكبر منهم مركزا. وتولى مهمة الهجوم على فاروق، وأخذ على عاتقه طبع المنشورات عام ١٩٤٧ التى تنقد أوضاع الجيش ورجاله بحدة بالغة، ونال الملك نصيبه منها، وكشف أمره، وعرف أنه كان يدبر مؤامرة ضد فاروق، وذلك بوضع قنبلة فى العربة الملكية التى ستقله إلى البرلمان. وتم تقديمه مع زملائه للمحاكمة فى قضية «الاتفاق الجنائى لضباط الجيش»، ولكن لم تثبت عليهم التهمة، وأفرج عنهم.

* * *

وأصبحت التحركات المضادة لتصرفات فاروق داخل الجيش ملموسة. ورغبة فى القضاء عليها، استبعد أحمد عطية وزير الدفاع الوطنى، وتم تعيين محمد حيدر مكانه فى ١٩ نوفمبر ١٩٤٧، وهو رجل البوليس، ذو الشخصية القاسية، مما أثار الضباط الشبان، فى وقت ازداد فيه استياؤهم، واتخذ تذمرهم مكانه فى لقطات كثيرة، أكدت على أنهم غير راضين عما يحدث. ومع هذا لم تتزعزع ثقة فاروق فى أن جيشه مازال القوة التى يعتمد عليها، ولازمته هذه المشاعر حتى نهاية حكمه، معتبرا ما يدور إنما هو زبد بحر سرعان ما يذهب جفاءً، طالما أن كبار رجال الجيش يد فى قفازه، لدرجة أن شعار الجيش تغير وأضحى «الله. الملك. الوطن» مما أضفى عليه العظمة والكبرياء، بعد أن تقدم اسمه على الوطن. ومضى الكبار يزينون ولاء الجيش له.

وقد دعَّم ذلك موقف الجيش الإيجابى من أحداث البوليس فى أبريل ١٩٤٨، فحين اعتصم ضباطه بناديهم، نزلت قوات من الجيش، وأخذت على عاتقها استتباب الأمن، وبالتالى تأكد فاروق تماما بأن الجيش الشاكى السلاح بجواره، ومضى فى جولاته لثكناته بالقاهرة والإسكندرية، متبعا طريقته المعهودة بتودده للضباط.

* * *

وفى خضم ذلك، صدر أمر فاروق بخوض حرب فلسطين فى ١٥ مايو ١٩٤٨، برغم عدم استعداد الجيش، ولم يتنبأ بأن هذه الحرب التى أراد بها - فى الدرجة الأولى - تحقيق

المكاسب له، ستكون دفعة قوية فيما بعد للضباط الشبان الذين اشتركوا فيها. ولم يعتد بالحكومة والبرلمان، معتمدا على أوتقراطيته من ناحية، والسلطة المخوَّلة له بوصفه قائدا أعلى للقوات المسلحة من ناحية أخرى، وقد رأى محمد حيدر أن تلك الحرب مسألة خاصة لمولاه، وصرح بذلك كثيرا. ومن هذا المنطلق نشط فاروق فيما يختص بالميدان الحربى.

ويصدر الملك تعليماته بإلزام جميع ضباط وأفراد القوات المسلحة بارتداء ملابس هذا الميدان، وهو نفسه يحرص على الزى العسكرى وألا تغيب عصا المرشالية عن يده، ويأمر بأن توقف جميع الحفلات، ويدعو للتقشف لتوفير احتياجات الجيش، وتصله المعلومات الحربية على التوالى، ويذهب إلى مقر رئاسة الجيش، ويجتمع بوزير الدفاع وقواد الجيش، ويتحدث فى الشئون الحربية، ويطَّلع على الخرائط العسكرية، مبديا على وجهه أنه يعرف فى هذا الفن، ويقوم بزيارة جرحى الحرب. وكما بعث بكتيبة من الحرس الملكى للميدان، فإنه يرسل أيضا هدايا وبطًّا مما يصطاده إلى المحاربين، وينتقل إلى الخطوط الأمامية فى غزة، مصطحبا معه طاقمه، حيث يستقبله قادة الحملة، ويستقل سيارة مكشوفة إلى ميدان القتال، ويصل إلى أسدود، ويتفقد الخطوط الأمامية، ويدير الحوارات مع الضباط ويشجعهم ويحمسهم. ويرجع السفير البريطانى ذلك جميعه إلى أنه مجرد دعاية لصالح القصر.

* * *

ووقعت الهزيمة، وحوصرت القوات فى الفالوجا، وأصبح جهل وزير الدفاع شاهدا للعيان، لدرجة أنه أرسل إلى جلوب باشا فى عمان، يطلب منه خطة لانسحاب القوات المحاصرة، تلك التى رفضها القائد المصرى. وبرغم هذا المستوى الذى كان عليه المسئولون، فإنهم استمروا فى مراكزهم بعد بعض الإجراءات الشكلية المرسومة.

وأمام ما وقع، راح فاروق يبحث عن مخرج، علَّه يخفف من المرارة داخل جيشه، فهو يسمح للضباط الذين هم أقل من رتبة بكباشى (مقدم) بالتوجه للقصر، وقيد أسمائهم فى سجل التشريفات، ويستعرض قوات الفالوجا عقب عودتها فى ١٠ مارس ١٩٤٩ - كان عبد الناصر من بينها - ويشيد بشجاعتها، وقد جسم الاحتفالات لإعطاء الانطباع بأن ما حدث ليس بالهزيمة النكراء. ولكنه فى الداخل لم يكن بغافل عن انعكاساتها عليه، ففى حديث له مع لورد دوجلاس، أخبره أنه اكتشفت مؤامرة للقيام بانقلاب ضده فى الفترة بين ١٨ - ٣١ يناير ١٩٤٩، هدفها الاغتيالات، وأنه على رأس القائمة. ودلت

التحريات البريطانية على أن القائمين بهذا العمل ضباط جيش ساخطون على ما حدث فى فلسطين. وعليه اتسعت عملية الاعتقالات، فألقى القبض على عزيز المصرى، وضابطين آخرين، وجدت معهما منشورات ومفرقعات. ويبعث القائم بالأعمال البريطانى لحكومته ويُسجِّل لها أنه لا يستبعد اغتيال الملك، وتشكيل حكومة عسكرية، ويُبيِّن أنه أصبح صعبًا وقف الحركة المضادة له فى الجيش والتى اتسعت أخيرا.

* * *

ومن المسلم به أن هزيمة فلسطين، مثَّلت الصخرة التى تحطم عليها الكيان الملكى فى نظر الجيش، فحينما عاد الضباط من الحرب مهزومين ومقهورين، تحولوا إلى خلايا نشطة ذات طابع منتظم، بعد إيمانهم الكامل بأن فاروقا وراء ما لحق بمصر، سواء بالقيادات الفاشلة التى تجهل أساليب الحرب، أم بقلة التموين والإمدادات، أم بالأسلحة والذخيرة الرديئة المستخدمة. ولم تمض إلا شهور قليلة على عودة قوات الفالوجا، إلا وتكونت الهيئة التأسيسية للضباط الأحرار فى سبتمبر ١٩٤٩ برئاسة عبد الناصر، وتمكنوا بذكاء من التخطيط والعمل بمختلف الطرق من أجل التنفيذ الذى استغرق أقل من ثلاث سنوات.

ولم يحاول فاروق أن يغير من سياسته، فرفض أن يعين فؤاد صادق قائد حملة فلسطين رئيسا للأركان لما يتمتع به من شهرة وسمعة طيبة، إذ خشى من التفاف الضباط حوله، وبخاصة أنه فى ذلك الوقت، حدث الانقلاب العسكرى فى سوريا بقيادة حسنى الزعيم. ووقع اختياره على عثمان المهدى ليتحكم فى المنصب. أيضا مع وزارة النحاس الأخيرة، أصبح محمد حيدر قائدا عاما للقوات المسلحة، ومن ثم استمرت السيطرة الملكية على الجيش، ووضحت كلية فى مسألة الترقيات والتعيينات والتنقلات.

* * *

ومع المساحة الكبيرة التى أعطتها الحكومة الوفدية للحركة الوطنية، مضت الصحافة تحذر من الاستهانة بما يحدث داخل الجيش، وتنادى بإصلاحه، وتشيد بوطنية محمد نجيب فى حرب فلسطين، وجرحه ثلاث مرات، وكيف أنه لم يرق، وإنما اكتفى بمنحه نجمة فؤاد العسكرية. وسرعان ما أثيرت قضية الأسلحة الفاسدة على الصفحات. ويتناولها مصطفى كمال صدقى، ويهاجم محمد حيدر، ويستعرض حالة السوء التى وصل إليها الجيش، ويقبض عليه، ويقدم للمحاكمة فى ٧ أكتوبر ١٩٥٠، ولكن يوقف

التحقيق، ويمنح إجازة مرضية، وذلك خشية من استمرار الحقيق وانفجار مالم يكن فى الحسبان من ناحية، وتدخل ناهد رشاد لصالحه من ناحية أخرى. ولم يأت ذلك بالنتيجة المرجوة، إذ ساد اللغط فى تلك القضية.

* * *

وقد تنازع فى قضية الأسلحة الفاسدة، رأيان: الأول أنها أكذوبة، وذلك بالاعتماد على أن المحاكمات التى جرت بعد قيام ثورة ٢٣ يولية لم تثبت التهم على أحد. أما الآخر، فقد أقرها. والواقع أن الظروف والملابسات تثبت أن فاروقا قد قام بدور فى مسألة هذه الأسلحة، فلجنة متطلبات الجيش أسندت رئاستها للواء إبراهيم المسيرى، صهر عمر فتحى كبير الياوران وخالفت قواعد مشترى الأسلحة، وتعاملت مع الكثير من الوكلاء، ومن بينهم عبد اللطيف أبو رجيلة - تاجر سودانى المنشأ إيطالى الجنسية - ومعاملاته مع إيطاليا، وجهلان - مندوب مشتريات الملك - وكيل الشركة البلچيكية، والنبيل عباس حليم - ابن عم الملك - وكيل شركة أورليكون السويسرية. وتبين أن عقد الشراء للصفقة من ورقة واحدة لا تفاصيل فيها ولا بيانات أو اشتراطات أو جزاءات. وفى ذلك الوقت كان لفاروق حساب ضخم فى إيطاليا، وعندما أراد التحويل إلى سويسرا، وحدثت صعوبات، تهيأت الفرصة لشراء الأسلحة من إيطاليا، وبالتالى تم التحويل المالى الملكى.

* * *

وحينما فتح جهلان الخزانة الموجودة بإحدى غرف القصر أمام النيابة، عثر على شيكات، عرف من أرقامها عن طريق البنك - بعد صدور الأمر القضائى - وذهاب قوة من البوليس وخبيرين من وزارة العدل لفحص الدفاتر - بأن الملك له يد فى أموال حملة فلسطين، وأنه استولى على سمسرة توريد من شركة الأسلحة البلچيكية، كما عثر على حساب باسم جهلان - ومعروف أنه لصالح فاروق كما اعتاد على ذلك - بالبنك البلچيكى، تبين أنه فتح فى ١٥ سبتمبر ١٩٤٨، وهو اليوم الذى تم فيه شراء مدافع للحرب من الشركة البلچيكية. ومما هو جدير بالذكر أن الصفقات المالية لفاروق لم تكن صراحة باسمه، وإنما بأسماء المقربين إليه من الحاشية.

وكانت الأسلحة التى حصلت عليها مصر من مخلفات الحرب، وبالطبع لم تكن فى حالة جيدة، وحتى يُخْفَى الدليل، وعن طريق القصر، اشتعل الحريق فى مخازن الذخيرة

بالقلعة، وهو المكان الذى وضعت فيه بقايا أسلحة حرب فلسطين، كى تمحى آثار الجريمة، وبالتالى لا يحتاج الأمر إلى تحقيق نيابة أو تقرير خبراء.

* * *

وسرت مسألة العمولات بين الناس، وأصبحت على كل لسان، وبطبيعة الحال نالت فاروقا. وينقل السفير البريطانى الأخبار لحكومته والأقوال المنتشرة، وأنه أصبح من الصعب القضاء على ما يروى عن جماعة المستهترين والفاسدين من المستشارين المحيطين بالملك، ويسجِّل توقعه إزاء مسألة هذه الأسلحة، بأنها تدفع الضباط الشبان الغاضبين على المزيد من الكراهية للملك، وأنه لن يخفف من غلوائهم إلاّ إذا قُدِّم عدد كاف من المتهمين إلى المحاكمة، ووقعت عليهم العقوبات.

ووافق الملك على تنفيذ بعض الإجراءات التى يتطلبها التحقيق، وطلب النائب العام تنحية محمد حيدر وعثمان المهدى عن منصبيهما حتى لا يتأثر التحقيق، وذلك كمحاولة لكبح جماح الغضب بين الضباط الشبان. وطالب إحسان عبد القدوس بعدم الاكتفاء باستقالة محمد حيدر، وضرورة التحقيق معه، وفى الوقت ذاته، تمت إحالة عدد من كبار الضباط إلى الاستيداع، ومن بينهم فؤاد صادق. ويُرْجع قائد القوات البريطانية السبب إلى شخصيته القوية واحترام الضباط له من ناحية، وخوف فاروق من تزعمه لانقلاب يشاركه فيه الضباط الناقمون العائدون من حرب فلسطين من ناحية أخرى. وسرعان ما أعاد الملك محمد حيدر إلى منصبه، إذ كان يرى فيه تدعيما لسلطته على الجيش الذى اعترته القلاقل، وأيضا لإبعاد أى تأثير للوزارة الوفدية عليه. واستتبع ذلك عودة عثمان المهدى لمنصبه برغم الأخطاء التى ارتكبها فى الحرب. وعندما أصبح التحقيق قريبا من الملك، والذات الملكية مصونة ولا تمس، كان لابد من إقفاله. ومما يُسجَّل فى هذا الصدد أن فاروقا اعترف ـ فيما بعد ـ بأن معدات الجيش لم تكن صالحة للاستعمال فى تلك الحرب.

* * *

وأصبحت مواجهة الضباط سافرة مع فاروق من خلال المنشورات التى صارت أداة حرب معلنة على التصرفات الملكية، وطعنت الملك فى الصميم، حين رددت أن الجيش جيش الأمة وليس جيش فرد، وأنه فى خدمة الشعب وليس فى خدمة أى إنسان آخر، وأن الضباط جزء لا يتجزأ من الشعب، وأن المصريين يحكمون حكما استبداديا. وشغلت حرب فلسطين وما

جرى على أرضها الحيز الكبير فى المنشورات، ووزعت فى كل مكان، وفاضت بالثورية، وانتقدت الأوضاع بشكل جرىء، مما عبأ الجماهير ضد فاروق وأعوانه.

وبلغ الأمر أن دخلت المنشورات القصر عن طريق ناهد رشاد التى تمكنت من أن تضعها تحت فوطة الملك على المائدة فى غرفة الطعام، وبين ملفات المراسيم التى يوقعها، كما تدخلت لصالح مصطفى كمال صدقى، حينما ألقى القبض عليه، لاشتراكه فى إعداد المنشورات، ويرجع ذلك إلى علاقتها الحميمة به.

* * *

وبرغم هذا الوضع غير الطبيعى، فإن القائد العام لم يتوان لحظة عن تأكيد ولاء الجيش للملك قائده الأعلى، موضحًا أن هؤلاء الضباط المتمردين الذين أطلقوا على أنفسهم «الضباط الأحرار» ليس لهم حول ولا قوة، وأنه لن يقف مكتوف اليدين أمامهم. ومضى البحث باستخدام مختلف الطرق عن هؤلاء الضباط، وانتشرت الأحاديث عن نمو وازدياد شعور العداء ضد فاروق، وأنه أصبح من المتوقع أن يقوم الضباط الثوار بضربتهم والإطاحة به.

وجرت بعض المحاولات السطحية للترضية داخل الجيش، لكنها لم تمس إلا القشور، مثل توسيع حركة الترقيات، والدعوات الملكية للقصر، وكان أهمها دعوة يوم حريق القاهرة، حيث تحدث فاروق مع المدعويين، وأبدى اهتمامه بالجيش، وأشار إلى نفسه بأنه سليل بيت أصله من الجندية، وأن أجداده قدموا الكثير لمصر. وقد حدث أنه فى ذلك اليوم، أدى الجيش دوره الإيجابى، مما أعطى فاروقا المزيد من الثقة به، ووضح هذا فى أثناء أحاديثه مع السفيرين الأمريكى والبريطانى. وفى الوقت نفسه، توالى صدور وتوزيع منشورات الضباط الأحرار تحمل الصرخات، وتهاجم فاروقا بكل عنف وشراسة.

* * *

وتملَّك فاروقا حتمية وأد نشاط الضباط الأحرار المارقين، فى وقت قرروا فيه التحدى وخوض معركة لسبرغور الملك واختبار قوته، ولامتحان قدرتهم ومعرفة مداها، وتمثَّلت هذه المعركة فى انتخابات نادى الضباط فى آخر عام ١٩٥١، وهو الرمز القوى الذى ربط بين القائد الأعلى وجيشه، ولا سيما بعد حادث ٤ فبراير. ولأول مرة يعلن على الملأ أن هناك معارضة لقاعدة الملك المتبعة فى الانتخابات، إذ كان يفرض أسماء بعينها، ولكن هذه المرة أعدَّ الضباط الأحرار عدَّتهم.

وكان مرشح فاروق لرئاسة مجلس الإدارة اللواء حسين سرى عامر مدير سلاح الحدود، ذا السمعة السيئة، وصاحب الاتهامات الخطيرة التى شملت: تهريب المخدرات، وبيع الأراضى بطرق غير مشروعة، وسرقة ونهب البدو، والرشوة، والتزوير، وشراء الأسلحة المتخلفة من الحرب وبيعها للجيش بأسعار مرتفعة - ودخل فى نطاق قضية الأسلحة الفاسدة - وكذلك تهريب بترول ومعدات وأسلحة إلى إسرائيل. وقد ارتبط به فاروق، ليحقق من ورائه المكاسب، وبخاصة مسألة بيع السلاح، وعليه تدخل لصالحه، وأغدق عليه فى الترقيات. وعلى جانب آخر، عقدت الصلة القوية بين حسين سرى عامر ورجال الملك المقربين من الحاشية، بوللى Pully ومحمد حلمى حسين ومحمد حسن، حيث شكلوا ضغطا على الملك لتحقيق مصالح جميع الأطراف.

أما مرشح الضباط الأحرار اللواء محمد نجيب، فقد اختاروه بذكاء لأسباب كثيرة، منها أخلاقه الحميدة، وسمعته الطيبة، وبطولته أثناء حرب فلسطين، ومواقفه غير المستسلمة لفاروق، وتصديه لرغباته فيما سبق، خاصة فيما تعلق بحسين سرى عامر - وكيل سلاح الحدود - مما أسفر عن نقل محمد نجيب من منصب مدير سلاح الحدود إلى مدير سلاح المشاة، ليحل مكانه ربيب الملك.

* * *

ولما علم فاروق الاتجاه السائد، رأى تأجيل الانتخابات التى كان مقررا لها يوم ٢٧ ديسمبر ١٩٥١ إلى أجل غير مسمى، ولكن الضباط لم يمتثلوا. وفى ٣١ ديسمبر اجتمعت الجمعية العمومية للنادى، وقررت أن الجيش جزء من الشعب، ورفض المجتمعون عَدَّ مرشح الملك صالحا لدخول الانتخابات على أساس أن إدارة الحدود لا تعد فرعا من الجيش النظامى. وأجريت الانتخابات، وفاز محمد نجيب بجدارة برئاسة مجلس إدارة نادى الضباط، فضلا عن فوز الضباط الأحرار بخمسة مقاعد فى مجلس الإدارة. وزيادة فى التحدى للسلطة الملكية، توجه أعضاء المجلس ومعهم محمد نجيب إلى قصر عابدين، وسجَّلوا أسماءهم فى سجل التشريفات. وأثار هذا الحدث ضجة كبيرة فى مصر وخارجها، ونجح الضباط الأحرار فى باكورة معاركهم، ولأول مرة يحدث انتصار على الإدارة الملكية يحمل هذا الطابع ويأتى من داخل مصر.

* * *

واستاء فاروق من محمد حيدر الذى أبدى شيئًا من التراخى، وكان الضباط قد انتخبوه رئيسا شرفيًا للنادى، مما ترجم رضاهم عنه من أجل الاستفادة منه. وقد حاول أن يلبى الرغبة الملكية، ولكن الضباط وقفوا له بالمرصاد، وأصروا على رفض حسين سرى عامر تمامًا، مما أوغر صدر الملك على القائد العام، وبينما تمكن يوسف رشاد من تهدئته، أشعل محمد حلمى حسين ومحمد حسن الموقف ضده.

ولمرات أخرى، يحاول الملك إرجاع الضباط عما فعلوه وتنفيذ رغبته، ولكن باءت جميع المحاولات بالفشل، فكان ذلك ضربة قاسية وجهت له، ومع هذا لم يستطع معالجة المسألة بالحكمة، وإنما أصر على رأيه، واستمر عناده. وعلى صعيد آخر استغل الضباط الأحرار شخصية محمد حيدر، ولمسوا النقاط التى يُنْفَذُ منها إليه عن طريق عبد الحكيم عامر الذى يمت له بصلة قرابة، ومن ثم تقرب إليه صلاح سالم، وكان أنور السادات قد سبق أن تقرب من يوسف رشاد، وبذلك أصبح لدى الضباط الأحرار الأخبار عن القصر متتابعة، وغدت حياة فاروق بمختلف مناحيها ومواطن قوته وضعفه، صورة واضحة المعالم أمامهم. وفى الوقت ذاته، فإن التهوين من أمرهم، وبأنهم قلة مسحوقة وموتورة ولا يخشى منها أى خطر، شكَّل الهدف الذى سعى لتوصيله الضباط الأحرار إلى القصر، ولعب فيه أنور السادات الدور المهم. ومن هذا المنطلق، استمر فاروق فى إيمانه، بأنه عند حدوث أى اضطرابات نتيجة صراعه مع الوفد، فلن يتمكن من القضاء عليه، إلا بواسطة جيشه، ولم يخف ذلك، وإنما صرح به للسفير البريطانى أكثر من مرة.

* * *

وتلقى فاروق أنباء محاولة الضباط الأحرار اغتيال حسين سرى عامر فى ٨ يناير، ١٩٥٢ ـ اشترك فيها عبد الناصر وحسن إبراهيم وكمال الدين حسين وحسن التهامى ـ بخوف وفزع، وثار وهدَّد وتوعد بالانتقام. وتم القبض على مصطفى كمال صدقى، وصدر حكم قضائى عليه، ولكنه نال العفو، وأسقط عنه الاتهام، لتدخل ناهد رشاد، صاحبة الكلمة المسموعة لدى فاروق. وبرغم علمه بالعلاقة التى تربطها بهذا الضابط، فإنه لم يكف عن زيارتها. وفى تلك الآونة، وفى أثناء دخوله منزلها، أطلق الرصاص بجوار السور، وحامت الشبهات حول مصطفى كمال صدقى ومعاونه صاحب الاتجاه اليمينى عبد القادر طه، وفى الحين نفسه، تلقى فاروق خطابات تهديد بالاغتيال، مما دفعه إلى اتخاذ المزيد من الاحتياط.

ولم يهدأ مصطفى كمال صدقى فى تحركاته ونشاطه ضد الملك، وسخَّر قلمه فى كتابة المقالات الصحفية الملتهبة، ليعمل على مزيد من تعبئة الرأى العام للثورة. ووفقا لرؤيته، فإن العسكريين عليهم شق طريق هذه الثورة. ووضع الحرس الحديدى خطة لاغتياله ومساعده، ونجح التنفيذ مع عبد القادر طه فى ٢٥ مارس ١٩٥٢، وكان قد رقى من رتبة صول إلى ملازم ثان قبل ذلك بسبعة أشهر، وبرغم منع نشر النعى، فإن عبد الناصر أصدر أمره إلى الضباط الأحرار بنعيه رسميا باسم أسلحتهم، وكذلك وقف أعضاء الجمعية العمومية لنادى الضباط حداداً عليه. أيضا نعاه عبد الناصر شخصيا مع علمه بأن كل ما أقدم عليه فى هذا الصدد غير مصرح به وذلك بعد أن منع المسئولون أى نعى. ويذكر السفير البريطانى لحكومته أن الاغتيال كان لصالح الملك، وقد أثار الضباط الشبان. وكان هذا الحادث حافزا لفاروق لمواصلة الطريق ليسحق باقى الضباط المتمردين والمشاغبين فى نظره.

* * *

وفى تلك الأثناء، كان تحرك الضباط الأحرار على قدم وساق، وذلك بعد نجاحهم فى انتخابات ناديهم، ووقعت عيونهم على محمد نجيب ليكون قائدهم، بعد أن أخفقوا مع عزيز المصرى وفؤاد صادق، وتوهجت مشاعرهم ونشاطاتهم وخاصة بعد حريق القاهرة، إذ أيقنوا أنه ليس من الصعب الهيمنة على القاهرة.

وسيطرت على فاورق الرغبة فى التنكيل بالعناصر المضادة له فى الجيش، وأبى وتكبر، عندما أبدى البعض نصائحه له باتباع أسلوب الإصلاح فى الجيش، وتحقيق ما يطلبه الضباط الأحرار بتعيين محمد نجيب وزيرا للحربية والبحرية، لكنه اعتقد أن ذلك جرح لكبريائه، إذ كيف يعينه وهو الذى تحداه علانية فى انتخابات النادى؟ وكيف يسلم له بالأمر ويمنحه نشوة الانتصار عليه؟ وكيف يعطى الفرصة لأتباعه الذين يعدُّهم مجموعة من الأطفال، لينفِّذوا تخطيطهم ويحصلوا على المزيد من المكاسب لصالحهم؟ وأرجع عجلة التاريخ، وتماثلت أمامه صورة الثورة العرابية، وأن محمد نجيب ماهو إلا مثيل لأحمد عرابى. هذا جميعه من ناحية، وإصراره الأكيد على الإعداد لتولى حسين سرى عامر زمام الجيش من ناحية أخرى، جعله يتمادى ويواصل عناده.

* * *

وقرر فاروق أن يوجه ضربته، وأن يدمر هذا الشعب الذى تسلل إلى جيشه خوفا من

انتشاره، وذلك بحلٍّ مجلس إدارة النادى، ونقل الاثنى عشر ضابطا - ولم يكن قد تم التوصل بعد إلى أسمائهم - إلى جهات نائية فى ظرف خمسة أيام، وأمر القائد العام بالتنفيذ، وهدده بالفصل، فقام بتحقيق الشطر الأول من الرغبة الملكية بحل مجلس إدارة النادى فى ١٦ يولية ١٩٥٢، وطلب مهلة مماثلة بالنسبة للشطر الآخر لنقل الضباط.

ولم يلق الملك بالاً إلى ما وصلت إليه حالة الجيش من فوران، وقد حذره رئيس الوزراء - وكان فى الوقت نفسه وزيرا للحربية والبحرية - من ثورة الضباط، ولكنه استخف بالأوضاع، ورأى ضرورة نقل محمد نجيب إلى الصعيد، وتعيين حسين سرى عامر وزيرا للحربية والبحرية. واستقالت الوزارة بسبب تصاعد أزمة الجيش، وركب فاروق رأسه، وراح يردد بأنه لن يسمح للجيش بأن يملى عليه إرادته.

* * *

وفى أعقاب صدور أمر حل مجلس إدارة نادى الضباط، ارتفع مؤشر نقمة الضباط على الملك، ولما منعوا من دخولهم النادى بالقوة، عقدوا اجتماعًا عاصفًا، احتجوا فيه على ماتم. وتصل المعلومات إلى لندن عن الظروف الخطيرة فى مصر، وأن فاروقا يخلق الأزمات بتصرفاته الهوجاء، وأن الاضطرابات زادت حدتها. وينقل القائم بالأعمال البريطانى لحكومته فى ٢٠ يولية ما وصلت إليه الأوضاع المتدهورة، موضحا أن الموقف سينجلى خلال ثمان وأربعين ساعة، وأن السفارة الأمريكية مدركة سوء الأحوال. ويشير إلى تحرك بعض الفرق من الجيش المصرى وتوجهها إلى الإسكندرية، ورفض عدد من الضباط إطاعة الأوامر، وأن هناك ثورة عسكرية على الأبواب، وإذا نجحت فسوف تؤدى إلى الإطاحة بنظام الحكم القائم، ويُرجع ما يحدث إلى تلك الرواسب التى تراكمت من جراء تصرفات الملك الحمقاء.

* * *

ويسهم العناد الملكى وخطواته العنيفة بالتبكير فى القيام بحركة الضباط، وبخاصة أن المعلومات التى حصل عليها البوليس السياسى، توصلت إلى معرفة بعض من أسماء أعضاء الهيئة التأسيسية للضباط الأحرار، وأن فاروقا على وشك التخلص منهم، فى وقت جرت فيه حركة تنقلات داخل الجيش، وأصبح متوقعًا تولى حسين سرى عامر وزارة الحربية والبحرية، ليقضى قضاء مبرمًا على العصيان داخل الجيش، ويضرب رقاب الثائرين. لذلك عُدِّل ميعاد بدء الثورة أكثر من مرة لتكون ليلة ٢٣ يولية.

وفى الساعات المتبقية، ومع تشكيل وزارة الهلالى الأخيرة، دخلها إسماعيل شيرين وزيرا للحربية والبحرية، ولم يكن يمتلك أى مؤهلات لتولى هذا المنصب الخطير فى ذلك الوقت الصعب، إذ إن حياته كانت غير مستقرة فى المجال العسكرى، فهو ابن الأميرة أمينة فاضل حفيدة إبراهيم باشا، تلقى تعليمه فى كامبردج، ودرس الاقتصاد السياسى، وعمل بالبنك الأهلى، ثم سكرتيرا فى مجلس الوزراء، وحصل على البكوية، وانتدب للعمل فى وزارة الدفاع ضابط اتصال، وكان أحد أعضاء وفد مصر فى مفاوضات رودس الخاصة بالهدنة مع إسرائيل، وأنعم عليه برتبة بكباشى (مقدم) فرتبة قائمقام (عقيد). ومن ثم فإنه يفتقد الكثير لتولى الوزارة.

وأقدم فاروق على تعيينه بعد أن وجد نفسه متخبطا، فأخذ برأى حافظ عفيفى الذى رأى أن إسماعيل شيرين، وزير شاب، لم يبلغ من العمر ثلاثين عاما، ويستطيع أن يتفاهم مع الضباط الشبان، وعدَّ الملك ذلك خطوة لإحلال حسين سرى عامر مكانه فى الوقت المناسب. ولم يكن لهذا الحدث رد فعله القوى على الضباط الحرار، وإنما استهزءوا به، حيث غدا كل شئ قد أعدَّ لتوجيه ضربتهم القاضية.

وعليه يتضح أن طريق العناد الذى سلكه فاروق، وذلك الصلف والغرور والتحدى، قاده فى النهاية إلى التهلكة. وبرغم أن هناك كثيرا من المواقف التى كان من الممكن تفاديها، محافظة على عرشه، وضمانا لملك ولى عهده، واستمراراً لحكم أسرته، فإنه لم يفعل، مع أن جميع المؤشرات أعطته النتائج المستقبلية والتى لم تكن فى صالحه أبدا.

سادساً ـ التصدُّع

بعد الإقالة الملكية الثالثة والأخيرة للوزارة الوفدية فى ٢٧ يناير ١٩٥٢، صدر الأمر الملكى لعلى ماهر بتشكيل الوزارة فى اليوم نفسه، وهو القدير والمحنك، والذى يستطيع إنقاذ ما يمكن إنقاذه فى تلك الأجواء الملبدة بالغيوم. وفى البداية فرض فاروق رأيه فى ألا يدخل الوزارة أفراد يمثلون أحزابهم، وإنما بوصفهم أفراداً يعينون بالاسم. ولما كان يهمه الأوضاع الأمنية من ناحية، وتحقيق مصالحه المالية من ناحية أخرى، فإنه على غير رغبة رئيس الوزراء، فرض مرتضى المراغى وزكى عبد المتعال، الأول لوزارة الداخلية، والآخر لوزارة المالية والاقتصاد، وكذلك أن يتولى أحمد طلعت حكمدارية القاهرة. ولكن على

الجانب الآخر، رفض على ماهر بأسلوب المناورة الذى يتقنه تحقيق الرغبة الملكية فى أن يدخل كريم ثابت الوزارة، وأن يعين كامل قاويش نائبا عاما لصلتهما بالقصر، وأيضا أن يعود عبد الفتاح عمرو إلى منصبه الأصلى فى لندن. وبذلك لم يمكّن الملك من تنفيذ مآربه كاملة.

وسرعان ما غضب فاروق على رئيس وزرائه، والذى تعارضت سياسته مع رئيس الديوان لأسباب متعددة، منها مسألة التطهير التى وضعها على ماهر فى مقدمة اهتماماته، وذلك السلام الذى بدأه مع الوفد، وتلك الرغبة فى تكوين جبهة وطنية يكون لها الثقل السياسى، وهذه النية التى عقدها على الدخول فى مفاوضات مع الإنجليز. ومن ثم نقم عليه الملك، وراح يشكوه كثيرا للسفير البريطانى.

* * *

وبدأت الأزمات بين الطرفين، وصرح رئيس الوزراء بأن ما يُقدم عليه مليكه من تحكمات عمل غير دستورى - وهو الذى لقنه الدروس فى ذلك الأمر فيما سبق - وزادت الخلافات عندما أراد فاروق حل البرلمان، فاحتفظ على ماهر بمرسوم التأجيل لاستخدامه فى الوقت الذى يراه. وعليه وصله التحذير الملكى من الأسلوب الذى يتبعه، وعندئذ أصر رئيس الوزراء على الدخول فى مفاوضات مع الجانب البريطانى، وتمسك بنداء الوفد فى الجلاء ووحدة وادى النيل، مما أغضب قصر الدوبارة. وهنا تجمعت الأسباب، ورأى الملك أن عمر الوزارة قد انتهى، بعد أن أدت مهمتها فى تهدئة الأحوال بعد حريق القاهرة.

وبناءً على تخطيط القصر، وحتى لا يشاع أن على ماهر استقال لخلاف معه، وما يترتب على ذلك، قام مرتضى المراغى بالدور، فنشر خبر تأجيل البرلمان، مما أثار على ماهر، وأدرك أن لحظة النهاية قد حانت، فقدم استقالته فى أول مارس، وحرص على أن يسجل فيها العقبات التى وضعت أمامه.

* * *

وغدت الأمور مستتبة بشأن اختيار أحمد نجيب الهلالى ليتولى الوزارة، وترك فاروق المشاعر جانبا، حيث لم يكن الحب يجمعه به، إذ أصبح كل ما يهمه تنفيذ سياسته، والتى يتصدرها محاربة الوفد. وصدر الأمر الملكى للهلالى بتشكيل الوزارة فى أول مارس، وجاء جوابه فيما يتعلق ببرنامجه الإصلاحى، أنه يرتكز على التطهير، والذى يدخل تحته

أشكال الفساد، وبالطبع المقصود هو الوفد. وكعادة فاروق فى تسلطه، فرض مرتضى المراغى ليس وزيرا للداخلية فحسب، وإنما أيضًا ولأه وزارة الحربية والبحرية لأنه وجد فيه القوة التى يمكن أن تكبح جماح الضباط الشبان فى الجيش، كذلك فرض زكى عبد المتعال على وزارة المالية والاقتصاد، لهدفين، الأول الاستفادة الشخصية الخاصة بالحصول على الأموال، والآخر فضح الفساد المالى للوفد. أما عن الهلالى فقد قام بدور فى التشكيل، أصاب أحيانا، حينما لم يوافق الملك على تسليم وزارة الصحة لأحمد النقيب، وأن يتولى كامل قاويش منصب النائب العام، وإن كان قد رضى بتعيينه وكيلاً لوزارة الداخلية، وفشل الهلالى فى إقناع فاروق بتولى محمد نجيب وزارة الحربية والبحرية.

* * *

وعقب تشكيل الوزارة، قامت المظاهرات ضد فاروق وحكومته، فكانت أولى خطوات الهلالى - وهو الحاكم العسكرى - أن يتخذ إجراءاته ضد الوفد، حيث اعتقد أنه وراء تحريكها. ومما لاشك فيه أن للوفد دوره فى هذا الصدد، ولكن الأمور فى مصر آنئذ أصبحت على وشك الانفجار.

ولما كان لدى الهلالى الأمل فى إمكانية إنقاذ الملك من الهاوية، شمَّر عن ساعديه، لينفذ برنامجه، واتبع سياسة الملاينة مع فاروق حتى يحقق هدفه، ورأى أن خطته فى التطهير لن تشمل الوفد وحده، وإنما أيضا ستعرِّج على القصر الذي تعشش فيه الحاشية الفاسدة، وبالتالى إذا تخلص منها، تكون الفرصة مواتية لإصلاح الملك نفسه. وفى البداية عبر فاروق عن ارتياحه لتنفيذ الهلالى لرغبته بشأن تأجيل الانتخابات، وبذلك الولاء الذى يظهره له، وبتلك الإشادة به فى مختلف المناسبات.

* * *

ولم يستمر الوفاق طويلا، إذ أطلت الأزمات برأسها على العلاقة بين فاروق ورئيس حكومته، وعليه قدم الأخير استقالته أكثر من مرة، ويتدخل رئيس الديوان ليرجعه عنها. ولكن فرض الاختلاف نفسه، وذلك حينما رنا الهلالى ببصره إلى تطهير الحاشية، فسارعت على الفور للإطاحة به، فيشكو أندراوس رئيس الوزراء للسفارة البريطانية، ويرفع كريم ثابت مذكرة للملك عن سوء الحالة الاقتصادية، وأن العلاج إخراج الهلالى من الحكم، وقد أقدما على ذلك عندما تركت الوزارة أسعار القطن تأخذ طريقها العادى وفقًا للعرض والطلب، مما ساءهما كمضاربين، فى الوقت الذى كان فيه فاروق يفيد من

وراء ذلك، والذى استمر يواصل طلب الدولارات، ويتدخل فى المشروعات الاقتصادية لصالحه، تلك التى تعددت ونهل منها، حيث سيطر عليه جشعه للمال، ومضى فى اختيار الوسائل التى يرضى بها ذاته، وبالطبع المتضاربة مع مصلحة مصر.

وكانت الوزارة قد أصرَّت على تحصيل ضرائب، قدرت على الرأسمالى الكبير أحمد عبود بمبلغ خمسة ملايين من الجنيهات. كما نوَّهت بالتخطيط لتأميم اتحاد السكر الذى يسيطر عليه المليونير، معتمداً على حجة أن الشركة تنوى رفع الأسعار، مما أدى إلى انخفاض قيمة الأسهم. كذلك عقدت عزمها على تطبيق سياسة التطهير التى سوف يدخل تحتها الوفديون ورجال الحاشية.

* * *

إذن أصبح لابد من التحرك ضد الوزارة، ووقع عبئه على كاهل أحمد عبود الذى أثبتت الوثائق أنه دفع رشوة كبيرة إلى ثنائى كريم ثابت - أندراوس فى سويسرا لصالح الملك الذى لم يذكر اسمه صراحة، وبالطبع فإنها من أجل إسقاط الوزارة، وتسربَّت المعلومات بواسطة السفارة الأمريكية فى هذا الشأن. وبناءً على ذلك، استخدم الهلالى سلطته بوصفه حاكما عسكريا فى إرغام البنوك التى يتعامل معها أحمد عبود على تقديم تفصيلات عن تحويلاتها الأخيرة الخاصة بالعميل، فأيدت الواقعة. وفى الحين ذاته، تمنع فاروق عن مقابلة رئيس حكومته، الذى أدرك ما هو مطلوب منه، فقدم استقالة وزارته فى ٢٨ يونية بعد ما يقرب من أربعة أشهر من توليه الوزارة.

* * *

وأبقى فاروق مصر دون وزارة حتى ٢ يولية، نتيجة لترنحه بين ما يبديه رئيس ديوانه، وما يمليه عليه المحيطون به، ثم تمكن حافظ عفيفى من النجاح فى الحصول على تكليف لبهى الدين بركات بتشكيل الوزارة فى أول يولية، نظرا للمؤهلات التى يتمتع بها، وكذلك للتخفيف مما انتشر حول استقالة الهلالى. وفرض بركات شروطه التى تمثلت فى عدم تدخل الملك وغير المسئولين من حاشيته فى شئون الحكومة، وعارض ضم كريم ثابت للوزارة، كما رأى أن تكون ائتلافية.

ومضى بركات فى أولى خطواته لتشكيل وزارته، فاتصل بالنحاس، ولكن فى غمره ذلك، تراجع الملك، وأبلغ رئيس ديوانه بأنه وقع اختياره على حسين سرى ليشكل الوزارة. وكان ذلك وفقا لرغبة كريم ثابت وأندراوس وأحمد عبود لهدف تحقيق

مصالحهم، الأول ليدخل الوزارة، والثانى ليحصل على المزيد من العقود والمضاربات وبالتالى الأموال، والثالث ليسترد الوفد مكانته، لأنه كما هو معروف عندما يتولى حسين سرى الوزارة فإنها تكون بمثابة قنطرة لوصول الوفد إلى الحكم، ومن وراء ذلك كله وأمامه، هناك المصلحة الجوهرية لفاروق. وكان فى هذه الآونة قد ظهرت عليه أعراض المرونة تجاه الوفد. ويقرأ القائم بالأعمال البريطانى ما فى داخله بشأن ذلك، ويرجعه إلى إما لاعتقاده بأن النمر قد غير جلده، وإما لأنه يثق بنفسه بقدرته على السيطرة حتى لو فتحت بوابة القفص.

واستاء رئيس الديوان مما حدث، وبخاصة أن أندراوس ومحمد حسن كانا واسطة اتصال فاروق به، وقدم استقالته، ولكن الأخير رفضها خشية من اللغط الذى كان سائداً للظروف المحيطة باللحظة، وحينئذ لم يملك حافظ عفيفى إلا أن يشكو للسفارة البريطانية.

* * *

وصدر الأمر الملكى إلى حسين سرى بتشكيل الوزارة فى ٢ يولية. ولأول مرة يحدث أن يجد رئيس الوزراء صعوبة فى الحصول على من يشارك فى وزارته. وكاد أن يحدث احتكاك بينه وبين الملك، الذى رفض مرة ثانية إسناد وزارة الحربية والبحرية لمحمد نجيب، برغم ما بينه له حسين سرى من أنه شخصية محترمة ومحبوبة من الجيش والدلائل تشير إلى ذلك، وأنه القادر على امتصاص غضب الضباط الشبان. وتحققت رغبة فاروق، ودخل كريم ثابت الوزارة وزير دولة - فضل ذلك الاسم على اسم وزير شئون القصر الذى أراده الملك - فهو رجله المخلص الذى سيوافيه بما يحدث داخل أروقة الحكومة، وقد أشركه حسين سرى فى اختيار باقى الوزراء. وكما يذكر القائم بالأعمال البريطانى فإنهم ليس لهم الثقل ولا الخبرة، وبالتالى سيخضعون لتوجيهات كريم ثابت صفى الملك.

وأراد فاروق إدخال أندراوس الوزارة، ولكن حسين سرى استطاع أن يقنعه بأن صفاته ومؤهلاته لا تمكناه من تولى مثل هذا المنصب، ومما يذكر أنه كان الوسيط بين رئيس الوزراء والملك. وتشكلت الوزارة، وصمم فاروق على استمرار الأحكام العرفية، وتأجيل الانتخابات إلى أجل غير مسمى.

* * *

وجاءت أزمة حل نادى الضباط لتؤزم الموقف تماماً، وفيها رأى فاروق إثبات سلطته

على العسكريين. وهنا كرر رئيس الوزراء محاولته لتولى محمد نجيب وزارة الحربية والبحرية للمبررات نفسها التى سبق وعرضها، وكذلك تعرض لمسألة إبعاد حسين سرى عامر عن الجيش، ولكن الإصرار الملكى على رفض محمد نجيب للمرة الثالثة كان قاطعا، وتبعه التمسك بمدير سلاح الحدود.

وأدرك رئيس الوزراء أن الأمور فى طريقها إلى المزيد من التعقيدات، وأن الأحوال لم تعد تبشر بالخير أبدًا، وسرعان ما اتصل أندراوس بكريم ثابت، وأسر له بضرورة أن يقدم حسين سرى استقالة وزارته قبل أن يقيلها الملك، وبالتالى تم المطلوب، وقدم استقالته فى ٢٢ يولية بعد أن مكث اثنين وعشرين يوما فقط.

* * *

وأصبح الأمر جد خطير، فى وقت بلغ فيه تذمر الجيش مداه، وتخبط فاروق، وفقد استقلالية التصرف، وفكر فى على ماهر، ولكن الخلاف بينهما كان على أشده. وبناء على نصيحة حافظ عفيفى باستدعاء الهلالى لتشكيل الوزارة، وافق الملك برغم عقدته من سياسته على أمل أن يتمكن من الإمساك بزمام الأمور. وفى الوقت نفسه قبل الهلالى علَّه هذه المرة يستطيع أن يفعل شيئا، ووضع شروطه التى كان من الصعب أن يقبلها فاروق، ولكنه تظاهر بالموافقة عليها، وتضمنت: إخراج كريم ثابت من الإذاعة، وأن يكون رئيس الديوان الرسول الوحيد بين القصر والوزارة، وأن يختار وزراءه كما يشاء دون تدخل من القصر، ويبعد العناصر الفاسدة من الحاشية، وتلغى الأحكام العرفية، على أن تقرر الوزارة الجديدة موعد الانتخابات وفقًا لما تراه، وبعيدًا عن تدخل القصر.

* * *

وصدر الأمر الملكى للهلالى بتشكيل الوزارة فى ٢٢ يولية، وتم التشكيل، وأسندت وزارة الداخلية ووزارة الحربية والبحرية إلى مرتضى المراغى، ولكن حدثت المفاجأة غير المنتظرة وقت أداء الوزارة لليمين أمام الملك، إذ فوجئ الهلالى بإسماعيل شيرين صهر الملك ـ زوج الأميرة فوزية ـ وزيرا للحربية والبحرية، فأثبت ذلك أن موافقة فاروق على شروط الهلالى، لم تكن إلا خدمة للموقف، وبالطبع لم يمهله الوقت ليواصل نقض باقى الشروط.

وبذلك أضحى جليا أن التصدع تسلَّل إلى كيان النظام القائم، وأحدث فيه الانشقاقات العميقة التى وصلت إلى الأساس، وبدت عليه علامات الانهيار واضحة تمامًا. ولم تمض سوى ساعات قليلة بعد تشكيل الوزارة إلا وبزغ فجر ٢٣ يولية.

سابعا ـ السلوكيات الشخصية

لم تظهر كلية السلوكيات الشخصية لفاروق، وتبرز صورتها واضحة وبراقة، إلا مع التغيير الذى حدث له تدريجيا نتيجة حادث ٤ فبراير. حقيقة أن هناك جذوراً قد بدت ملامحها مع فترة التوهُّج التى عاشها، ولكن كان ينقصها التكامل الذى تبيَّن فى الفترة التى أصبح فيها الآخر.

وقد أجمع علماء النفس على أن مثل الصفات التى نسجت خيوطها داخله، تصنِّف صاحبها تحت اسم الشخصية السيكوباتية Psychopatic Personality، ومن سماتها البلادة الانفعالية، وفقدان المشاعر، وإقصاء القيم والمعايير الاجتماعية، والعنف غير المبرر، واللامبالاة، والاستهتار، وسرعة الغضب، والاندفاع، والسهولة الشديدة فى تفريغ العدوان، وفقدان القدرة على مقاومة الإغراء.

كذلك فإن صاحب هذه الشخصية، كثيرا ما يبدو عليه الصدق والحماسة حين يتحدث، وبالتالى يكون من السهل عليه خداع محدثيه، كما تغمره الأنانية المفرطة، والطموح المحطِّم لكل الأعراف والتقاليد والصداقات فى سبيل الوصول إلى تحقيق المصلحة الخاصة، والرغبة فى تملك السلطة، وتغلغل النزعة السادية. وقد اختلفت الآراء فيما يتعلق بأسباب نشأتها، هل تعود إلى عوامل وراثية، أو إلى أسباب فسيولوچية أو إلى الاثنتين معا؟ وكان لكل رأى ما يبرره.

وعلى أى حال، فإن فاروقا عانى من هذه الصفات، بالإضافة إلى سمات أخرى، وبالتالى انعكس ذلك على تصرفاته العامة والخاصة. والأخيرة شكَّلت ركيزة أساسية فى النصف الثانى من حكمه، واتسعت وتشعبت، وكانت عاملاً مهما ليس فى انهياره فقط، وإنما أيضًا فى سقوط الملكية فى مصر.

* * *

ومما لاشك فيه أن فترة تكوينه قد أدت دورها، وتركت آثارها التى انجلت مع التغيير الذى طرأ عليه، فالتربية المغلقة التى حصرته فى العاملين بالقصر، جعلته لا يستغنى عنهم أبدا من ناحية، وينفتح خارجيا كلية ـ فيما بعد ـ من ناحية أخرى. كما أن عدم استكمال تعليمه، رَسَّبَ نقصا عنده، فأصبحت لديه عقدة أنصاف المتعلمين، بأن يبدو أمام الناس وكأنه المثقف الأول الذى يعرف كل شىء ويفتى فيه، وصدَّق نفسه، وبالتالى أصابه

الغرور. ثم ذلك التملق والرياء والنفاق الذى أحيط به من جانب ساسة كبار الدولة، ساعده على تصور أن ما يدخل تحته من معان هو الواقع بعينه.

ولازم فاروقا التهور، وقد انعكس بصورة واضحة على قيادته للسيارات، إذ شغف بالسرعة الجنونية، غير مبال إطلاقا بالنتائج السيئة المترتبة عليها، ولعل حادث القصَّاصين الذى تعرض له دليل على ذلك. كذلك فإن الظروف التى وضعته فيها الملكة الأم، أفقدته الثقة فيمن حوله، وجعلته فى صراع نفسى شديد، حيث لم يكن يمتلك القوة على ردعها، ومن ثم ترسبت فى أعماقه تلك القوة فى شكل أمنية يسعى إلى تحقيقها، حتى لقد وضع على مكتبه شعاراً كتب عليه «سأفعل»، وعزَّزه بتمثال لقبضة من حديد، إشارة إلى هيامه بالقوة والقدرة على التنفيذ وقت أن يحين الموعد.

وقد انبثق عن ذلك حبه للصيد بنوعيه، سواء أكان خاصا بالطيور التى مثل فيها البط الجوهر، أم الأسماك، والأول ترجم رغبته فى الانتصار، وإبداء القوة والمباهاة بما جمعه من حصيلة أمام مرافقيه، وكان دائمًا يخرج فى مجموعة وبالذات مع الضباط الأمريكيين الذين نالوا الحظوة لديه، وأقرانهم البريطانيين.

* * *

وتمتع فاروق بالذكاء والذاكرة القوية. أما عن الجلد الذى رافقه فترة، فقد تلاشى تدريجيًا، وحلت مكانه الهوجائية. وكان يمتلك القدرة الفائقة، ويعرف مفتاح شخصيته، بمعنى أنه يستطيع أن يؤدى الدور الذى يتناسب مع الموقف، ووضح ذلك فى مقابلاته ولقاءاته الرسمية والبعيدة عن حياته الشخصية، فهو الملك العاقل الذى يتصرف بتؤدة وحكمة، ويحسب كل كلمة ينطق بها، وكل تصرف يقدم عليه، والعكس صحيح عند اختلاطه بالمقربين إليه، إذ يخلع الرداء الرسمى، ليصبح شخصية مختلفة.

* * *

وتوغلت فى فاروق سلوكيات عشقها، ولم يستطع التخلى عنها حتى آخر يوم فى عمره، فقد تنفس بها، وجرت فى دمه، وامتزجت مع خلجاته، ونبض قلبه لكل خطوة يخطوها نحوها، أى أنها كانت الحياة بعينها بالنسبة له.

وجاءت مسألة هوايته للاقتناء لتسلب لُبَّه، حيث حرص على امتلاك مجموعات من التحف التى تعددت أنواعها: العملة وبخاصة الذهبية، طوابع البريد، ورق اللعب،

أدوات لعب القمار، الأصداف، اللوحات، التماثيل، الآثار، علب السجائر، الولاعات، النياشين، الساعات، الأسلحة، الكتب، النباتات وشمل بعضها الحشيش والأفيون، الحشرات غير المألوفة، رؤوس الغزلان والتياتل، الحيوانات النادرة، الفصائل الأصلية من الكلاب والخيول، السيارات الحمراء ـ وهذا اللون اختص بالملك وحده ـ وكان من أهم ما حُبب لنفسه اقتناء المجوهرات ويأتي بعدها الذهب. وقد برع في فهم تلك المقتنيات بأنواعها وأشكالها المختلفة.

* * *

ويذكر علماء النفس أن تأصل هذه الهواية وتمكنها في النفس، قد تدفع إلى العدوان على ملكية الآخرين، ويغدو صاحبها عاجزا عن التمييز بين الخير والشر، ومن ثم فهو لا يخفي سلوكه السيئ دائمًا، ويلتذذ بإجراء العملية نفسها، أكثر من الحصول على الشيء ذاته، وذلك لرغبته في لفت الأنظار إليه، والتنبيه للالتفات له، وعليه يصبح مصابا بداء الكليبتومانيا Cleptomania أي المصاب بهوس السرقة والولع بها.

وهذا بالفعل ما انتاب فاروقا، بالإضافة إلى شغفه بالمغامرات وعناده وتسرعه وتقلبه، وزاد من السوء، تسلط الأضواء عليه ـ وذلك بحكم وضعه ـ مما قوى النزعة النرجسية عنده، ومن هنا تأصل عشق ذاته الذي تُرجم في امتلاك ما ليس له حق فيه، سواء أكان ذلك علانية أم خلسة. ولازمته هذه العادة التي ابتلى بها، وشكا منه كثيرون، وفاضت مواقفه المشينة، بعد أن تمكن منه هذا الداء. ومن المعروف أن له الرواسب منذ الطفولة، فقد كان فاروق حينما تمنعه مربيته من الحلوى وبخاصة الشيكولاته، فإنه يبحث في مكان آخر عنها، ويلتهمها بعيدًا عن أعين مسز تايلور.

* * *

أما عن غرام فاروق بالقمار، فله الأصول عنده من قبل توليه العرش، ولكنه لم يحتل المكانة كما حدث في فترة لاحقه. وفي الواقع فإنه استمد هذا الداء من شهوة الاستحواذ على ما في جيوب الآخرين. وقد أجاد «البوكر» الذي تعلم قواعده في نادي السيارات الملكي، وكذلك «البكاراه». وسيطر القمار على يده، وكان رفيقه المحبب إليه. وعلل تمسكه به، بأنه ينتشله من همومه العائلية التي نغَّصت عليه حياته، وهمومه العامة التي وجد أنها تنصب على المناوئين له وبخاصة الوفد. أيضا فقد ردد بأن كبار السياسيين يمارسون هذه الهواية بحريتهم.

وأتقن فاروق اللعب، وتفاخر بذلك، واتسعت الأماكن التى وُجدت فيها الموائد الخضراء، فبجوار نادى السيارات فى القاهرة والإسكندرية، ارتاد كازينو الحلمية بالاس، وملهى الإسكارابيه بالإسكندرية، وأوبرج الأهرام، بالإضافة إلى البيوت الخاصة التى لديها التجهيزات المطلوبة. ولم يقتصر الأمر على داخل مصر، وإنما كذلك خارجها فى رحلاته المتعددة. والتف حوله المريدون من أصحاب المصالح ليخسروا أمامه، وينالوا الحظوة لديه، فى وقت ينتابه فيه الإحساس بالانتصار، وبأنه أجاد فى التحايل والتلاعب بالأوراق.

وأثرت هذه الهواية عليه سلبيّا، وأسهمت تمامًا فى تقويضه، إذ خرجت به عن خط الدين الذى حرَّمها، ومثلت نقطة ضعف وقت أن كان يبحث عن تعويض ما فقده فى الزعامة الإسلامية، وأفقدته الاحترام، وسيطرت على وقته الذى لم يعد يشعر به فى أثناء اللعب، فأصبح يقضى ساعات الليل معه، حتى وصل به الأمر إلى أنه فى ليلة عيد، ظل يلعب حتى الساعات الأولى من الصباح فى نادى السيارات، ثم ارتدى الردنجوت فى النادى، وانتقل إلى المسجد ليؤدى صلاة العيد. ومما يذكر فى هذا الصدد أنه عشق الليل وكره النوم مبكراً منذ أن كان يُجبَر عليه سواء من مربيته أم من عزيز المصرى إبان بعثته التعليمية.

* * *

كذلك فإن لعب القمار أعطى قسماته الشخصية شكلا غير لائق، وبخاصة وقت أن يكسب، وهذا فى معظم الأحيان، ويخسر الآخرون - وفقا لخطتهم - فتظهر عليه علامات فجائية من الضحك والسخرية مما يفقده المكانة. أما وقت الخسارة، وهذا من النادر حدوثه داخل مصر، فتبدو عليه العلامات نفسها ولكن بصورة مختلفة، وبالنسبة لممارسة اللعب خارج مصر، إذ تكاد تتوارى المؤثرات التى تفرض نفسها، لتجعله يفوز بالأموال، فإنه كثيراً ما يستسلم، وإن كان فى بعض الأحيان يلاحقه المرتزقة بهدف أن يحققوا المصالح لهم، وبالتالى يناله المكسب فى اللعب.

وأنهكت قواه، وتلفت أعصابه، ومن ثم غمره الاستهتار، وأهمل أهم أعماله، وتركها لتتصرف فيها حاشيته وفق ما تراه، حيث لم يعد قادراً على التركيز والمحاورة والمجادلة. فضلا عن أن الأموال التى كان يكسبها، أصَّلت فيه الطمع للحصول على المزيد.

ولم يكن ما يقدم عليه فاروق فى هذا المجال بخاف عن الناس، فتناقلته الألسنة، وتعرضت له صحافة المعارضة، ولكن دون تصريح معلن، وإنما من وراء ستار. أما الصحافة الأجنبية، فقد لازمته فى أثناء وجوده بالخارج، وأعطت التفصيلات الدقيقة عن كل تحركاته وتنقلاته بين الموائد الخضراء، حتى الأموال سواء التى خسرها أم كسبها سجلتها، وعلقت عليها، مما أضر بسمعته، وعمل على الاستهزاء به.

* * *

ومثلت مسألة شراهة فاروق فى الأكل مثلا صارخا فى سلوكياته، ويرجع علماء النفس هذا النمط إلى ارتباطه بنوعية الشخصية، والإقبال على الطعام من عدمه يختلف من شخص إلى آخر. فعلى سبيل المثال، إذا ساءت نفسية إنسان، فهو إما يكون شرها فى أكله، وإما يمتنع عنه. كذلك الحال إذا ارتاحت نفسيته وغمرته المشاعر الجميلة، يحدث له الشىء نفسه. أيضا إذا كان منفعلاً ومنهمكا فى عمل ما أو يمارس هواية معينة، فإنه يتعرض للموقف ذاته. ومن هنا فقد تأثر فاروق بالشكل الإيجابى، أى الشهية المفتوحة، والمتشوقة لمختلف أنواع الطعام، تلك التى لازمته فى جميع الظروف. ومما يلاحظ أن هناك رواسب قديمة أثرت فى هذه المسألة. ففى مرحلة نشأته، وبناء على الطريقة التى اتبعتها مربيته فى تقنين الأكل له، دفعه ذلك إلى الحصول عليه، وبأى كمية من مصادر أخرى، وذلك دون أن تدرى.

* * *

وتحوَّلت صورة فاروق الذى اتصف بالجمال والوسامة والأناقة منذ توليه العرش وفى أثناء سنوات التوهُّج، لدرجة أنه ضرب به المثل لما تمتع به، إلى صورة أخرى اتصف فيها بالبدانة المترهلة وغير المتوازنة، والضخامة، والصلع، والإهمال فى الملبس، وقد لازمته هذه الصورة حتى أواخر أيامه. وقد أرجع السبب الأساسى إلى تناوله كميات كبيرة فى ليله ونهاره من مختلف أنواع البروتينات والنشويات والحلويات وبخاصة الشيكولاته والفواكه الطازجة والمطبوخة (الكمبوت)، وكان للمحار المكانة الرئيسية على مائدته، لارتباطه بتقوية الضعف الهرمونى الذى عانى منه. كذلك فهناك سبب آخر ساعد على ما وصلت إليه هيئته، اختص بعدم انتظام غدده، مما أثر فى صورته الجديدة.

ولم يكن فاروق يتعامل مع الخمور، ومع هذا كان يتظاهر بتناولها، ويتكلم عن

أنواعها. فقد حدث أنه فى أثناء زيارة وزيرة التأمين الأهلى البريطانية لمصر فى فبراير ١٩٥١، وفى مقابلة ملكية، تعمق فاروق فى الحديث معها عن أنه قادر على التحكم فى شرب النبيذ، وذكرت ذلك فى تقريرها الذى أعدته وأشارت إلى أنه يظهر غير ما يبطن، وكما علمت من مصادر مختلفة، فهو لا يتعاطى المسكرات. واقتصر الملك فى شرابه على العصائر، وبخاصة عصير البرتقال، وكذلك البيبسى كولا التى فضّلها لارتباطه مع شركتها بمصلحة مالية، وأيضا دخّن سيجار هاڤانا.

* * *

وبالنسبة لعلاقات فاروق النسائية التى اشتهر بها، وكانت من أهم هواياته، فقد دفعته ظروفه المحيطة إليها. فمنذ نشأته، وجد نفسه الذكر الوحيد، وضاقت دائرة اختلاطه، فلم يكن هناك سوى أخواته الشقيقات واللاتى كن أصغر منه، ومربيتيه، وأمه التى خضعت لقاءاته بها لمعايير وضعها أبوه، وراقب تنفيذها بصرامة. ثم جاء زواجه من فريدة مبكرًا وفى أثناء فترة تفتحه، وبدأت حياتهما الزوجية بداية موفقة، وسعد الملك بالملكة التى أحبها المصريون وكانت من أسباب توهّجه. ولكن بدأ التصدع بين الزوجين مع تتابع ولادة البنات، فريال (١٧ نوفمبر ١٩٣٨) وفوزية (٧ إبريل ١٩٤٠) وفادية (١٥ ديسمبر ١٩٤٣). وأمر طبيعى أن يتلهف فاروق على وريث للعرش، وقد شكل هذا أساسا راسخا داخله، وراوده الخوف من ألا يكون له وريث من صلبه، وبالتالى يرث العرش ابن عمه وعدوه الأمير محمد على الذى كان يتربص به، ويتمنى من كل قلبه أن يزول ملكه، ليستمتع هو به. ومن هنا انفتح باب الاختلافات بين الزوجين.

* * *

وكانت شخصية فريدة قوية، يتغلغل فيها الكبرياء والعناد، ولم تكن تتفق مع سطوة فاروق وتسلُّطه، ثم ذلك الصدام الذى أصبح سمة ظاهرة ومستمرة بين الملكة الزوجة والملكة الأم، بعد أن صار التناقض بينهما واضحا. وتفنن كل طرف فى مضايقة الآخر، وتفوقت نازلى -بحكم تكوينها- على زوجة ابنها. بالإضافة إلى تلك المسألة الفسيولوچية التى عانى منها فاروق، وأثبتتها التقارير الطبية، وفشلت محاولات علاجها، وتعلّقت بخمول غدد معينة جعلته يفتقد مقوّمات الفحولة. وقد أرجع الأطباء ذلك الخلل إلى ما قبل زواجه واستمر معه.

ووفقًا للتحليل النفسى، فإن انعكاسات هذا الوضع الأخير يكون إما بالإيمان والتسليم

بالأمر الواقع، وإما بمحاولة الإثبات للنفس بالمقدرة، وذلك من خلال تعدد العلاقات النسائية من ناحية الشكل دون الجوهر، وأن فى هذا إعلانا أمام الجميع عن أن مؤشر الرجولة قد بلغ أقصاه.

واختار فاروق الأمر الثانى. زد على ذلك تداعيات حادث ٤ فبراير التى دفعته للغوص فى الملذات، كنوع من الترفيه عن الصدمة التى تلقاها، بعد أن استقر فى أعماقه أن ملكه لن يدوم، وقد صرح بذلك كثيرا، وأن عليه أن يستمتع بما يهوى.

* * *

وكان هناك المحيطون به من غير المسئولين، وبخاصة إيطاليو القصر، وعلى رأسهم بوللى، الذين قدموا له فى البداية الإيطاليات، ثم تبعهن جنسيات أجنبية أخرى. وهناك الأميرة العجوز شويكار، طليقة أبيه والتى كانت تكرهه وحاول أخوها اغتياله، وهى أيضًا أم لطفية زوجة أحمد حسنين الذى ارتبطت به نازلى. ومن أجل ذلك، فقد عقدت الأميرة عزمها على الانتقام لنفسها فى شخص فاروق. هذا فضلا عن أنها أرادت أن يكون قصرها محط الأنظار لارتياد الملك له. ولذا أقامت الحفلات والسهرات الصاخبة، وجهزتها على أكمل وجه، وأغرت فاروقا لحضورها. وهناك الأميرات والنبيلات اللاتى جذبنه لهن. وهناك الفنانات وبخاصة الأجنبيات، اللائى تقربن منه سعيًا وراء الشهرة.

ونظرا لحب فاروق للاقتناء والإغارة على ممتلكات الغير، فقد دخلت المرأة المتزوجة تحت هذا البند، وبخاصة إذا تمنعت عنه. أيضا ذلك الإحساس الجامح الذى سيطر عليه بأن كل شىء مسخَّر له، ورهن إرادته، فكان استسلام المرأة شأنها فى هذا شأن كبار رجال الدولة. كما أنه عندما توثقت علاقاته بالعسكريين الأمريكيين والبريطانيين، كان يلتقيهم مع زوجاتهم وغيرهن من الصديقات فى السهرات الخاصة والحفلات العامة والرحلات. ومثَّل وجود المرأة فيها عنصرا حيويًا، مما أتاح الفرص لمزيد من الإغراءات. كذلك فإن أصحاب المصالح من الرأسماليين قد هيئوا له الأجواء المشجعة، وأدت هيلين موصيرى سيدة المجتمع الراقى والمقربة منه والقوادة اليهودية الدور فى هذا المجال.

* * *

ومن المسلم به أن ذلك جميعه لابد وأن يكون له التأثير العميق فى فريدة من ناحيتين: الأولى ما وصلت إليه سمعة فاروق، مما أساء إليها هى الأخرى، من منظور أنه لم يجد

فيها ما يغنيه عن هؤلاء النسوة. والثانية حرمانها منه، بعد تجاهله لوجودها كلية. وعليه كانت هناك الانعكاسات على نفسيتها، وبالتالى على تصرفاتها، فراحت تشكو منه للمقربين منها بعد أن غمر البؤس حياتها.

وعلى صعيد آخر، فإن فاروقا لم يتركها لشأنها، وإنما ضيَّق عليها الخناق، حتى إنه منعها من الظهور فى المجتمع، بسبب تلك الشعبية الجارفة التى تحظى بها، فى وقت راحت فيه شعبيته تتوارى. وحدثت القطيعة بين الزوجين، فهو يتركها أحيانا مع بناتها فى قصر عابدين، ويستقر مع أخته فوزية فى قصر القبة، وكثيرا ما يحدث العكس. وقد قامت حاشيته والمقربون له بما يعمل على المزيد من الفرقة بينهما.

وصممت فريدة على الطلاق بعد أن أيقنت أنه لا سبيل لتقويم سلوكيات زوجها. والواقع أن فاروقا لم يكن يرغب فى طلاقها، فبرغم علاقاته النسائية الكثيرة، فإن فريدة مرتبطة لديه بالحب الأول، وأيضا لها شعبيتها، وطلاقها سيزيد من النقمة عليه، ومن ثم اختار الوقت الذى ماجت فيه مصر بالانفعالات الخاصة بحرب فلسطين، كما حرص على أن يكون طلاق أخته فوزية من إمبراطور إيران مقرونا بطلاقه، ليمتص غضب الشعب الذى يخشاه.
وفى ١٩ نوفمبر ١٩٤٨ صدر البلاغ الرسمى من الديوان الملكى بالطلاق البائن لفريدة.

* * *

وكان للخبر وجوم وغضاضة على المصريين، وصف ردوده السفير البريطانى لحكومته بدقة، مبينا كيف استقبله الشعب استقبالا سيئا، وأنه أضحى عاملا مهما فى انخفاض مكانة الملك. ويلتقط الصور للمظاهرات الغاضبة إزاء ما حدث، والتى ترددت فيها العبارات الجارحة لفاروق، وأضفت العبارات التى تعنى الشرف والطهارة والنقاء والكرامة على فريدة.

وأخطأت حسابات فاروق لاعتقاده بأنه بتأخيره الطلاق سوف يتفادى ما جرى. كذلك فإن محاولاته لم تفلح والخاصة بحصوله على فتوى من الشيخ المراغى تحرِّم على فريدة الاقتران بزوج آخر، وألا ترى بناتها. وبرغم ما سبق وقدمه الشيخ لمليكه من تعاون، فإنه رفض ذلك بإصرار لمخالفته الشريعة الإسلامية. وقد عبر هذا عن الأنانية التى كانت من السلوكيات الملكية.

* * *

وبعد الطلاق، انجرف فاروق بقوة مع تيار الهوى، غير عابئ بدين أو تقاليد، يقوده الإيمان بأن حياته الشخصية هى ملك له وحده، وبالتالى عاشها طولا وعرضا. ففى حديث له مع أحد المسئولين البريطانيين ذكر له أن تنبؤاته دلّت على أنه سيموت صغيرا، وأن ذلك يدفعه إلى التمتع، طالما أمكنه ذلك.

ولم يغب العنصر النسائى عن فاروق فى رحلاته داخل مصر وخارجها. ومما يذكر أنه كان هناك نساء لمسن نقطة ضعفه، ومن ثم تمكّن من معالجته نفسيا، بمعنى أنهن نقلن إليه المشاعر الناطقة بأنه يتمتع بكامل لياقته المطلوبة. أيضا أدرك بعضهن صفات الملل الذى يعتريه، وتحوله السريع وتخليه عن الآخر، وقوة نزعة التقلب عنده فى حالة استسلامهن له. ومن هنا أهملنه، فكان أكثر اندفاعا نحوهن. وهذه الصفات انعكست على عطائه لهن، فهو أحيانا يكاد يوصف بالبخل عليهن، وأحيانا أخرى يكون مسرفا ومبذرا ويقدم الهدايا الثمينة للمرأة التى يجذبها إليه.

* * *

وأمام ذلك التردى الذى وصل إليه الملك، رأى المحيطون به، ممن يكنون له المعزة، فى محاولة لإنقاذ ما يمكن إنقاذه، أن عليه أن يتزوج، وربما يأتى بولى للعهد، يغير من مساره، ويعود به إلى فترته الأولى. ولما عرض الأمر عليه، استرجع أمامه صورة زواجه من فريدة، وأن هذا الزواج أسهم فى علو مكانته، وتدفق حب الشعب عليه، واستحسن الفكرة، ومضى فى التنفيذ. ولكن جاءت طريقة الاختيار، لتعكس الغرض الأساسى الذى سعى إليه، وما وصلت إليه سلوكياته.

ومعروف السيناريو الذى تم به التقاط ناريمان، ذات الستة عشر ربيعا، والتى كانت على وشك الزواج، ووقعت عين جواهرجى الملك عليها، حينما دخلت عليه مع خطيبها لشراء خاتم الزواج. وحاك خطته، وأعجب بها فاروق، وقرر الاستحواذ عليها وفقا لصفاته المعهودة فى الاستيلاء على ممتلكات الغير، بالإضافة إلى أنه كرر نفس فعلة أبيه عندما تزوج من نازلى. وبطبيعة الحال، فإن ظروف زواج فاروق من فريدة اختلفت عنها فى ناريمان، وهنا يتبادر السؤال، لماذا لم يتزوج هذه المرة من إحدى الأميرات أو النبيلات من الأسرة العلوية؟ وبخاصة أنه سبق وكانت له العلاقات على هذا المستوى؟ ربما يكون الوضع الذى آل إليه لم يكن ليشجعهن على القبول، وربما أيضا رأى أن الاختيار من المستوى الاجتماعى العادى الذى تنتمى إليه الزوجة المقبلة يعطى المعنى بأنه قريب من شعبه، علّه يحسن مما وصل إليه.

ولم يلق مشروع الزواج الذى أذيع خبره مع نهاية عام ١٩٤٩ ، أى استقبال طيب من المصريين كما كان متوقعًا، وذلك للطريقة التى تم بها اختيار العروس. وينقل السفير البريطانى لحكومته الأقوال الدائرة عنه والتى يؤسف لها، وأنه انخفض بمكانة الملك أكثر مما هى عليه، ويعرض وجهة النظر التى تمثلت فى أن الزواج من فتاة مخطوبة لشخص آخر يُعد اعتداء على ملْك الغير، وأن المبادئ الإسلامية لا تقر ما يتبعه فاروق، وأن السلوك الملكى فى هذا الشأن مشين.

وأبدت العائلة المالكة استياءها وعلى رأسها الأمير محمد على من هذا الاختيار، لأنه دون المستوى. فالعروس ابنة حسين فهمى صادق سكرتير عام وزارة المواصلات، والذى لم يكن يتمتع بسيرة عطرة، وأمها شخصية طاغية. وقد ذكر السفير البريطانى للندن ما يتردد عن مستواها بأنها وفقا للاصطلاح المصرى «بلدى» أى غير أرستقراطية، واستغلت الصحافة الأجنبية ذلك لتزيد من هجومها على فاروق.

وبعث الملك بخطيبته إلى سويسرا وإيطاليا لتتلقى التدريبات التى تؤهلها لتكون الملكة المقبلة. والمفروض أنه قد بدأ يستعد لحياة جديدة، وأن يتخلى عن نزواته وبخاصة النسائية. ولكن ما حدث هو شيء آخر.

* * *

وكانت رحلة فاروق الخاصة إلى أوروبا عام ١٩٥٠، والتى سافر فيها تحت اسم مستعار «فؤاد باشا المصرى» مع حاشيته مثالا للصخب والاستهتار، واهتزت صورته تماما كملك لمصر، وساءت سمعته كثيرا. ولم تتركه الصحافة الأجنبية، فاقتفت أثره، واحتلت المساحة فيها، وجعلته مثارا لسخريتها، وعلقت على علاقاته النسائية، وتساءلت كيف يعيش الملك هكذا فى وقت يعانى شعبه الفقر والفاقة. وقد رسمت تلك السلوكيات الأسى والبؤس على وجوه المصريين، وحفرت وعمقت الكره والضغينة له، وعبرت مظاهراتهم ضده عن ذلك الوضع المنحدر الذى نزل إليه، وتعجب الناس الذين كانوا يحملون له كل الحب، كيف يكون التحول إلى النقيض.

وفى ١١ فبراير ١٩٥١ احتفل فاروق رسميا بخطوبته من ناريمان بعد أن عادت من الخارج، وفى ٦ مايو عقد القران، وبلغت تكاليف الزفاف ٤٨٣ ,٧٣ جنيها، وهو مبلغ كبير بمقياس الفترة الزمنية، ووضعت العروس فى جيدها عقدًا ماسيًا، عُدَّ من أندر حلى العالم، مما أثار الأقوال والانتقادات. ولم يترجم أى شعور عام للفرحة التى ملأت قلوب الناس عند زواجه الأول.

ويبدى السفير البريطانى رأيه لوزير خارجيته فى الزواج، بأنه إذا كانت نتيجته أن الملك سيصلح من سلوكياته، فذلك سيكون مفيدا لمركزه فى مصر، وأنه إذا استمر فى ارتياد النوادى الليلية وصالات القمار العامة، ومغامراته النسائية، فالعاقبة سوف تصبح أسوأ مما لو كان قد استمر دون زواج.

* * *

ومع بداية رمضان (يونية ١٩٥١)، ودون أى اعتبار لهذا الشهر المبارك، أبحر فاروق مع عروسه على اليخت فخر البحار لقضاء شهر العسل - استمر ثلاثة أشهر واثنى عشر يوما - وسبقته حاشيته بالطائرة. ويتعجب السفير البريطانى ويندهش لهذا التوقيت، وعبر لأمين الملك الأول بأن ذلك الشهر هو للتعبد وليس التنزه بالنسبة للمسلمين. فإذا كان هذا انطباعا لرجل إنجليزى، فكيف يكون رد الفعل على الشعب؟

وتنقل الملك والملكة فى أوروبا، ولم يغير فاروق من عاداته فى أثناء الرحلات، وشنت الصحافة الأجنبية حملاتها عليه، وحدثت الأزمات مع الصحفيين. ومما يذكر أن الملكة لم تصاحبه دائمًا فى أماكن لهوه التى اعتاد التردد عليها ليمارس هواياته المعهودة.

ولما كانت عقدة عجزه فيما يتعلق بالسيطرة على فريدة تلاحقه لتعاليها وكبريائها، فقد أحكمها على الزوجة الثانية، التى تقبلت الأوضاع على ماهى عليه، إذ لم تكن تتمتع بقوة الشخصية، بالإضافة إلى رغبتها فى أن تظل ملكة على عرش مصر. وارتفعت تكاليف رحلة شهر العسل بشكل أثار الانتباه، ويبعث السفير البريطانى فى روما إلى حكومته ليصف البذخ والترف فى تلك الرحلة الملكية، ويسجل أن ناريمان أنفقت عشرين ألف جنيه فى نصف يوم بڤينسيا.

وفى ١٥ سبتمبر عاد الملك والملكة إلى مصر، وبعد أربعة أشهر وضعت ناريمان ولى العهد، الذى لم يكتمل له الشهر التاسع فى الحمل، وأرجع فاروق السبب إلى الوراثة من ناحية زوجته، بينما نحت الأقاويل منحى آخر. وجاء الأمير أحمد فؤاد، فى وقت كانت مصر فيه على شفا حفرة من النار، ولم يتحقق لفاروق ما كان يتمناه ويأمله. وفى الحين ذاته، لم يقعده هذا الابن عن مواصلة هواياته.

* * *

وانعكس ما بداخل فاروق من سلوكيات على علاقاته الأسرية، وفترت صلته بأمه،

وسرعان ما ساءت بعد أن أطلقت لنفسها العنان، واتسمت تصرفاته معها بالعنف والشدة، بعد فشله فى أن يجعلها تحافظ على سمعة أبيه، إذ فلت زمامها سواء داخل مصر أم خارجها، وأصبحت حلبة الرقص الأجنبى متعتها، لدرجة أنها كانت تراقص الضباط الإنجليز مما أغضب الملك، الذى ثبتت قلة حيلته ليس فقط عن إرجاعها عن تلك الفضائح، ولكن أيضا أمام فصم عرى علاقتها بأحمد حسنين. وبعد وفاة الأخير، غادرت مصر مع ابنتيها فايقة وفتحية.

وانغمس فاروق فى حياته العابثة، ومضت نازلى تتصرف بهوجائية وتسيُّب فى أمريكا، وتزوجت فايقة من فؤاد صادق أحد رجال القنصلية المصرية بسان فرانسسكو، وكانت تربطهما العلاقة منذ فترة. أما فتحية والتى لم تكن قد بلغت سن الرشد، فزوجتها أمها من رياض غالى - كان كاتبا فى أرشيف القنصلية المصرية بمرسيليا، واصطحبته نازلى معها إلى نيويورك ليعمل سكرتيرا لها - بعد أن أشهر إسلامه.

* * *

وترددت القصص حول ذلك، بأن هناك علاقة ربطت الأم بهذا الشخص، وحتى يستمر بجوارها، أقدمت على هذه الزيجة. وبذلك اتسع غضب الناس، ولم يعد يشمل فاروقا وحده، بعد أن دخلت تحته أسرته، وإن كان قد وجد القليل جدًا الذين تعاطفوا معه، كنوع من الشفقة لما أقدمت عليه أمه، ولكن سرعان ما ذاب ذلك.

وجن جنون فاروق لما حدث، وكان قد قام بمحاولات قبل إتمام زواج فتحية، ليقعد أمه عن المشروع، ولكن دون فائدة. وطلب من السفير الأمريكى العمل على مغادرة رياض غالى الولايات المتحدة، فلم يتحقق طلبه، وأخيراً فإنه استخدم لأول مرة فى حياته وسيلة الترجى والاستعطاف مع أمه، ففشل.

وأمر فاروق بعقد مجلس البلاط، فانعقد فى ١٥ مايو، ٣١ يولية ١٩٥٠، وانتهت اجتماعاته بقرار الحجر على الملكة الأم، وتجريدها من لقبها، والتفريق بين فتحية ورياض غالى، وحرمانها هى الأخرى من لقبها. وبالإضافة إلى توقيع هذه العقوبة، فإن فاروقا قصد كذلك من ورائها أن يكون لها رد فعل على الناس، عندما يدركون حسمه فى مثل تلك الأمور. وقد نقل السفير البريطانى للندن أن أكثر المصريين نقمة عليه إزاء ما يجرى هم المثقفون، الذين خبروا سلوكيات الملك، والتهبت الثورة فى نفوسهم، وسقطت بالمرة هيبة الملكية فى نظرهم. ولم ينل فاروق قصده، حيث أيقن الناس أن كل تصرف يقدم

عليه، فلابد أن يفيد من ورائه، ووجه الاستفادة من العقوبة، أنه سيكون المتصرف فى أموال أمه وأخته، فى وقت شكَّلت فيه الثروة المكانة المتميزة لديه.

* * *

أما عن سلوكيات فاروق مع أخواته، فلم يكن الارتباط وثيقا بهن - برغم أنه قضى طفولته معهن - عدا فوزية التى كانت قريبة منه، ودخلت فى دائرة سياسة القصر، وذلك عندما تزوجت من ولى عهد إيران، كما ارتبط طلاقها بطلاق فريدة. أيضا فقد رضى فاروق عن زواجها من إسماعيل شيرين الذى قربه له، وولاه وزارة الحربية والبحرية ليلة قيام الثورة.

وبالنسبة لعلاقة فاروق ببناته، ففى هذه الفترة شغلته حياته الشخصية عنهن، فهو لا يلتقيهن إلا فى أعياد ميلادهن، كذلك فإن سوء علاقته بأمهن قد أثرت فى داخله، بالإضافة إلى أنه كان يتمنى أن يرى فى إحداهن ذكراً يتولى الحكم من بعده بدلا من الأمير العجوز محمد على الذى يكرهه من كل قلبه.

و فيما يختص بصلاته بالأمراء والنبلاء، فإنها كانت ضعيفة، لم تجمعهم به إلا المناسبات الرسمية، وفقًا لقواعد البروتوكول، وقد ألهته حياته الخاصة، وصراعاته العامة، وطموحاته الكبيرة، عن الالتفات لمثل تلك العلاقات. وبذلك يتبين أن فاروقا لم يعش فى مناخ أسرى متآلف، يربطه الحب والحنان والتفاهم، مما أثر كثيراً عليه.

* * *

وتسلط على فاروق نهم وشهوة وحب المال، وخاصة منذ أن انطفأ توهُّجه، فمضى يلهث وراء الثروة ويجمعها بالطرق كافة، ومثل هذه النوعية من الشخصيات، ترتبط بها - فى كثير من الأحيان - ظاهرة البخل، وقد لازمت الملك، ولكن وفقا لشخصيته المتقلبة، كان أحيانًا يتخلى عنها، حيث ترى أمواله النور فى أمور معينة، تعلقت بهواياته الشخصية.

وسخَّر الملك جميع الوسائل المصطنعة، ليتوسع فى مساحة الأراضى الزراعية التى ورثها حتى بلغت ثمانية وأربعين ألف فدان، عدا أراضى الأوقاف التى وصلت إلى ثلاثة وتسعين ألف فدان. ولما كان ناظرا على الأوقاف، فقد استغل ذلك تمامًا، وراح يفسر الشروط، ويدعى الأرشدية والاستحقاق، لدرجة أنه احتفظ بالوثائق الخاصة بالأوقاف

فى القصر. وحقق مراد محسن ناظر الخاصة الملكية رغبة فاروق فى ضم المزيد من أراضى الأوقاف.

وأصبح فاروق أكبر مالك للأراضى فى مصر، وطبقت تفاتيشه أساليب العمل الإقطاعية، إذ عمل فيها المسجونون، وعمال البلدية، وعمال التراحيل، وفلاحو قرى التفاتيش. وتحول الجميع إلى «عبيد لأرض مولانا»، وبيعت المحصولات الملكية بأعلى الأسعار. ومما يذكر أنه عندما تضم أراض جديدة فى مناطق صحراوية، سرعان ما تمتد إليها الأيدى الفنية، وسواعد الرجال، لتتحول إلى جنة على أرض مصر.

وبجوار الأراضى الشاسعة، امتلك فاروق أربعة وعشرين قصرا واستراحة وركنا، ويخوتا منها يخت المحروسة الذى كلف الدولة الكثير، وافتخر به، وشغل المرتبة الرابعة فى اليخوت العالمية، ويخت فخر البحار الذى باعه للحكومة صوريا واحتفظ به، واليختان فيض البحار، والذهبية ستار، غير اللانشات والقوارب. أيضًا امتلك السيارات الحمراء التى بلغ عددها مائة وثلاثين، منها عشر رولز رويس. كذلك امتلك الخيول العربية والديزل الكهربائى وبعض الطائرات.

* * *

أما عن الذهب، فقد فضل فاروق اكتنازه، لما له من بريق فى عينيه، حتى لقد طلب أن تكون الهدايا التى تقدم فى زواجه الثانى منه، وأسهم أحمد نجيب الجواهرجى فى التنفيذ، إذ أرسل إليه الملك المشغولات الذهبية من القصر، ليوزعها على طالبى شراء الهدايا، الذين بُلِّغُوا بمكان الشراء، وعُلِّل لهم السبب، بأنه لعدم تكرار الهدية، ومن ثم ترد المبالغ المالية لفاروق ومعها بضاعته، ويحصل الجواهرجى على عمولته.

وعلى جانب آخر، هناك مراد محسن ومحمد حسن وكريم ثابت وبوللى، يقدمون النصائح للشخصيات المرموقة فيما يختص بالهدية. فعلى سبيل المثال، يأتى الخبر بأنه يوجد حزام رومانى من الذهب، وطقم ذهبى للشاى، ويحدد المكان وهكذا. وكثيراً ما يكون الذهب مرصعا بالأحجار الكريمة، وبخاصة الماس. هذا بالإضافة إلى هدايا الذهب التى وصلت من الخارج. وكان يتم تحويل المشغولات الذهبية إلى سبائك بعد صهرها فى بدروم القصر، حيث الخزائن الحديدية والمصهر، ثم ترسل إلى الخارج مع العملات الذهبية.

* * *

وعشق فاروق المجوهرات، وعقد الصلات مع تجارها، الذين لاحقوه فى كل مكان داخل مصر وخارجها. وامتلك الأسهم والسندات التى قدرت بحوالى مليونين ونصف المليون من الجنيهات، وتدخل فى شئون الشركات، وأسهم فى مضاربات البورصة، وبخاصة فيما يتعلق بالقطن، وبالطبع دون ذكر اسمه صراحة، وإنما دائمًا عن طريق أفراد حاشيته. وتلهَّف على عقد الصفقات، وتقاضى ما يخصه من عمولات وسمسرة، ولم يرحم التبرعات الخيرية التى جمعت فى أثناء حرب فلسطين، ولهث يبحث عن كل جديد فى عالم الأموال. وهيأت له الحاشية الظروف، وعرف الرأسماليون مثل أحمد عبود وغيره مفاتيحه، وحققوا مآربهم.

وحرص فاروق على أن ترتفع ميزانية الديوان الملكى عاما بعد آخر، حتى وصلت عام ١٩٥١ إلى ١١٤,٣٩٦ جنيها، فضلا عن المخصصات الملكية التى وصلت إلى ١٢٢,٠٠٠ جنيه وحُصِّلت مسبقا وبالعملة الصعبة، كما أدرج للقصور مبالغ فى ميزانية الوزارات المختلفة. وقد تعمد فاروق الإفلات من الضرائب والجمارك على ما كانت تستورده القصور من الخارج، وعندما تنازل عن العرش كان مدينا للدولة بالمبالغ الكبيرة.

* * *

وابتدع الملك الحيل لتهريب الثروات إلى الخارج، والذى أصبح ظاهرة منذ عام ١٩٤٦، وهى السنة التى أهانه فيها الطلبة، حينما داسوا صورته بأرجلهم. وكانت له الحسابات بأسماء سرية فى بنوك بعض الدول الأجنبية، وقد دفعه عدم الاستقرار، والخوف من المستقبل إلى ذلك السلوك، إذ ردد دائمًا مقولته التى تتنبأ بمصير الملكية فى العالم «لن يبقى إلا خمسة ملوك، ملك بريطانيا وملوك الكوتشينة الأربعة». كذلك كان يذكر كثيرا أن الزمان لا أمان له، وأنه لا يضمن أن يكون ملكا فى الغد.

لقد أدرك فاروق بصورة واقعية مدى السخط والاستياء الذى سرى وانتشر بين الناس بسبب تصرفاته الحمقاء. كما كان بوللى شيطانا، حيث لم يتوان لحظة عن تغذية خوف الملك لما يمكن أن يحدث له، ناصحًا إياه بوجوب عمل الترتيب لتأمين مستقبله. وعليه وجد فاروق فى كل ما يستطيع أن يكتنزه، المعين والسند للأيام القادمة، التى لم يعد يضمنها، وبخاصة أنه لم يكن له ذكر يرث عرشه حتى بداية عام ١٩٥٢.

* * *

ومما لا شك فيه أن التفاعلات التى تصارعت داخل فاروق، وأضفت عليه صفات ترجمت إلى سلوكيات، بعضها توارى فى أثناء فترته الأولى، وبعضها تولد وتكاثر وانكشف مع فاروق الآخر، وأصبح معلنًا أمام الجميع، تلك التفاعلات أثبتت كنه شخصيته، بعد أن سيطر عليه حب المظاهر والتمثيل وإخفاء ما يبطن، واختلاق الروايات بناء على اتساع الخيال لأشياء غير واقعية ولم تحدث، والإقدام على تدبير المكائد، وحب الانتقام، وتعذيب الآخرين، والتصرفات الفجائية، والضحكات العالية الرنانة، والمزاح المتزايد، ذلك جميعه، جعله يفقد فى آخر المطاف كل شىء.

* * *

والسؤال الذى يفرض نفسه: هل كان من الممكن أن توأد سلوكيات فاروق المعوجَّة أو على الأقل تُقَوَّم على أيدى الحاشية؟

من المسلَّم به أن المؤثرات الخارجية فى البيئة المحيطة بالشخصية لها دورها عليها، وهو أن يكون إما إيجابيًا وإمّا سلبيًا. ولقد تمكنت الحاشية - ونعنى بها غير المسئولين - من أن يكون لها الموقع المتميز لدى فاروق، وبالطبع فإن أوضاعها اختلفت عما كانت عليه فى عهد فؤاد، ويعود السبب إلى طبيعة الملكين، وطرق تعاملهما معها، إذ إن الفرق واضح بين الشخصيتين فى نواح كثيرة، ويأتى فى مقدمتها صغر سن فاروق، وقلة تجاربه فى البداية، وارتماؤه فى أحضان العاملين بالقصر منذ نعومة أظافره.

وهنا اختارت الحاشية الطريق السلبى، وذلك عندما لمست مع باكورة عهد فاروق نقاط ضعفه، المتمثلة فى هواياته المحببة إليه، والتى وجَّهت سلوكياته، فالتقطتها ونمتها وشجعتها، حتى تمكنت من امتلاك الزمام، والنتيجة ذلك الارتباط الوثيق بين الملك وحاشيته. وقد ساعده على هذا، أنه من المحبب إليه الصحبة والوجود فى وسط الجماعة ولم يكن يتحرك بمفرده إلا قليلا، وذلك فى بداية حكمه. فهو عاشق للحفلات وجلسات السمر والرحلات، والسبب رغبته فى التعويض بعد الانزواء والحرمان اللذين شعر بهما فى أثناء طفولته. وعليه استغلت حاشيته ذلك، وحققت له رغباته، فى الوقت الذى حصدت فيه المزايا لصالحها، فالتصقت به، وروَّحت عنه، وغدت الموصل السريع فى نقل الأخبار إليه، والمنظم الجيد فى الدعاية له، وكثيرا ما أغرته وأضلته، وهيأت وعبدت له طريق سلوكياته غير السوية الذى اجتازه بتفوق.

* * *

وتعددت شخصيات الحاشية ومثل العنصر الإيطالى الأهم فيه، ويأتى بوللى على رأس القائمة، وقد ورثه فاروق عن أبيه، إذ كان يعمل كهربائيًا بالقصر منذ فترة طويلة. وهو يتمتع بذكاء وفطنة ونشاط فائق، ويتقن فن أساليب التعامل، وأدى مهمته باقتدار وفهم وإدراك، حتى وصل به الأمر إلى أن ينادى مليكه بكلمة «شيرى» أى عزيزى، بينما دلَّله فاروق باسم «بلبل»، وذلك بعد أن أصبح مديراً لشئونه الخصوصية، وأنعم عليه بالبكوية، وكانت غرفة بوللى قريبة من الملك، ومكتبه يقع تحت جناحه.

ووكَّل فاروق لبوللى مهمة جوهرية، فأصبح تخصصه فى المقام الأول اختيار المرأة التى تتمتع بمواصفات يفضلها الملك مثل العيون الواسعة، والوجنتين المملوءتين، وكذلك الشفاه، والشعر الذى لا يكون ملسًا تمامًا. وبالإضافة إلى ذلك، فقد شكَّل بوللى ثقلا فى صفقات الملك وعملياته المالية، ومضارباته المريبة. ولما كان كاتمًا للأسرار الملكية، ومرافقا لفاروق فى غدوه ورواحه، فإنه لم يستغن عنه أبدًا، سواء حينما أصرت بريطانيا على إبعاد حاشيته الإيطالية، أم وقت أن ألحت عليه فريدة فى إبعاده.

* * *

ونال بوللى الاهتمام الكبير من الخارجية البريطانية، حيث دارت مراسلاتها العديدة بخصوصه مع قصر الدوبارة من أجل التفريق بينه وبين سيده، ولكن جميع المجهودات ذهبت هباءً، ولم يذعن فاروق ويسلم، ويفك الارتباط الوثيق الذى ربطه به، إلا مع مطالب حركة الجيش فى ٢٣ يولية، وذلك بعد أن أقدم على محاولات لاصطحابه معه، ولكنها باءت بالفشل.

ويأتى بعد ذلك من الإيطاليين، الحلاق جارو Garro ومساعده بيترو Pietro، وقد صاحبا فاروقا فى الملاهى الليلية، وكاڤاتسى Cavatsi مدرب الكلاب، وميلانيزى Milanizi رئيس الفرقة الموسيقية بالقصر، وڤيروتشى Verucci كبير مهندسى القصر، والذى أثر فى الملك فى اتجاهه المحورى إبَّان الحرب. وأحب فاروق هؤلاء، ومنحهم الجنسية المصرية، وأرجع سبب ارتباطه بهم إلى فقدانه السعادة الزوجية.

* * *

والتف حول فاروق الأمناء الخصوصيون - الشماشرجية - الذين يقومون على خدمته فى مكتبه وغرفته الخاصة، وكان أهمهم محمد حسن النوبى، واتصف بالذكاء وسرعة البديهة

وقوة الشخصية، وحظى بالمكانة لدى سيده، فوثق به، وجعله أداة لاتصالاته مع الوزراء حتى لقد أهمل سكرتيره الخاص حسين حسنى. ووصل الأمر لدرجة أن رئيس الديوان لم يكن بمقدوره الاتصال بالملك، إلا عن طريقه، وبلغ نفوذه أنه كان يؤشّر بخطه على الأوراق الرسمية، بل والتكلم باسم مليكه، وقد استفاد من وراء ذلك، حيث دخل فى حيز الصفقات المالية الملكية. أيضا اعتز الملك بالمهرج نصر فضل السودانى الذى كان يقوم بتسليته مع رفاقه.

أما عن محمد حلمى حسين الذى علّم فاروقا قيادة السيارات، فقد رضى عنه، وأوصله إلى رتبة أميرالاى (عميد) بعد أن كان صولا فى الجيش، وذلك دون العرض على لجنة الضباط الخاصة بالترقية، أيضًا منحه البكوية، وعينه مديراً عامًا لإدارة الركائب الملكية، وما لبث أن أصبح مندوبه فوق العادة، وكلّفه بمأموريات سرية وشخصية، حتى إنه شغل مكان الملك فى الموائد الرسمية بالخارج دون مراعاة لقواعد البروتوكول. كما أسهم فى المشتريات من الخارج، ودخل تحتها الأسلحة، وبالتالى كان له النصيب فى العمولات.

* * *

وبخصوص الطبيب أحمد النقيب مدير مستشفى المواساة بالإسكندرية، فإنه عرف كيف يتقرب من فاروق، وبالذات فيما يتعلق بالممرضات الأجنبيات الجميلات، والنواحى المالية، وقد أنعم عليه بالباشوية. أيضًا حسن عاكف ياور الملك الجوى والذى ارتبط به، وكذلك عمر فتحى كبير الياوران، وعبد الله النجومى ياوره والمشمول بعطفه. وبرغم أن الثلاثة الأخيرين لهم وظائفهم الرسمية، فإن فاروقا عدهم من حاشيته الخصوصية المقربة إليه.

وبالنسبة لطبيب الملك يوسف رشاد، فقد نشأت وتوثقت صلته به بعد حادث القصّاصين، وتولى تأسيس الحرس الحديدى، وشاركته زوجته ناهد رشاد، التى دخلت القصر وصيفة للأميرة فوزية، ثم أصبحت كبيرة الوصيفات، وتقرب الملك منها، ومنحها رتبة صاغ (رائد) عقب تطوعها للمساهمة فى معالجة الجرحى فى أثناء حرب فلسطين. وبعد طلاق فريدة غدت الوصيفة الخاصة لفاروق، وربطت العلاقة القوية بينهما، وراودتها الأحلام فى أن تكون الملكة المقبلة، ولكن عندما تزوج الملك ناريمان، انقلبت عليه فى داخلها فقط، واستمرت تمارس تأثيرها القوى عليه، وكان كثيرا ما ينصاع لها. وقدمت مساعداتها إلى مصطفى كمال صدقى، الذى كانت تجمعها به علاقة عاطفية،

وبالتالى استطاعت أن تقوم بخدمات فائقة للضباط الأحرار، وفى الوقت ذاته تنتقم من الملك الذى لم يتوجها ملكة على عرش مصر.

* * *

وكان للعنصر الشامى الأهمية أيضا فى الحاشية، فقد تمتع جهلان - سورى مسيحى - بالمكانة لدى فاروق، لما استفاده ماليا منه، فهو مندوب المشتريات ومورد عام القصور، وقد اتهم فى قضية الأسلحة الفاسدة. كما عدَّ إدجار جلاد - سورى مسيحى - من الشخصيات التى أثرت فى حياة الملك، ولكن بطريقة مختلفة، حيث إن مهنته صحفيا - يصدر صحيفة چورنال دى چيبت والزمان - مثقفا، جعلت فاروقا يحتاج إليه فى الموضوعات السياسية، فاستغل ذلك، وأشاد قلمه بمولاه، وحاول تحسين علاقته بقصر الدوبارة. وبرغم أنه لم يكن عنصرا سيئا للغاية مثل باقى الحاشية، فإنه نال سخط المصريين.

* * *

ويأتى كريم ثابت - لبنانى مسيحى - ذلك الصحفى الذى امتلك الإمكانات التى أهلته ليكون من أهم أفراد الحاشية، ليصبح لصيقا بفاروق مدة عشر السنوات الأخيرة من حكمه. وفى خلال أربع السنوات الأولى، وبناءً على ذكائه الاجتماعى ولباقته وثقافته وامتلاكه مفتاح شخصية فاروق وأبعادها، غدا الأخير لا يستطيع أن يستغنى عنه، فعينه مستشاراً صحفيا للديوان فى مايو ١٩٤٦. وفى العام التالى أضيفت له الإذاعة، وذلك حتى يحقق له الدعاية، وقت أن كان فى حاجة إليها. وفى أثناء العام الذى تلاه، دخلت زوجته وصيفة فى القصر، خلفا لمدام قطاوى، فأصبحت عينا لزوجها داخله.

وغدا كريم ثابت الظل لفاروق فى جميع الأماكن التى يرتادها، سواء أكانت العامة أم الخاصة، ولكن مما يذكر له أنه احتفظ بشخصيته، وجعل الملك يُكنُّ له شيئا من الاحترام. وقد وصل إلى أنه كان حلقة اتصال له مع الرسميين فى الدولة، حتى لقد كاد أن يصبح رئيسا للديوان. كما أرسله مبعوثا ملكيا إلى العواصم العربية، وقد صدق السفير البريطانى عندما كتب لحكومته يقول: «إن الملك فاروقا صار كقطعة الصلصال فى يد كريم ثابت»، وكان ذلك هو الواقع بعد أن بلغ تأثيره على مليكه مداه.

* * *

ونال كريم ثابت المناصب فى عدة شركات، واشترك فى معاملات مالية ومضاربات ووساطات وعمولات، وكانت أشهرها ما كشفه ديوان المحاسبة فى وزارة الوفد الأخيرة - ربطته العلاقة مع الوفديين وبخاصة فؤاد سراج الدين - عن عمولة خمسة الآلاف جنيه الخاصة بمستشفى المواساة بالإسكندرية. وقد وجد الحماية الكاملة من الملك بعد أن فتح له باب الإفادة الملكية، ومن ثم لعبت الأموال بالسياسة جيدا قبيل قيام ثورة ٢٣ يولية.

ووفقًا لشخصية فاروق المتقلبة، فإنه أحيانًا كان يغضب على كريم ثابت، ويبدى رغبته فى التخلص منه، لإدراكه أنه أصبح كتابا مفتوحًا أمامه، ويعرف أكثر من اللازم، ولكن فشلت الخطة، وضحك فاروق مرددا أنه مازال فى عمره بقية. ومما يذكر أن ناريمان دوّت مرارًا فى أذن زوجها ضده، ولكن كريم ثابت كان من الفطنة والدهاء بحيث سرعان ما يستعيد مكانته، لدرجة أن فاروقا كرر محاولته بشأن تعيينه وزيرا، ونجح فى ذلك مع وزارة حسين سرى الأخيرة، مما يدل على تمتعه بالرضا الملكى، والذى اتسعت مجالاته، وخاصة فيما يتصل بالأموال، وكان لكريم ثابت الطرق الذى يسلكها فى هذا السبيل.

* * *

وأخيرا هناك الرأسمالى إلياس أندراوس - يونانى مسيحى - ليرتبط اسمه بالمال الذى يبحث عنه فاروق فى كل مكان، وتأصلت بينهما العلاقة على المائدة الخضراء، وبالطبع فإنه دائمًا يخسر أمام مولاه، ليحقق تخطيطه برغم كونه لاعبا ماهرا. وبالفعل فاز بما يريد، وأصبح عضوا فى مختلف المؤسسات المالية التى تعددت أنواعها، وأفاد منها كثيراً. ومكنته إمكاناته من أن يكون على صلة دائمة بقصر الدوبارة. أيضا عقد أواصر الصداقة مع كريم ثابت، والتى اعتمدت أساسا على الأموال، وذلك ليقضى على أى غيرة منه لتقربه لفاروق، وفى الوقت نفسه ليعمل على المزيد من هذا التقرب لمليكه. ومن ثم كونا ثنائيا، ولعبا بالسياسة فى الفترة الأخيرة من حكم فاروق.

ونفذ أندراوس تخطيطه، وحصل على الباشوية، وعيّن عضواً فى مجلس الشيوخ، وكُلِّلت مناصبه بمنصب جديد، إذ أصبح مستشاراً اقتصاديّا للخاصة الملكية فى أكتوبر ١٩٥١ لإعداد وتنظيم المعاملات المالية الملكية، واختلاق الحيل لتحقيق المكاسب، مما جعل فاروقا راضيا عنه. وأبدى رغبته فى أن يدخل الوزارة مع كريم ثابت، ولكن أرجئت هذه الرغبة إلى حين، ذلك الحين الذى لم يأت أبدًا.

* * *

كانت هذه هى نوعية الشخصيات التى ضمتها الحاشية الملكية، ونفذت إلى أعماق فاروق، وتمكنت باقتدار من أن تؤثر فى سلوكياته، وبالتالى فإنه لم يجد حاشية إيجابية، بمعنى أن تنتزع منه هواياته التى هوت به، أو تقومها بتحويل مسارها وتطويعها لما هو فيه خير له، وما يعكسه ذلك على شعبه. وكما هو معروف فإنه كانت من بين مطالب حركة الضباط يوم ٢٣ يولية إبعاد الحاشية الملكية الفاسدة.

ومنطقيا أن تكون السلوكيات الشخصية لفاروق قد أسهمت بنصيب وا فر فى أن ينأى المصريون عنه، حيث قدَّروا أن تاريخ صلاحيته قد انتهى، منذ أن غدا شخصا آخر غير فاروق الذى كانه إبان فترة توهُّجه. ومن المؤكد أن حياة ذلك الآخر، وما جرى خلالها، كانت الهُوَّة السحيقة النى سقط فيها، وتحولت إلى بوتقة، انصهر فيها الحكم الملكى كلية.

ثامنــا ـ الانهيــــار

تكثَّف نشاط الضباط الأحرار فى أعقاب حل مجلس إدارة نادى الضباط، وتم التبكير بتنفيذ خطتهم، وتوجيه ضربتهم، بعد أن أصبح الأمر قاب قوسين أو أدنى لمعرفة أسمائهم، وبالتالى اكتشاف أمرهم، بالإضافة إلى اعتبارات أخرى وضعت فى حسابهم. واتفق عبد الناصر مع الإخوان المسلمين على توليهم المسئولية، فيما يختص بحماية الأماكن العامة، وطريق القناة حيث وجود القوات البريطانية. وكذلك تم الترتيب مع حدتو اليسارية بالإسكندرية لما للأخيرة من أهمية فى ذلك الحين، فعلى أرضها الملك والحرس والوزارة، وبحرها هو المنفذ للهاربين. ووزعت الأدوار جيداً على العسكريين. وعندما تحرك يوسف صديق مبكراً عن موعد ساعة الصفر - إذ حدث لبس فى التبليغ - فقد خدم التنفيذ.

* * *

وتوالت الأحداث سريعًا، ولم يقدر فاروق خطورة الموقف البالغة. حقيقة أن تحركات الضباط الأحرار أقلقته، ومنشوراتهم أثارته، ولكنه عَدَّ ما يحدث فُقَّاعات هوائية، حيث لازمته مشاعر أن الجيش فى قبضته. ومع ليلة ٢٣ يولية اعتقد أن الأمور استتبت بتولى الهلالى وزارته الثانية، وأن الأزمات المتلاحقة فى طريقها للنهاية.

وكان فاروق قد أقام فى هذه الليلة حفلا ساهراً بقصر المنتزة، احتفاء بإسماعيل شيرين

زوج شقيقته لتوليه وزارة الحربية والبحرية، والذى سيقع على عاتقه سحق تلك الشرذمة المشاغبة من الضباط الشبان المتمردين. وبينما هو يتسامر مع ضيوفه، وصوت الموسيقى يبعث فى المكان الرومانسية، إذ يدخل الشماشرجى محمد حسن ليهدم اللذات، ويبلغ مولاه بما وقع فى القاهرة، وما قام به الضباط من الاستيلاء على مقر قيادة الجيش، فأمر على الفور بالاتصال بالقائد العام محمد حيدر، ورئيس الأركان حسين فريد للوقوف على ما حدث.

* * *

ونجحت مجموعة الضباط الأحرار التى دخلت مقر القيادة فى السيطرة على الموقف، واتبعت أسلوب التمويه، حيث انتحلت صفات الشخصيات الأصلية للقادة فى الرد على التليفون. وحتى الساعات الأولى من صباح ٢٣ يولية، لم يتوقع الملك أن يكون ما جرى أكثر من انتفاضة بسيطة، وذلك بعد أن طمأنه القائد العام، وبين له أن القوات رهن إشارة القائد الأعلى، وذلك بناء على ما تلقاه من معلومات قُصد منها التضليل.

ولم يستمر الأمر طويلا، وعلم فاروق أن هناك بيانا سيذاع مع افتتاح الإذاعة صباحًا، فأمر كريم ثابت بمنع إذاعته وتفكيك المحطة فى الحال. ولكن سبق السيف العزل. ووفقًا لتحركات الضباط الأحرار، أسرع أحدهم، وهدد القائمين بالعمل بالسلاح، وأدار المحطة. وفى البداية رأى فاروق أن يقاوم، ويقضى على هذا التمرد، وذلك بترتيب التحرك الجوى إلى أنشاص. أيضًا وضع فى حسبانه إمكانية الهرب، ولكنه فشل نتيجة لكوردونات الجيش التى أحاطت بقصر المنتزة.

* * *

وحصل رئيس الوزراء من الملك على تفويض لمعرفة مطالب الثائرين، ومن ثم طلب من قائد الحركة تأجيل إذاعة البيان، ولكن لم يُلْتَفَت لذلك، وأذاعه أنور السادات فى السابعة والنصف صباحًا باسم محمد نجيب الذى أعلن نفسه قائدًا عامًا للقوات المسلحة. ولم يتعرض البيان لفاروق بكلمة صريحة، وإنما أشار إلى الرشوة والفساد، وعدم استقرار الحكم، وهزيمة فلسطين والخيانة، وبين دور الجيش وهدفه، وطالب بالتزام الهدوء والسكينة، وطمأن الأجانب على أرواحهم ومصالحهم.

وامتلأ قلب فاروق خوفا ورعبا، وهنا لم يجد أمامه إلا أن أدار قرص التليفون ليطلب

السفير الأمريكي لينقذه مما ينتظره، ولكن كافرى ـ بعد أن تحددت السياسة الأمريكية والتى اتفقت مع زميلتها البريطانية بأنه لا أمل فى استمراره على العرش ـ هدأ من روعه، وأفهمه أن تدخله سيكون محدوداً، ويقتصر على سلامته وأسرته فقط. وعلى الفور اتصل كافرى بالسفير البريطانى الذى أيده فى رأيه، مؤكداً على أن ما حدث مسألة داخلية بحتة.

* * *

وفى الوقت نفسه، كان محمد نجيب قد أبلغ المسئول البريطانى ـ عن طريق عضو من السفارة الأمريكية ـ أن حركة الجيش داخلية، ولها مطالب تريد أن تحققها، وهى حريصة على حماية الأجانب وممتلكاتهم، وأوضح له أن أى تدخل للجيش البريطانى سيقاوم. وقد أوصل على صبرى التبليغ ذاته للسفير الأمريكى عن طريق مساعد الملحق الجوى العسكرى الأمريكى، كذلك كان لعبد المنعم أمين الدور فى إخطار السفارة الأمريكية بقيام الحركة وأبعادها. لقد أيقن قادة الجيش أهمية واشنطن، وكيف أنها تمتلك مقدرة الضغط على بريطانيا، لمنعها من القيام بأى عمل مضاد، مثلما حدث قبل ذلك، حيث استحضروا أمامهم تدخلها وقت الثورة العرابية؛ وما أقدمت عليه يوم حادث ٤ فبراير.

* * *

وأصبحت روافد الاتصالات تصب لدى السفير الأمريكى ـ حقيقة أن المسئول البريطانى كان له الدور الإيجابى، ولكنه جاء فى المرتبة الثانية ـ الذى تمكن خلال الأيام الأربعة (٢٣ ـ ٢٦ يولية) أن يكون رجل الموقف، ويتحرك فى الاتجاهات المعنية، ويُنفِّذ السياسة الأنجلو أمريكية، فيطلب منه القائم بالأعمال البريطانى الاتصال بالملك وإعلامه بأن قائد القوات البريطانية فى منطقة القناة يضع أمام عينيه ما يجرى فى القاهرة، ومع هذا، فإنه يعتقد أن لندن لن تُقدم على عمل عسكرى، وعليه أن يهدئ من روع الملك، لأنه إذا حافظ على هدوئه، ربما يتخطى الأزمة، وأشار كريزول Creswell إلى أن فاروقا مازال يمكنه الاعتماد على البحرية ـ لم يكن للضباط الأحرار مندوبون فى السلاح البحرى ـ واتفق الطرفان على عدم التدخل.

وتوافق الخارجية البريطانية على ذلك، لتجنب النتائج الخطيرة، وترى أنَّه على الملك أن يتفق مع قائد الحركة، ويحقق طلباته. وينعقد مجلس الوزراء البريطانى، ويؤكد وزير الدفاع أن الوضع حساس، ومن الضرورى إقصاء أى عمل يثير الجيش المصرى، وكرر أن

يكون التدخل فى حالة وجود مخاطر على أرواح البريطانيين أو مصالحهم. ووافقه المجلس على رأيه.

* * *

وتجرى الاتصالات بين واشنطن ولندن، وتؤكد الأولى للأخرى على عدم تدخل القوات البريطانية لصالح الملك، أى للدفاع عن عرشه، لأنه فقد الاحترام، وفى الوقت نفسه تذكر أنه فى حالة وجود لون أحمر، بمعنى علامة شيوعية لتحرك سوفيتى، يكون التدخل الفورى للقوات البريطانية. وكان ذلك تحديدًا قاطعًا لموقف العاصمتين.

وفى منطقة القناة، ذهب أحد الضباط البريطانيين إلى القائد المصرى الذى اتصل به محمد نجيب فى الحين ذاته، وطلب منه التحدث مع هذا الضابط، والاستفسار عما ستقوم بعمله القوات البريطانية إذا طلب الملك تدخلها، فلم يعطه إجابة شافية. وهنا رد عليه بأنه لن يكون هناك تدخل لإنقاذ فاروق من الوحل الذى وضع نفسه فيه. وتحرك كريزول، وبعث بمساعد الملحق العسكرى وبعض أعضاء السفارة من الإسكندرية إلى القاهرة، حيث التقوا مع مجموعة قيادة الحركة الذين شرحوا لهم الأهداف التى تنصب على تطهير الجيش، والقضاء على الفساد.

* * *

وكانت المرحلة الثانية فى خطة حركة الضباط الأحرار، إسقاط وزارة الهلالى، وتعيين وزارة ترأسها شخصية مدنية قوية وتقليدية، تؤيد ما حدث، ولا تلقى اعتراضا من المصريين، وأيضًا تمتلك المواجهة التى تحمل طابع الاعتدال مع الملك، مما يعطى له الأمان، وحتى لا يستعين بالقوة الأجنبية المرابطة قريبًا من القاهرة. ووقع الاختيار على علىّ ماهر، ذلك السياسى العجوز المحنك، ورجل الأزمات، بالإضافة إلى العلاقة الطيبة التى تربطه بمحمد نجيب.

وبعد أن تأكد فاروق من عدم تدخل القوات البريطانية للقضاء على الحركة، راح يشكو للسفير الأمريكى من الإنجليز تارة، ويهاجم ضباط الحركة تارة أخرى، عله يتمكن من استدرار عطفه عليه، ولكن كان الأمر مفروغا منه بأنه لم يعد يصلح للحكم.

وقبل على ماهر توليه الوزارة، بشرط أن يكون تكليف تشكيلها بأمر ملكى، وحمل

المطالب الأربعة لحركة الضباط لعرضها على فاروق، والتي كان لها طابعها السطحى، وذلك وفقًا للخطة، وشملت: تعيين محمد نجيب قائدًا عامًا للقوات المسلحة، بعد إعطائه السلطة لإحالة ستة وخمسين من كبار الضباط إلى المعاش، والذين اعتقلتهم الحركة، وحل الحرس الملكى، وفصل بوللى ومحمد حلمى حسين ومحمد حسن ويوسف رشاد وحسن عاكف وكريم ثابت وأندراوس.

* * *

مما لاشك فيه أن فاروقا كان فى موقف لا يحسد عليه، حقيقة أنه سبق ومر بظروف صعبة، عندما وقع حادث ٤ فبراير، ولكن هذه المرة، فإن المصريين الذين هم سنده فى صراعه مع الإنجليز، تحولوا ضده وثاروا عليه. وبرغم عناده وتسلطه، وأمام الموقف الذى وجد نفسه فيه، فإنه أجرى محاولة مع قائد الحركة، رأى فيها أنها ربما تنقذ الموقف، فأرسل إليه مصطفى صادق ضابط الطيران السابق، ومدير شركة سعيدة للطيران، وعم زوجته، ليبلغه أنه على استعداد لتنفيذ مطالبه، فى مقابل حضوره واستعطافه، فرفض محمد نجيب، فأسقط عنه الاستعطاف، فرفض مرة أخرى، فعرض عليه تشكيل حكومة عسكرية، فلقى الإجابة نفسها. كما أجرى مرتضى المراغى محاولة من جانبه، فاستنجد بالقائم بالأعمال البريطانى ليتدخل، وصور له المخاطر المتوقعة، وضغط على الوتر الحساس مبينًا أن حركة الضباط تضم الشيوعيين والإخوان المسلمين، ولكنه لم يجد أذنا صاغية، وباءت محاولته بالفشل.

ودخلت القاهرة ومداخلها تحت سيطرة حركة الضباط، التى امتدت إجراءاتها للإسكندرية، وأنيط بالطيران أكثر من مهمة: أن يستكشف أى تحرك للقوات البريطانية، وأن يكون فاروق تحت الأنظار حتى لا يهرب، وأن يؤثر فى القصر والحكومة تأثيراً معنويًا سلبيًا.

* * *

وقدم الهلالى استقالته للملك، وفى صباح ٢٤ يولية، قابل على ماهر الملك، وعرض عليه مطالب حركة الضباط، فتمسك بأفراد حاشيته السبعة، مرددًا أنه لا يقبل التدخل فى شئون من اختارهم لخدمته. وحاول على ماهر إقناعه بالدور السيئ الذى لعبوه، وأنهم من الأسباب التى هوت به، واستعرض الأسماء، ووصم كل واحد منهم بما كان يفعله،

وما سببه له من إيذاء، ولكنه أصر على رفضه. وقبل استقالة الهلالى، وأصدر أمره إلى على ماهر بتشكيل الوزارة، وأشاد بقدرته، وكيف أن الظروف التى تمر بها مصر تحتاج إليه، حتى يدرأ عنها شرور الخلف والانقسام، وحمَّله أمانة الحكم، واعتمد رئيس الوزراء فى اختياره لوزرائه على المستقلين لما تتطلبه الظروف القائمة. وما لبث أن عاود على ماهر فى الإلحاح على فاروق بشأن الطلب الخاص بالحاشية، فرفض أيضًا، وفى تلك الأثناء، قدم كريم ثابت استقالته.

وطلبت واشنطن ولندن مرة أخرى من سفارتيهما فى مصر، الاتصال بقائد الحركة، والتنبيه على حماية الرعايا الأجانب، وزيادة فى الاحتياط، عاد السفير البريطانى سيتفنسون إلى مصر على الفور، ووضعت القوات البريطانية فى حالة تأهب، خوفًا من أن يصاب الأجانب بأذى فى غمرة فرحة الجماهير بما يقع من أحداث.

* * *

كانت مسألة عزل فاروق عن العرش فى خطة الضباط الأحرار، لكنهم أخفوها فى البداية تحسبًا من الفشل، ولم يكن ذلك ببعيد، حتى لقد صرح عبد الناصر قبيل الحركة مباشرة، بأنه إذا أخفقت، وصدر حكم الإعدام على أصحابها، فإنهم سوف يكونون قد مهدوا السبيل لغيرهم، ليعرفوا طريق الثورة. ولكن عندما نجحت أولى خطواتهم، فضلا عن اطمئنانهم لعدم التدخل الأجنبى، أقدموا على التنفيذ. ومضى عبد الناصر وزكريا محيى الدين فى وضع خطة العزل، والسيطرة على الإسكندرية، فى وقت أعلن فيه محمد نجيب أن الحركة ملتزمة بما نص عليه الدستور بأن مصر ملكية دستورية، وأنها حركة غير سياسية، وهدفها تطبيق الدستور، وعدم تدخل الطفيليين - المقصود الحاشية - لأن جميع المتاعب التى أصابت مصر بسببهم.

* * *

ومع طلوع فجر يوم ٢٥ يولية، قرر فاروق الانتقال من قصر المنتزة إلى قصر رأس التين، وهو المقر الرسمى للملك، لأن الأول يعد هدفا ميسورًا من الجو. أما الآخر فإن القوة الأساسية للحرس، والقوات البحرية، وخفر السواحل، والميناء والمحروسة، من أدواته، كما أنه المكان الذى يمكنه من الهرب على يد المعونة الأجنبية.

وغادر فاروق قصر المنتزة، وقاد السيارة بنفسه، وجلس بجواره ياوره الجوى حسن

عاكف، وخلفه ناريمان، وولى العهد، ومربيتاه، وتبعته سيارة أخرى بها بناته والمربية. ووصل إلى قصر رأس التين، وتحصن به، واتصل بكافرى طالبا منه النجدة السريعة عن طريق طائرة حربية أو سفينة حربية لنقله مع أسرته خارج مصر.

وقبل أن يصله رد السفير الأمريكى، طلب قائد بوليس القصور وقائد اليخوت، وارتدى سترته البحرية، وحضَّر نفسه وأسرته للمغادرة، وتحدث مع القائدين، فبين له الأول أفضلية تحقيق طلب حركة الضباط فيما يختص بالحاشية، وأوضح له الآخر أن المحروسة يصعب استخدامها، لأنها غادرت مرساها فى اليوم السابق، حيث رست الشمندورة فى الميناء الخارجى، ومُنعت الزوارق والعائمات من الاقتراب منها، بالإضافة إلى صعوبة الإفلات من المدفعية الساحلية.

وجاء رد كافرى على فاروق، وحث على ضرورة التزامه الهدوء، وأن عليه ترك الخوف جانبًا، واستخدم تأثيره ليعدل الملك عن فكرة الرحيل، وطمأنه على حياته وأسرته، وأنه لن ينالهم الأذى.

* * *

ومرة أخرى تُعاود الاتصالات بين لندن وواشنطن، والتى يتضح منها خشيتهما من إعلان جمهورية متطرفة، يُعزى قيامها للشيوعية. وتستفسر الخارجية الأمريكية من المسئولين عما إذا كانت هناك سفن حربية قريبة من مصر، وتسأل السفير البريطانى فى واشنطن عن الشىء نفسه بالنسبة للسفن الحربية البريطانية. وبذلك يتبين أن أعماق حركة الضباط لم يسبر غورها أحد، وبالتالى لم تكن غير صناعة مصرية.

وينقل كريزول لحكومته فحوى حديثه مع رئيس الديوان، والذى ذكر فيه الاحير أن محمد نجيب رجل نزيه، ولكنه غير داهية، وأنه ليس القائد الحقيقى للحركة، والموقف فى أساسه يعتمد على صغار الضباط، لأنهم المحرضون الحقيقيون لها.

ويعود القائم بالأعمال البريطانى، ويلتقى برئيس الوزراء الذى يشرح له الصعوبات التى يواجهها مع الملك بشأن الحاشية، وأنه أخيرًا وافق على مضض، إذ ضغط عليه الجميع، وبخاصة أخته فوزية وزوجها إسماعيل شيرين، عن طريق الإقناع بأن التشدد سيكون له النتائج الوخيمة، بعد أن أصبح الوضع خطيرًا. ورغب فاروق فى عدم فصل

السبعة المطلوب إبعادهم، وإنما إحالتهم إلى المعاش - تعثر الأمر كثيراً أمام بوللى - وانتهت المسألة بتقديمهم الاستقالة ومعهم رئيس الديوان.

* * *

وشكا على ماهر لكريزول من إجراءات قيادة الحركة فيما يختص بالاعتقالات الجارية، والتى دخل تحتها مصطفى وعلى أمين لصلتهما بالقصر، وقال إن القائد الحقيقى للحركة هو أنور السادات، وأن الملك يَعُدُّه مجرما. وقد اعتمد على ماهر فى ذلك على الانطباع الذى خرج به عنه فى اللقاء الذى جرى بينهما أثناء عرض الوزارة عليه، وكانت ظروف أنور السادات السابقة هى التى أعطت له ذلك الإيحاء.

وأحكمت حركة الضباط سيطرتها على الإسكندرية، وينقل القنصل الفرنسى العام مشاهداته فيما يتعلق برد الفعل على الناس، وكيف أن ما يحدث يلقى الترحيب والفرحة منهم، فيذكر أنه حينما عبرت قوات الجيش الأحياء الشعبية، وفى الأماكن التى رابطت فيها، أحيطت بالجموع التى راحت تهتف للجيش وقائده محمد نجيب، وتسب وتلعن فى الملك بأقذع الألفاظ. وكان ذلك رد فعل طبيعيا ليس فقط للمشاعر العدائية لفاروق لما وصل إليه من إنحدار، ولكن أيضًا للرغبة فى التغيير بعد أن تدهورت الأوضاع بصورة سيئة.

* * *

وفى مساء ذلك اليوم (٢٥) وصل محمد نجيب ومعه ستة من الضباط منهم أنور السادات إلى الإسكندرية، لتنفيذ المرحلة الأخيرة من الخطة، وهى عزل فاروق. وتقرر أن يُقَدَّم له إنذار التنازل عن العرش فى اليوم التالى.

وداخل ثكنات مصطفى باشا (كامل) دارت مناقشات حامية الوطيس، استمرت من التاسعة مساء إلى الثانية من بعد منتصف ليلة ٢٦ يولية، إذ فجَّر جمال سالم مشكلة مصير الملك بعد تنفيذ قرار مجلس القيادة بعزله، وأظهر تحمسه مطالبا برأسه عقب عقد محاكمة عاجلة له، وأيده عبد المنعم أمين وزكريا محيى الدين، وبخاصة أنه فى أثناء حركة الاعتقالات التى جرت، عُثر على وثيقة تفيد بأن الملك أمر أفرادا من البوليس السياسى، بترتيب قتل بعض البريطانيين المشهورين على أساس أن ذلك يُرغم القوات البريطانية على التدخل، إذ كان يتشوق لسحق هذه الحركة بأية طريقة. وذلك مما زاد من الرغبة فى الانتقام منه.

وعارض محمد نجيب وأنور السادات ويوسف صديق وحسين الشافعى مسألة استخدام العنف ضد فاروق، واستقر الرأى على أن يسافر جمال سالم إلى القاهرة، ليقف على رأى باقى الأعضاء، وعاد ليحمل معه رسالة من عبد الناصر تقول: «ليذهب فاروق إلى المنفى، ويُترك للتاريخ يحكم عليه».

* * *

وتعددت الأسباب لهذا المنحى، فقد كان هناك حرص على عدم إراقة الدماء، وإضفاء السمعة الطيبة على الحركة المباركة، وإسقاط صورة الانتقام التى تفرض نفسها على أى انقلاب. كذلك فإن قادتها لم يكونوا قد تأكدوا تماما من التأييد الشعبى لهم، اللهم تلك التجمعات التى ردَّدت الهتافات المؤيدة، وهذه البرقية التى بعث بها أعضاء هيئة التدريس بجامعة فاروق الأول (الإسكندرية) يباركون فيها حركة الضباط، وعليه فإنهم خشوا من الإقدام على إجراء عنيف ضد الملك، يُنفِّر الناس منهم، مهما كانت درجة كره هؤلاء له، لما يتفق ذلك مع طبيعة المصريين العاطفية.

وبرغم هذا، فإنه يأتى فى المقام الأول أن المسئولين عن الحركة، وضعوا فى حساباتهم منذ البداية إمكانية التدخل الأجنبى سواء البريطانى أم الأمريكى. حقيقة لقد حدث تدخل، ولكن بصورة مختلفة عما خشى منه القادة، حيث أبدى كافرى الرغبة الأكيدة فى عدم المساس بشخص الملك وأسرته الصغيرة، وأيَّده زميله المسئول البريطانى. ومن ثم تجمعت الأسباب، وانتصرت الرؤية المعتدلة حول مصير فاروق.

* * *

وما أن أشرقت شمس يوم ٢٦ يولية، إلا وكانت القصور الملكية الأربعة فى القاهرة والإسكندرية، قد أحاطتها القوات المسلحة، ورابطت الأسلحة الثقيلة على المنافذ، وحلَّت الطائرات فى السماء، ووجهت فوهات المدافع نحو قصر رأس التين مقر فاروق، وشُدِّد الحصار حوله، وظلَّت سماؤه بسرب من القاذفات، وأغلق الميناء والبوغاز، واستكملت الاحتياطات، واتخذ الحذر من أى خطر سواء كان داخليا أم خارجيا، وعُمِل على الحيلولة دون هروب الملك، وإجباره على التنازل عن العرش. وفى الوقت ذاته كانت دبابات قوات الجيش قد احتلت مواقعها فى ميادين الإسكندرية،

وطافت سيارات الجيش اللاسلكية بالشوارع، تنقل الأخبار لمقر القيادة فى ثكنات مصطفى باشا.

ورد فاروق على ذلك، فأمر بتحصين القصر، بعد أن تجمع فيه الحرس الملكى، كما تأهبت فصيلة سودانية كاملة للدفاع عنه، وتثبتت المدافع الرشاشة عبر الممرات، ونُصبت أخرى فى الحديقة، وجرى تبادل قصير لإطلاق النار بين قوات الحرس والقوات المحاصرة، بدأ من القصر، وأسفر عن مقتل شخص من كلا الجانبين، وجرح العدد البسيط، واعتقال عبد الله النجومى. وما لبث أحد ضباط الحرس أن توجه إلى قائد القوة المحاصرة، رافعًا العلم الأبيض، فأصدر القائد أمره بوقف إطلاق النار، وتم الاستسلام.

* * *

وفزع فاروق مما حدث، واتصل برئيس الوزراء الذى حضر على عجل، وهدّأه، مصرحا له بأن الأمور ستنجلى فورا، وأنه على موعد مع محمد نجيب. وفى الحين نفسه استغاث الملك بالسفير الأمريكى، وطلب منه سرعة المساعدة، وبين له أن القصر محاصر، وطلقات الرصاص تدوى، فما كان من كافرى إلا أن اتصل بعلى ماهر، وطلب منه وقف إطلاق النار، فرد عليه بأنه أوقف بالفعل. ونقل السفير الأمريكى انزعاجه لمحمد نجيب، وعبر عن تبرمه لما حدث، وأنه يتنافى مع تأكيداته بشأن سلامة فاروق، وأنه ليس من مصلحة أحد السماح بأحداث مؤسفة، طالما أنها تخص شخص الملك. وهنا أكد القائد العام مرة أخرى بأنه لن يحدث أى ضرر له، وأن ما وقع جاء نتيجة سوء فهم، حيث كان الحرس الملكى هو البادئ بإطلاق النار.

* * *

وكان رئيس الوزراء قد استقبل فى التاسعة صباحا القائد العام والذى كان بصحبته أنور السادات وجمال سالم، إذ سلمه محمد نجيب إنذار الجيش، ويقضى بتنازل الملك عن العرش لصالح ولى عهده أحمد فؤاد فى ميعاد غايته الظهيرة، وأن يغادر مصر بالطريقة التى يختارها فى السادسة مساء، وفى حالة رفضه، فإنه يتحمل المسئولية الكاملة. ورأى على ماهر أن الإنذار يحمل الاستفزاز، وأبلغهم أنه سيعتمد على وسائل إقناع فاروق شفويا، وأنه لن يُقَدِّم له الإنذار، إلا إذا أصر على عدم التنازل.

وتوجه على ماهر إلى القصر فى العاشرة والنصف صباحا، وترك الإنذار فى السيارة. ودخل على فاروق فى مكتبه، فوجده غاضبا وحزينا، فحاول امتصاص ذلك- وكان له الدلال عليه منذ باكورة حياته- وعرض عليه الأمر، وهنا استشاط غيظا، وارتفع صوته فى كبرياء وتعال، معلنا أنه سيقاوم، ولديه القوة والقدرة اللتان تمكنانه من التحدى والتصدى لما يحدث. فتلطَّف معه رئيس الوزراء، وامتص من ثورته، وبين أن ما يردده سوف يؤدى إلى حرب أهلية هو لا يرضاها لمصر من ناحية، وأن الشعب الذى اعتمد عليه فى الماضى قد تفاقم سخطه، ولن يقف أحد بجواره من ناحية ثانية، وأن المصلحة الخاصة بضمان العرش لولى العهد يجب أن توضع فى الحسبان من ناحية ثالثة. وبالتالى فإن الوضع لا يؤهل على الإطلاق للمقاومة، ومن ثم فلابد من الإذعان.

* * *

وامتثل فاروق بصعوبة وعلى مضض، فى وقت وصل فيه إلى القصر سكرتير السفير الأمريكى الخاص، ليبلغه تأكيدات محمد نجيب بأن حياته وأسرته فى الحفظ والصون، فروى له ما حدث بشأن الإنذار، وأنه أصبح لاخيار له، وبدا عليه التأثر البالغ والتسليم بالأمر الواقع مصرحا بأن القدر فرض عليه الإذعان وتنفيذ المطلوب، وطلب من المبعوث الأمريكى أن يبذل سفيره جهده للمحافظة على سلامته، وأن يكون فى توديعه عند السفر.

وعاد كافرى وأرسل رسالتين لقائد الحركة، تختص بترتيبات خروج فاروق، كما ذهب كريزول للقائه، فقال له إنه سيحقق رغبته فى حقن الدماء والمحافظة على أرواح الأجانب، فأجابه بأن حكومته تتمنى ألا يكون هناك تدخل، وأن القوات البريطانية فى حالة تأهب، وأشار إلى أنه إذا كان رحيل الملك يتبعه فراغ دستورى، دون الإعلان عن الوصاية والإبقاء على الملكية، فإن حالة خطيرة سوف تنشأ، ومن الممكن أن تؤدى إلى إراقة الدماء. بمعنى أنه أراد استقرارًا للأوضاع فى ظل النظام القائم، وهو ما كانت تؤكد عليه بريطانيا دائمًا. ثم عاد القائم بالأعمال البريطانى، واتصل مرة أخرى بمحمد نجيب، ليكرر ويؤكد عليه الاهتمام بسلامة الملك وأسرته. وكان ذلك كل ما حصل عليه فاروق من الإنجليز بعدعلمه أن التدخل لبقائه على العرش أصبح أمرًا مستحيلا.

وكان فاروق قد اتصل بالقائم بالأعمال البريطانى وأخبره بالإنذار، وأكد على طلبه المساعدة فى إنقاذ حياته، فطمأنه عليها، ووعده بالتنفيذ. واستقبل رئيس الوزراء كريزول الذى تحدث معه بشأن تأمين خروج فاروق سالما، فأعلمه على ماهر أن هناك بعض صغار الضباط المتهورين الشغوفين بضرب عنقه. كذلك استقبل على ماهر السفير الأمريكى الذى سلمه رسالة حكومته، وعدت بمثابة تنبيه مهم بمنع أى عمل مضاد للملك. وعليه يكون فاروق قد ضمن إنقاذ نفسه وأسرته، ومضى فى الإعداد للسفر.

* * *

وجرى الحديث بين فاروق ورئيس وزرائه حول طريقة السفر، وخيَّره الأخير بين السفر جوا أو بحرا، ففضل الأخير، لاعتياده عليه، وأن يبحر على المحروسة، ذات المكانة لديه، بالإضافة إلى أنها هى التى أقلَّت جده الخديو إسماعيل عقب عزله إلى منفاه فى إيطاليا. أيضا فإنه خشى ركوب الطائرة التى من السهل أن تقذف وتهوى أو تنفجر فى السماء.

وأبدى فاروق رغباته لرئيس وزرائه، بأن يصطحب معه زوجته وولى عهده وبناته، وطلب أن يحافظ على كرامته فى وثيقة التنازل، فذكر له على ماهر أنها ستكون على مثال الوثيقة التى تنازل فيها ملك بلچيكا عن العرش. وقبل أن يغادر القصر، قال له الملك إنه يريد رؤيته مودعا، فتأثر كثيراً، وبين أنه ستجرى له جميع مراسم التوديع المعتادة لمغادرته البلاد، ولكنه اعتذر عن أن يحقق له ما يريده، بشأن مرافقة مدمرتين مصريتين للمحروسة أثناء إبحارها، وأفهمه أنه سيقنع قائد الحركة بتوديعه، وأخيراً أوصى فاروقا بالمحافظة على موعد السفر، وأنه سيرسل له وثيقة التنازل.

ووفقا لما أبداه القائم بالأعمال البريطانى، قام الملك بالتوقيع على أمر ملكى، اختص بمجلس الوصاية على ولى العهد، وشكَّله من الأمير محمد عبد المنعم وشريف صبرى وعلى ماهر - تغير الأخيران فيما بعد - وأنه فى حالة رفض الأول، يحل مكانه إسماعيل شيرين. وأحطيت الأسماء بالسرية إلى أن يحين وقت إعلانها.

* * *

وأعد عبد الرزاق السنهورى وثيقة التنازل عن العرش، ووافق عليها محمد نجيب، ووُضعت فى صورة أمر ملكى حمل رقم ٦٥ لسنة ١٩٥٢، وصدر فى ٢٦ يولية، واشتمل

على أن فاروقا يطلب الخير والسعادة والرقى لأمته، وأن لديه الرغبة الأكيدة فى تجنبها المصاعب فى الظروف الدقيقة التى تمر بها، ومن ثم فإنه نزولا على إرادة الشعب، قرر التنازل عن العرش لولى عهده الأمير أحمد فؤاد. وكان جمال سالم صاحب اقتراح إضافة عبارة «نزولا على إرادة الشعب». وتم تكليف سليمان حافظ بتوقيعها من الملك.

وانتقل المكلَّف إلى القصر، مصطحبًا معه صلاح الشاهد مدير المراسم برئاسة مجلس الوزراء، واستقبله الملك الذى كان يرتدى سترة القائد الأعلى للقوات البحرية، وسلَّمه الوثيقة. وعُدَّ هذا الموقف من أصعب الأوقات العصيبة لفاروق. حقيقة أنه كانت له تجربة فى حادث ٤ فبراير، لكن وقتها كان أمامه الاختيار، أما هذه المرة، فقد وضع أمام الأمر الواقع، ولم يعد مصيره بيده، وإنما فرضه عليه المصريون وليس غيرهم.

* * *

وقرأ فاروق وثيقة التنازل أكثر من مرة، وأراد إضافة كلمة «وإرادتنا» عقب العبارة التى سبق أن أضافها جمال سالم، فأقنعه سليمان حافظ بأن الصياغة جاءت فى صورة الأمر الملكى، وبالتالى فهى تحمل هذا المعنى. وحاول الملك أن يبدو بصورة هادئة، ومعروف عنه أنه كثيراً ما يبدى غير ما يبطن. ولم يتسرع فى التوقيع، ثم وقع مرتين، وفسر البعض ذلك بأنه يرجع إلى انفعاله، بينما سجل صلاح الشاهد ـ وهو صاحب الخبرة ـ أن العادة جرت على أن يوقع الملك فوق اسمه، ثم يوقع تحت الأمر الملكى. وبالاطلاع على الوثيقة، تبين أن هناك توقيعا على اسم فاروق الذى هو فى بداية الأمر الملكى، وتوقيعا آخر بعد نهاية الأمر، واللافت للنظر وجود شىء من الاختلاف بين التوقيعين.

لقد عاش فاروق فى توقعات إجباره على التنازل عن العرش فيما سبق، ولكن حدوث الفعل مثَّل مصيبة كبيرة له، وبرغم أن حياته أنقذت من الإعدام، وهو ما كان يمكن أن ينفَّذ، وأن ما وقع يعد أهون بكثير، فإنه لم يكن من السهل على الإطلاق أن يتنازل ملك عن ملكه الذى ورثه عن آبائه وأجداده.

* * *

ولم يتبق من الزمن إلا ساعات قليلة على رحيل الملك السابق، تم فيها التجهيز للسفر، وبلغت الصناديق والحقائب التى أعدَّت ليصطحبها فاروق معه، حوالى المائة والخمسين ـ وقد اختلفت الأقوال حول العدد ـ ولم يتمكن من نقل متعلقاته الشخصية التى كانت فى

كل من قصور عابدين والقبة والمنتزة، ولكنه أرسل بوللى إلى القصر الأخير، فأحضر حقيبتين، وكان شغوفا بهما، ومما يذكر أنه عقب سفره مباشرة صرح بوللى بأن بهما سبائك ذهب، مما أثار قادة الحركة، وفكروا فى محاصرة المحروسة بطائرات حربية، وإعادتها للإسكندرية، ولكن تدخل القائم بالأعمال البريطانى على الفور، ومنع ذلك حتى لا يتعرض فاروق لأى خطر، وذكر أن مثل هذا العمل سيكون غير مهذب، ويسبب انطباعا سيئا عن حركة الضباط فى الخارج، ويبين أنه يمكن بعد وصول الملك المخلوع للجهة المقصودة، إجراء اتصال دبلوماسى مع إيطاليا - بعد التأكد من توجهه إليها - لإعادة السبائك مع المحروسة. ولم ينفَّذ هذا الاقتراح، ونشر تكذيب لما صرح به بوللى. ولكن ليس معنى هذا النشر النفى، وإنما هى سياسة اتبعت لعدم إثارة المشكلات التى كانت واشنطن ولندن تحذران منها.

وأعد الغداء الملكى الأخير، ليتناوله فاروق، واستعد للرحيل، مرتديا الزى البحرى، وكان قد أرسل إلى صافيناز (فريدة) يبلغها أن بناتها سوف يسافرن معه، ولكن الرسالة وصلتها متأخرة، ولم تحضر لتوديعهن. وجلس فاروق مع أختيه فوزية وفايزة وزوجيهما وأصيلة هانم والدة ناريمان.

* * *

ووصل إلى القصر على ماهر وكافرى وسكرتيره فى الساعة الخامسة بعد العصر، واستقبلهم فاروق وتحدث مع السفير، معبِّراً عن أمله فى ألا يكون ما قام به فى الصباح ما يسبب له إزعاجا لدى حكومته، فأجابه بأن شاغلها هو سلامته. ويكتب كافرى لواشنطن ليبين أن فاروقا ذكر له أنه لم يهرب، وإنما أرغم على مغادرة البلاد. ويصور السفير حالته بدقة، ويُظهر تعبيرات وجهه، وكيف أنه حزين، وقد بدا عليه القلق بشأن مستقبل مصر - ومن المؤكد أنه استحضر فى ذهنه انقلابات سوريا - وطلب من السفير أن تقابل المحروسة إحدى قطع البحرية الأمريكية فى مكان ما بالبحر المتوسط لحمايته، ولكنه اعتذر بطريقة لطيفة، على أساس أن قطع الأسطول الأمريكى فى أثينا، وأن الزمن المتبقى قصير.

وتوجه فاروق بالشكر لعلى ماهر، وطلب منه إعداد الأمور جيدا لابنه أحمد فؤاد الذى أصبح ملكا على مصر تحت الوصاية. وكانت آخر كلماته فى ذلك الوقت تفيض

بالغضب، إذ صرح بأن الذين اضطروه للخروج من مصر فى غاية الإجرام، وأنهم لن يستمروا فى الحكم إلا أياما معدودة. ولم يدرك فاروق أنها ثورة وليست انقلابا.

* * *

وجُهِّزت المحروسة، ورست على رصيف رأس التين، وأعطى القائد العام الأمر إلى جلال علوبة بالإقلاع بها وإعادتها، وسُمح لستة ضباط من الحرس الملكى وبوليس القصر بالسفر على المحروسة والعودة معها، ومُنع بوللى من مصاحبة فاروق، ورافقه بيترو الحلاق، وكاڤاتسى مدرب الكلاب، وبعض الحراس الخصوصيين من الألبان، ومربيتا أحمد فؤاد، ومربية الأميرات، ووصيفة ناريمان.

وفى الساعة الخامسة والنصف، غادرت ناريمان وابنها وبنات فاروق القصر، واستقل الجميع زورقًا بخاريًا أوصلهم إلى المحروسة. وانتهى الملك المخلوع من مصافحة موظفيه وضباطه فى السادسة إلا عشر دقائق، وكانت لحظات الوداع قاسية عليهم، وكما يذكر السفير الأمريكى، فإن الحرس والخدم، انهاروا وانهمكوا فى البكاء، بينما ظل فاروق رابط الجأش. ولم يكن محمد نجيب قد حضر بعد.

* * *

ووضع فاروق قدمه على آخر درجة من سلم القصر، إذ أُنْزِل العلم الملكى من ساريته، ثم تفقد حرس الشرف، وعزفت الموسيقى السلام الوطنى - فى أواخر عام ١٩٤٩ أمر فاروق بإحلال كلمة الوطنى مكان الملكى كنوع من التقرب للجيش - وتقدم الضابط الذى يحمل العلم، فطواه وسلمه له كما تقضى التقاليد العسكرية، وحلقت أربع طائرات نفاثة مشاركة فى التحية، وأطلقت المدفعية إحدى وعشرين طلقة، وأدى حرس الشرف التحية العسكرية، وصافح فاروق المودعين، ووقف على ماهر أمامه، فنظر إليه وقال «أدعو لكم بالتوفيق، وأتمنى كل الخير لمصر، وأنه يجب على الإنسان أن يخضع لحكم الظروف والأقدار، وأسأل الله للجيش والبلاد كل نجاح». ومما لاشك فيه أن هذه الأمنية لم تكن نابعة من قلبه. ولم يستطع على ماهر التحكم فى مشاعره، فامتلأت عيناه بالدموع، ومر أمامه شريط الذكريات منذ أن كان فى استقباله عقب عودته من الرحلة العلمية فى ٦ مايو ١٩٣٦ وحتى لحظة وداعه، حيث الأحداث المتلاحقة، والتغييرات السريعة، والدور الذى قام به فى صناعته.

وركب فاروق الزورق البخارى، وفى معيته بعض رجال القصر، متجها إلى المحروسة، بينما واصلت المدمرة فاروق إطلاق مدافعها تحية له. وفى ذلك الحين، وصل محمد نجيب الذى جاء متأخراً، وعلل سبب التأخير بالازدحام، وأن السائق ضل الطريق، وكان بصحبته أحمد شوقى وجمال سالم وحسين الشافعى وإسماعيل فريد. وكما يُسجِّل السفير الأمريكى، فإن العداء والحنق بدا على وجوههم. واستقلوا زورقا بخاريا إلى المحروسة، وأدوا التحية العسكرية للملك السابق الذى نجح فى أن يمزج الهدوء بالعظمة.

ومرت لحظات من الصمت الرهيب إزاء هذا الموقف الصعب، قطعها محمد نجيب، فذكَّر فاروقا بأنه قدم استقالته من الجيش عقب حادث ٤ فبراير احتجاجا على ما وقع، وكيف تحول الأمر إلى أن يقف على رأس الجيش ضده، فأجابه بأن الجيش ليس ملكا له، وإنما هو ملك لمصر، ومصر وطنه، وإنه عندما رأى الجيش أن تنازله عن العرش يحقق لمصر الخير، فهو يتمنى لها ذلك. ولكنه ما لبث أن عاد لمقولته المعهودة، وذلك عندما طلب من القائد العام الاعتناء بجيش آبائه وأجداده.

* * *

وذكر فاروق أثناء حديثه قوله «أنتم سبقتمونى بما فعلتوه، فيما كنت أريد أن أفعله». والواقع أنه كان من الصعب التكهن بما كان ينوى عمله. حقيقة أنه راودته أحاسيس عن قرب نهاية حكمه، ولم يكن ينكرها فى بعض مقولات رددها، ولكن هل هذا دليل على أنه كان ينوى التنازل عن العرش؟ ربما فكر لإيمانه بأنه لم يعد هناك من يريد استمراره على العرش، ولذا كان يُؤمِّن نفسه ماليا، وفى الوقت ذاته هيأها داخليا على الهروب وقت الخطر. وعلى أى حال يظل ما يقصده فاروق غامضاً.

وختم فاروق كلامه مشيرا إلى محمد نجيب بأن مهمته صعبة للغاية، لأنه ليس من السهل حكم مصر. وفى هذا اللقاء الذى استمر ثلث الساعة، وعندما لاحظ أن جمال سالم يحمل عصاه، أمره بإلقائها، وحين أظهر شيئا من الامتعاض، أمره قائده الأعلى فانصاع.

* * *

وبحلول وقت الرحيل، ومع لحظات الغروب الحزينة للملك المخلوع، تحركت

المحروسة تُقلُّه فى مغادرته النهائية لمصر إلى المنفى، وأعطيت الإشارة إلى جميع قطع الأسطول، فَرفعت أعلام الوداع، وحلَّقت طائرتان فوق المحروسة، وعند مرورها أمام طابية المكس، حيَّتها بإطلاق إحدى وعشرين طلقة. وكانت تلك هى آخر تحية لملك مصر السابق. ونجح السفير الأمريكى فى التخطيط والتنفيذ لكل ما حدث، ويكتب لحكومته بعد عودته من الوداع، ليبين أن كل ما طلبه من رئيس الوزراء قد تم، حيث قُدمت لفاروق التشريفات على الوجه الأكمل، وكان رحيله لائقا ومكرَّما. ويُسجِّل القائم بالأعمال البريطانى للندن المعنى نفسه.

ولم يتلق فاروق المواساة إلا من فؤاد أباظة رئيس الجمعية الزراعية، عندما أرسل إليه برقية وداع، تسلمها قبل أن تتحرك المحروسة، وبرقية أخرى مماثلة من أمه، تسلمها فى أثناء الرحلة. أما هو، فقد بعث ببرقية للقائد العام تعبر عن أمنياته له بالتوفيق فى مهمته. وهنا يتبادر سؤال، هل كان فاروق صادق النية فى هذه الأمنيات؟ وما الذى أجبره على أن يبعث بها؟ ربما يكون قد وضع فى حساباته أن ابنه مازال ملكا على عرش مصر، ومن ثم فإن البرقية تخدم النظام الملكى، فضلا عن أنها تعطى حركة الضباط نوعا من الاطمئنان على أنه لن يعمل ضدها. ومن المستبعد أن يكون ذلك تعاطفا مع محمد نجيب لتنبئه بأنه سيكون كبش فداء للضباط الشبان.

* * *

وكانت مسألة ترتيبات السفر وميعاده قد تمَّت فى سرية خشية حدوث رد فعل غير متوقع أو محسوب. وفى الساعة السادسة والنصف أعلن محمد نجيب النبأ فى الإذاعة، وصدرت الأوامر بمنع المظاهرات. وبانتشار الخبر، امتلأت شوارع الإسكندرية بالحشود المبتهجة، والتى عبرت عن فرحتها بأشكال مختلفة، وإن كان هناك حالات قليلة - سجلها السفير البريطانى - قد تأثرت وتعاطفت مع الملك المخلوع كنوع من الإشفاق عليه بعد أن أصبح مهزومًا وضعيفًا، واستحضرت أمامها كيف كان فى بدايته ساطعًا ومتوهِّجًا، ثم تحول إلى آخر، مما أسفر عن النتيجة الماثلة أمام الأعين.

وقبل أن يسدل الليل ستائره، وينتهى يوم ٢٦ يولية بأحداثه المتلاحقة، اجتمع مجلس الوزراء، ونودى بالملك أحمد فؤاد الثانى ملكا على مصر، وتقرر أن يمارس المجلس سلطات الملك الدستورية، حتى يتم تسليمها لمجلس الوصاية. وتوافدت البرقيات من

مختلف الجهات، لتنطق بالفرحة، وتعلن التأييد والتضافر مع حركة الضباط المباركة، مما أضفى عليها صفة الشرعية.

* * *

هكذا انتهى حكم فاروق لمصر، الذى استمر منذ أن تولى سلطاته الدستورية فى ٢٩ يولية ١٩٣٧ إلى أن تنازل عن العرش فى ٢٦ يولية ١٩٥٢، أى ما يقرب من خمسة عشر عاما. وعندما يكون هناك استقرار فى الحكم، فإن هذه الفترة الزمنية تعد قصيرة وغير مؤثرة تجاه السياسة العامة لدولة لها قواعدها الثابتة والتى هى ملتزمة بها. ولكن حينما تنعكس المسألة، وتتغلَّب المصالح، وتتدخل الأهواء، وبخاصة إذا كان القابض على زمام السلطة له المواصفات التى تؤهِّل لذلك، تصبح الأمور مختلفة. وهذا هو شأن فاروق الذى لم يستطع أن يلتزم بالمنهج القويم فى الحكم، وعجز عن أن يستغل الإمكانات الرائعة التى قدَّمها له شعبه، إلا فيما يقرب من النصف الأول من حكمه، ثم تحول إلى آخر، وغدا سافرا فى تصرفاته، سواء العامة أم الخاصة، وكأنما كان يخطط لنفسه، ليصل إلى نهاية الطريق، حيث الهاوية.

٤- فـى المنفـــى

أولاً -الرحيـــل

ثانيـاً - الوصــول

ثالثـاً - الحياة الجديدة

رابعــاً - حلم العودة

خامساً - اللغـــز

سادساً - الوداع الأخير

تعد عقوبة النفى من العقوبات القاسية، إذ إن صدور الحكم بترك أرض الوطن الذى هو أغلى ما يمتلكه الإنسان الذى ينتمى إليه من الأمور الصعبة على النفس، وعبر تاريخ مصر تعرض كثيرون لتلك العقوبة، وبالطبع فقد اختلفت أبعاد كل قضية. وفى حالة الملك فاروق، فإنه لأول مرة يأتى نفى الحاكم على أيدى المصريين المحكومين وليس العكس، ولذلك دلالته الواضحة، والتى حملت بين طياتها، أنه أصبح هناك من يحاسب الحاكم، ويقرر مصيره، وفقًا لما أقدم عليه من تصرفات أضرت بمصر والمصريين. ودائمًا تكون سنوات النفى تجسيداً لعذاب نفسى، يدخل تحته الألم والحسرة، وأحيانا الندم فى حالة الشعور بالذنب إزاء أفعال معينة. ولكن بالنسبة لفاروق فقد اختلف الأمر إلى حد كبير، فبرغم نهاية حكمه الحزينة، فإنه استمر على منوال نمط حياة الآخر، تلك التى كان يعيش فى كنفها على أرض مصر.

أولاً ـ الرحيـــل

عندما تحركت المحروسة، استفسر ربَّانها عن الجهة التى يوجه إليها دفته، فجاء أمر فاروق إلى إيطاليا، وبالذات نابولى، فلم تكن تختلف كثيرا عن الإسكندرية التى كانت لها المكانة لديه ـ كان إبان فترة النفى، كلما يمر على طريق ساحلى، يتأثر تماما، حيث يستعيد ذكريات كورنيش الإسكندرية ـ ونابولى هى المدينة والميناء الجميل الذى أبحرت إليه المحروسة، تقل أباه صبيا، وجده الخديو إسماعيل منفيا فى يونية ١٨٧٩، بعد أن نجح التدخل الأنجلو فرنسى فى عزله.

وإيطاليا بصفة عامة طبعت ثقافتها على أبيه، وبالتالى فإنه عندما تفتحت عيناه، وجدتا الإيطاليين داخل القصر، فارتبط بهم، لدرجة أنه تحدى الإنجليز من أجلهم، وقد وضح ذلك بصفة خاصة فى أثناء الحرب العالمية الثانية وانعطافه تجاه المحور. والإيطاليون مثلهم مثل شعوب البحر المتوسط، ودودون ومشاعرهم العاطفية جيَّاشة، بالإضافة إلى

أساليبهم التى يجذبون بها الآخرين. وعليه فقد تأثر فاروق بهم وأحبهم، وبطبيعة الحال كان للإيطاليات الحظوة لديه. فضلا عن أنه منذ ست سنوات، استقبل الملك ڤيكتور عمانويل عام ١٩٤٦، الذى كان زميلا لأبيه بالكلية الحربية فى تورينو. ورحب فاروق به وبزوجته، وخصص له قصر أنطونيادس بالإسكندرية.

إذن، فأمر عادى أن يولى فاروق شطره تجاه إيطاليا. وبرغم أن هذا الاتجاه كان متوقعا فى مصر، فإنه حدثت بعض التكهنات عن المكان الذى سيقصده، حتى لقد ورد بالصحافة أنه سيُبحر إلى الولايات المتحدة، وربما يكون التفكير فى هذا بسبب العلاقة الطيبة التى ربطته بها، وما شوهد من تدخل سفيرها من أجل تأمينه واحترامه. ويُبيِّن القائم بالأعمال البريطانى أن هناك ثلاثة بلاد يمكن أن يتجه إلى أحدها فاروق، فبجوار إيطاليا ذكر إسبانيا والبرتغال.

* * *

واستمرت الرحلة البحرية إلى نابولى ثلاثة أيام، وكانت مكونات المحروسة تنطق بالطابع المصرى الذى أحبه فاروق، وكثيراً ما كان يركز رؤيته على لوحة انتصار رمسيس الثانى، ذلك الملك الذى رفع شأن مصر، فهل كان يبحث عن أى وجه للمقارنة معه، أم كان يتمنى أن يكون مثله؟ وبخاصة أنه فى بداية حكمه ملأه الفخر بأنه يجلس على عرش فرعون مصر - هذا الانتماء جعله يعشق آثارها، ويفكر فى مشروع متحف جديد لحضارتها - ومر أمام عينيه سيناريو حياته، وسيطرت عليه مسألة أن ما حدث له مؤامرة وراءها الشيوعيون. وكان مما ساءه أن المأكل والمشرب كان متواضعًا جدًا ومحدودًا للغاية، إذ كان أن يقتصر على الخبز - غير الطازج - والجبن. والسؤال: هل كان ذلك مقصودا حيث من المشهور عن فاروق حبه للطعام، أم أن ظروف السفر وسرعته كبَّلت المسئولين عن التحضير للرحلة؟ وعلى أى حال، فقد فرض الواقع نفسه، وحاول فاروق طوال الرحلة أن يخفف من المناخ الكئيب بطريقته المعهودة المسلية. وفى تلك الأثناء، كانت مصر قد أبلغت السفير المصرى فى روما بقدوم الملك أحمد فؤاد الثانى.

ثانيا - الوصـــول

عقب وصول فاروق إلى نابولى فى ٢٩ يولية، وقد تصادف أنه ذكرى يوم توليه

سلطاته الدستورية، استقبله السفير المصرى فى إيطاليا، ومعه بعض من أعضاء السفارة، وعمدة نابولى، وقليل من الصحفيين. وتولى يخت فخر البحار - تصادف وجوده فى مياه البحر المتوسط عائدا إلى الإسكندرية من مسابقة بإيطاليا - نقل أمتعة فاروق وأسرته من المحروسة. وودعه من كانوا على متنها، وعادت من حيث أتت. ثم ما لبث أن اتصل بأحد معارفه من الإيطاليين - شغل فيما سبق منصب قنصل إيطاليا فى مصر - فقدم له المساعدات، ومنحته إيطاليا حق اللجوء السياسى، فى مقابل ألا يحرجها بإقحام نفسه فى أى نشاط سياسى.

* * *

وبمجرد أن وطئت قدما فاروق كابرى، ذلك المكان الذى اختاره، ويعد أهم مصيف لنابولى، عقد مؤتمرًا صحفيًا موسعًا، وتحدث فيه باللغات الإيطالية والفرنسية والإنجليزية، معلنا أنه سيبدأ أول إجازة حقيقية فى حياته، ورغم كونه لم يعد ملكا، فإنه أصبح مسئولا عن ابنه الملك أحمد فؤاد الثانى. وعندما سئل عن أمواله، نفى تماما جلبه لأى ثروة من مصر، وأن لديه ما يجعله يعيش حياة كريمة، ولم يتعرض للسياسة مبينًا أنه ضيف على إيطاليا ويجب عليه احترامها، ولكنه ذكر أن هناك صعوبات تواجه العرش، وأنه يأمل للحكومة المصرية أن تثبت مكانتها فى ظل الظروف الدولية القائمة. وأخيرا عرَّج على مشاعره تجاه مصر وشعبها، مصرحا بأن لديه حرية العودة إلى مصر، وبالطبع لم يكن هذا التصريح ينم عن الواقع، وإنما للإيحاء بأنه لم يخرج من مصر مطرودا.

ثالثا - الحياة الجديدة

ورصدت كاميرات الصحافة الأجنبية خطواته. ومع يقينه بالأسباب التى أدت به إلى نهاية هذا المطاف، وأنه أصبح عليه أن يتخذ مما حدث عبرة وعظة، ويعطى الصورة العكسية علَّها تشفع له، فقد استمر على ما أصابه من استهتار ولا مبالاة وفساد، إذ غدا من الصعب عليه التخلى عن قسمات شخصيته، بالإضافة إلى أنه قد أضحى طليقا. حقيقة أنه كان كذلك فى أثناء ملكه، ولكنه بعد إجباره على تركه، زادت طلاقته، حيث انتابته الأحاسيس، بأن الاستمرار فى هذا الطريق هو الذى سيعوضه ما فقده.

ولم يمكث فاروق كثيرا فى كابرى، واستقر المقام به فى ڤيلا فخمة وكبيرة، ضمت

أربعين غرفة، وتقع بإحدى ضواحى روما، وكان له حرسه الخاص المسلح، وأيضًا كلاب حراسته. وواصل نظامه اليومى، فهو يستيقظ متأخرًا، ويلتهم طعامه، ويقرأ الصحف، ويجرى مكالماته التليفونية، ثم يستعد للخروج ليرتاد أماكن النوادى الليلية. ولم تفارقه هواياته التى حفرت داخله بمختلف أنواعها، ومن أهمها القمار، وهو لعبته المفضلة، ومارسها مع مختلف المستويات، ودخل تحتها بائعو الصحف، وجارسونات البارات، وأصبح اللعب يتم وفقا لقواعده، وليس عن طريق ما كان يحدث فى مصر من الاستيلاء على أموال اللاعبين معه، والذين قدموها عن طيب خاطر فى سبيل تحقيق مصالحهم.

* * *

ووجه فاروق اهتمامه إلى النساء، اللاتى أيضًا اختلفت أنواعهن وأعمارهن ومهنهن، إذ وجد فى الاختلاف متعة، لكنه مع ذلك كانت له بعض المفضَّلات، اللائى يتمتعن بالنمط البرىء الساذج. وبدا الجديد الذى طرأ عليه، حين كون علاقات مع نساء دون المستوى، وكم استغلته مثل هذه النوعيات، فبعد أن يستولين على ما يردن من هدايا وخلافه يتركنه. ووفقا لشخصيته غير المستقرة، والمصابة بالملل دائمًا، فهو يتنقل بين الواحدة والأخرى دون أدنى صعوبة. وكان من خصائصه التباهى بأن النساء لعبته، وأنهن يجدن فيه الصفات المحببة لهن، وقد جاء ذلك نتيجة العجز الذى عانى منه.

* * *

وساءت علاقة فاروق بناريمان إلى درجة كبيرة، واستخدم معها أقصى أنواع القسوة، وسخر منها، إذ شعر بداخله أنها قدم شؤم عليه، برغم إنجابها الوريث. ونالت أمها أصيلة هانم نصيبها من شتائمه، حيث حمل لها القدر الكبير من الكراهية. وطلبت الملكة السابقة الطلاق، نظرا لتلك المعاملة القاسية، ولذلك المناخ السيئ الذى انغمس فيه زوجها، والذى أصبحت لا تتحمله، لأن الأمر اختلف عمًا قبل، إذ كانت من الممكن أن تغمض عينيها، وتتغاضى عن تصرفاته لو ظل على عرشه، فى مقابل أنها الملكة المتوَّجه، بالإضافة إلى أن الوضع الذى ارتكزت عليه بصفتها أم الملك أحمد فؤاد الثانى، قد انتهى بسقوط الملكية ونهاية أسرة محمد على، وإعلان الجمهورية فى مصر يوم ١٨ يونية عام ١٩٥٣.

وأصبح الانفصال بينهما أمرا محتوما، ولعبت حماة فاروق الدور المضاد له، ونجحت فى التفريق بين الزوجين، بعد أن قابلت ابنتها فى سويسرا التى سافرت إليها للعلاج ثم

عادت معها إلى روما. وعليه تعقدت الأمور، وانتهى الأمر بعودة ناريمان إلى مصر. وهنا استخدمها رجال الثورة ورقة رابحة فى إضفاء المزيد من الإساءة على الملك المخلوع.

ورفعت ناريمان دعوى طلاق على فاروق أمام محكمة مصر الجديدة الشرعية، وتم إعلانه فى روما. وفى البداية طلبت نفقة كبيرة، وكان لها الحق فى حضانة ابنها. ووكَّل فاروق محاميا فى القضية، وانتهت بصدور حكم الطلاق البائن، دون نفقة أو حضانة، وبُلِّغ به فاروق رسميا فى ٢ فبراير ١٩٥٤، وسعد به كثيرا.

* * *

وأولى فاروق أسرته الصغيرة اهتماما، وكان تركيزه واضحا على التعليم، فحرص على أن تتلقى بناته الدروس فى اللغات والموسيقى، كما عقد النيَّة على تعليم ابنه فى الكلية التى كان أبوه يرغب فى إلحاقه بها وحُرم من الحصول على شهادتها، وهى كلية إيتون ببريطانيا ذات المستوى العالمى الشهير. ومن الملاحظ أن المتتبع لطريقته فى تربيته لهذا الابن، يجدها تكراراً لنفس أسلوب أبيه معه. وما لبث أن قرر نقل أسرته الصغيرة إلى سويسرا، لاقتناعه بأنها الأكثر أمنا حيث كان يخشى عليهم من المؤامرة، ولارتفاع مستوى التعليم فيها، وأخيرا ليتفرغ تماما لحياته الخاصة. ووكَّل إلى فوزية المسئولية عن أختها الصغرى فادية وأخيها أحمد فؤاد، وقد سمح لأمه بزيارته، وأعطى الإذن لفريدة لترى بناتها. وفى تلك الأثناء تمكن من أن يحصل لأولاده على جنسية إمارة موناكو. وكان بين الحين والآخر يسافر إلى سويسرا، ليلتقى أسرته، وفى بعض الأوقات يصطحب معه ابنته الكبرى فريال إلى حفلات القران الملكى، أملا فى زواجها من أحد رواد تلك المجتمعات الراقية.

* * *

وانجرف فاروق مع نزواته وفكاهاته ومجموعاته، وبخاصة الجميلات من الجنس الناعم، وظهرت من بينهن فتاة، لديها جميع المواصفات التى يفضلها ويحبها، حتى فى الصوت، فضلا عن امتلاكها لمشاعر الحنان الذى كثيرا ما افتقده، وهى إيرما كابتشى مينوتولو Irma Capece Minutolo، وبعد أن كانت فى بادئ الأمر مغنية الأوبرا تهدف إلى أن يسطع نجمها عن طريقه، سرعان ما ارتبطت به، وأصبح مهمّا فى حياتها، بعد أن غمرها بالأحاسيس التى جعلتها ملكة غير متوجة، وهى الأخرى، تمكنت من أن تضع

يدها على نقاط ضعفه وتشعره بأنه مازال ملكا فى كل شيء. ورغم اكتشافه أنها لم تكن من عائلة أرستقراطية كما أفهمته فى البداية، وإنما ابنة سائق تاكسى، وتعيش فى إحدى حوارى نابولى، فقد استمر على علاقته بها، ولم يكن ذلك يمنع من وجود بعض الخلافات العابرة بينهما. وبقيا معًا حتى آخر عمره، وأحبته لدرجة أنها حضرت إلى مصر لكى تزور مقبرته.

ومع جميع ما قدمته إيرما له، ووفقا لطبيعته، فإنه لم يكتف بها، ودائمًا يريد أن يؤكد لنفسه وللأخريات أن كل واحدة منهن تختلف عن الأخرى، ولم يسبب ذلك إزعاجًا لإيرما. وقد بلغ من استهتاره أنه سمح لها بالتردد عليه فى الڤيلا التى يعيش فيها مع أسرته قبل أن تنتقل إلى سويسرا، وكان فى هذا تحد لمشاعر البنات وهن فى سن المراهقة. ومما يذكر أنه ترك السكن الفخم بعد أن أصبح بمفرده وانتقل إلى شقة من دورين فى روما.

* * *

وتعدَّدت رحلاته الخارجية، التى كان يصطحب فيها إيرما أحيانا، وحظيت باريس بالنصيب الأوفر منها، إذ اختلط بكبار الشخصيات هناك. وارتفع مؤشر تبذيره إلى أعلى درجة، لكنه عاد وتدرج فى الانخفاض خصوصا بعد وفاة الملك عبد العزيز بن سعود، الذى لم يبخل عليه بالمساعدات المالية. أيضًا فقد كان فاروق يتكبد الخسائر نتيجة لتلك القضايا التى رفعها على الكتاب والصحفيين، واتهمهم فيها بالسب والقذف فى حقه. ولم يقتصر الأمر على هؤلاء، وإنما تعداه إلى الشركات التى اتخذت منه النموذج الكاريكاتيرى لترويج سلعها. ولكن ليس معنى هذا أن أمواله نضبت، إذ كان يمتلك الكثير.

ولما كان هناك نوع من الصداقة تربطه مع أمير موناكو، أراد شراء كازينو القمار بها، ولكن المليونير أوناسيس لم يمكنه من تحقيق ذلك وقام بشرائه. ومن المعروف أن ممتلكاته فى مصر، وضعت فى البداية تحت الحراسة، وفى ٢٧ سبتمبر ١٩٥٣، قرر مجلس قيادة الثورة إلغاء الحراسة، ومصادرة هذه الممتلكات، وحاول فاروق إقامة دعوى أمام محكمة العدل الدولية لإلغاء القرار، ولكنه فشل. ومما يذكر أنه وقع فى براثن البعض الذى تقرب منه، واحتال عليه، واستنزف منه الأموال، ولم يكن بجواره من ينبهه، إذ إنه تخلى عن

أمين فهيم سكرتيره الخاص، نتيجة لحدوث اختلافات بينهما، وقد كانت تربطه به علاقة طيبة فترة طويلة منذ وجوده فى القصر، وعندما التحق بالسفارة المصرية فى روما، وحل مكانه شاب فرنسى لم تكن له مواصفات سابقه.

رابعا ـ حلم العودة

لم يفقد فاروق الأمل فى العودة إلى عرش مصر مرة أخرى، وراوده حُلم التحقيق، وذلك عندما يختلف العساكر ـ وفقا لرؤيته ـ وقد وضح هذا من خلال ذكرياته التى نشرتها صحيفة إمباير نيوز فى الفترة من أكتوبر ١٩٥٢ إلى إبريل ١٩٥٣، وهاجم فيها القائمين على الحكم فى مصر. وأدرك قادة الثورة أن عينيه على مصر، وقلبه يهفو لها، ووفقا لخطتهم فى تأمين الثورة، وبعد ثمانية أشهر من قيامها، ساءهم تحركات الملك السابق، وموقف الحكومة الإيطالية السلبى من ذلك.

وكان لابد من الرد، ومن ثم أدلى محمود فوزى وزير الخارجية بتصريح، أذيع لمندوبى الصحف، ووكالات الأنباء، بيَّن فيه أن التقاليد الدبلوماسية لا تسمح بأن يقوم لاجئ سياسى بنشاط سياسى، وأن مصر راعت هذا الأمر، عندما لجأت إليها الأسرة الملكية الإيطالية، وأن الخديو إسماعيل حينما استقر به المقام فى إيطاليا، لم يقدم على أى نشاط سياسى ـ هذا الأمر الأخير يفتقد الدقة، حيث إن الخديو قام بمحاولات للعودة إلى أريكة الخديوية إبَّان الثورة العرابية ـ وذلك عكس حفيده فاروق، الذى يصدر نشرة صحفية يومية من خمسين نسخة، بها أخبار مشوهة، مستقاة من راديو إسرائيل، وأنه بناء على ذلك، تطلب مصر وقف مثل هذا النشاط.

* * *

وجاء إلغاء النظام الملكى، وإعلان الجمهورية، ليكون لطمة قوية لفاروق، وقد وقع هذا الحدث أثناء المفاوضات بين مصر وبريطانيا، التى كانت تواقة إلى انقسام قيادة الثورة، ليسهل لها الاتفاق، ولما أيقنت صعوبة ذلك، تراءى لها مساندة الأمير محمد عبد المنعم الوصى على العرش ليجلس عليه، مما دفع إلى إعلان الجمهورية.

وعقب توقيع إتفاقية الجلاء فى ١٩ أكتوبر ١٩٥٤، والسياسة التى انتهجها عبد الناصر، وخصوصا ما يتعلق بالقومية العربية، والتى أقلقت لندن، وتلك الكراهية

التى لا حدود لها وحملها إيدن رئيس الوزراء البريطانى له، فرض التفكير نفسه فى الطريقة المثلى لإقصاء عبد الناصر عن الحكم، واختيار البديل، وعندما وضع اسم فاروق، لم يجد المسئولون البريطانيون بدآ من أن يستبعدوه كلية، وذلك بعد أن حرق جميع أوراقه.

* * *

ولم يغيب الأمل عن الملك المخلوع فى العودة إلى مصر، واسترجاع التاج الملكى، معتقدا بإمكانية عودة الملكية مرة أخرى. وجرت اتصالاته مع أعداء الثورة فى الخارج، وابتز البعض منه الأموال لتحقيق غرضه، وباءت مجهوداته بالفشل. وكان من بين أدوات أمله التى استخدمها طوال فترة نفيه، العلم المصرى بلونه الأخضر الذى احتل المكانة لديه - إذ يحمل له آخر ذكرى لوداعه - حتى لقد رفعه على إحدى نوافذ بيته، ووضعه على سيارته والتى اختار أن تكون ذات اللون الأخضر هى الأخرى، إذ كان يفضله ويرتاح إليه.

وكان لمثول رموز النظام الملكى أمام المحاكم التى أنشأتها الثورة، والأحكام التى صدرت ضدهم، رد الفعل على فاروق، فازداد هجوما على رجالها وانتقد الأوضاع القائمة فى مصر، وهذا وضع طبيعى، ومنتظر أن يصدر عنه.

* * *

وبوقوع العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦، امتلأ فاروق غبطة وسعادة، ووثق بأن ملكه على وشك أن يعود، وعقد مؤتمرًا صحفيًا، وصرح بأن نهاية محنة مصر من الرعب والبؤس قريبة، بعد أن أصبحت دولة بوليسية، والشعب أسير داخلها. وتكلم عن الاعتقالات، وأن عبد الناصر دكتاتور طاغية، مثله كالحرباء التى لديها القدرة على تغيير لونها، فهو يستطيع أن يعادى الشيوعية، ويؤيد الروس فى الوقت نفسه، وأشاد بعهد الملكية، مبينا كيف أن الطعام والعمل كانا متوافرين للجميع.

وفى الحين ذاته، بعث بثلاث رسائل إلى الرئيس الأمريكى ورئيسى وزراء إنجلترا وفرنسا، يشرح فيها التطورات المحزنة التى تمر مصر بها، والمسيرة الخطرة التى تتعرض لها تحت حكم العساكر، ويطالبهم بطرق كل السبل لتدبير حل سلمى لما يعانيه الشعب المصرى، لأنه من غير المعقول أن يتحمل مسئولية من يحكمه، وحتى لا يظل إلى مالا

نهاية، يدفع ثمن أخطاء غيره. ولم تلق هذه الرسائل أى آذان صاغية، لأن فاروقا، كان قد انتهى بلا رجعة من الحسابات الدولية، لدرجة أنه عندما حضر حفل قران جريس كيلى على صديقه أمير موناكو، وكعادته سجل بجوار اسمه حرف R - الحرف الأول من كلمة Roi وتعنى ملك بالفرنسية - لم يجد الاحترام، وكان السفير المصرى مدعواً، فلم يوجه أى اهتمام بملك مصر السابق، وعلى الفور انسحب فاروق غاضبًا.

وعندما تحطمت خطة العدوان الثلاثى، وانسحب المعتدون من الأرض المصرية، وازداد تألق عبد الناصر، وبخاصة عقب قيام الوحدة مع سوريا عام ١٩٥٨، ومضى يعمل على اكتساب المزيد من النقاط داخل مصر وخارجها، أدى ذلك إلى وجود الحاقدين عليه فى المنطقة العربية، وأيضًا جدَّد البصيص من الأمل عند فاروق، بعد أن جمع عداء عبد الناصر بين الطرفين، ولكن الأمر لم يسفر عن أى نتيجة إيجابية، مما أصاب الملك السابق بالإحباط، الذى أقعده عن أن يفكر مرة أخرى فى عودته ملكًا على مصر.

* * *

وانغمس فاروق فى حياته الخاصة المعتادة إلى أن واجهته مشكلة ابنته الصغرى فادية فى بداية عام ١٩٦٥ التى أحبت شابا مسيحيا روسيا، يعمل چيولوچيا، التقته فى مدرسة اللغات الأجنبية بسويسرا، وكانت والدته مُدرِّسة لها. وأرادت أن تتزوجه، وهو ما لا تجيزه الشريعة الإسلامية. وفشل فاروق فى الحيلولة دون إتمام هذا الزواج، الذى لم يكن راضيا عنه، ليس فقط من ناحية الدين، ولكن أيضا بسبب عدم التكافؤ الاجتماعى. وأصرَّت الابنة، وتراءت أمام عينيه مأساة أخته فتحية. ولما كان قد تعود على الصدمات، فإنه سلم بالأمر الواقع. ولم يمض إلا القليل حتى لفظ أنفاسه الأخيرة فى ١٧ مارس ١٩٦٥ دون أن يحقق الحُلم الذى راوده كثيرا.

خامسًا - اللغــز

قضى فاروق بداية ليلته الأخيرة مع إيرما، ثم اصطحب صديقتها مصففة الشعر آنَّا ماريا Anna Maria إلى أشهر مطعم فرنسى فى روما وهو «إيل دى فرانس»، وتناولا العشاء، وكعادته التهم كمية كبيرة من الطعام الذى جمع بين فواكه البحر المختلفة، واللحوم المتنوعة، والنشويات المتعددة، وأخيرًا الحلويات الشهية، وبعدها أشعل

السيجار، ولكنه فجأة شعر بضيق فى التنفس، وألقى على أريكة، وفى الحال نقلته الإسعاف إلى المستشفى، وفى غرفة الإنعاش، أمده الأطباء بالأوكسچين، وحاولوا تدليك قلبه الذى سرعان ما توقفت دقته الأخيرة.

كان عمر فاروق وقتئذ خمسة وأربعين عاما، وقد زاد وزنه إلى درجة كبيرة أثناء النفى، وهو منذ عام ١٩٥٤ يتلقى العلاج، حيث لم يكن قلبه سليما نتيجة لتناوله كميات وأنواع من الطعام الدسم، وبرغم تحذير طبيبه من ذلك، فإن عناده طغى عليه، وبالتالى أصبح شيئا طبيعيا أن يتعرض لتصلب الشرايين مع ارتفاع فى ضغط الدم، بمعنى أن الموت الذى داهمه، كانت له أسبابه الصحية. ولكن حدثت ملابسات قادت إلى أن هناك مؤامرة دُبِّرت لتنهى حياته حتى يوأد أمله، ولا تكون له أية قائمة، ومن ثم يسقط القلق الذى ساور المسئولين فى مصر من وجوده وتحركاته. وذلك رغم أن الهدوء لازمه فى الفترة الأخيرة.

* * *

وبعد ثلاث سنوات من موت فاروق، قُدِّم رئيس المخابرات العامة المصرية صلاح نصر للمحاكمة، وذُكر أنه ردد بعض الأقوال بشأن نهاية حياة الملك السابق، وعندما نُشر كتاب «شاهدة على انحرافات صلاح نصر» لاعتماد خورشيد، وكانت مقربة لهذا المسئول، سجَّلت كيف حضر لها فى ڤيلتها مخمورا، وقال لها إنه فى انتظار مكالمة تليفونية مهمة من الخارج، وبالفعل جاءت مكالمتان تحملان خبر موت فاروق، الأولى من شخص إيطالى، والثانية من مساعد صلاح نصر، وهو إبراهيم بغدادى - أحد الضباط الأحرار - تفيد بأن المهمة نفذت بنجاح. ونقل رئيس المخابرات الخبر لعبد الحكيم عامر، ثم قدمه هدية إلى عبد الناصر. وتمت العملية باتفاق مع المخابرات الإيطالية، ووضع له نوع من سم الأكوتين فى الجمبرى، وهو لا يظهر فى التشريح. ووفقا لما ذُكر، فإن الجثة لم تُشرَّح، بالرغم مما هو وارد عن إمكانية اغتياله - وقد عاش مرتابا من أن يحدث له ذلك أو لأولاده - كما أن من كانت ترافقه فى عشائه الأخير، لم يظهر لها أثر وقت الوفاة، إذ تركت المكان على وجه السرعة، ولم يعرف السبب. وفى ذلك الحين، تردد أن روما كانت مركزاً للمخابرات المصرية للتجسس على كل من فاروق وإسرائيل.

* * *

ووفقا لمنهج البحث التاريخى، فإنه من الصعب إثبات حادثة دون وثائق، وأن المذكرات وما يتبعها من ذكريات لابد أن تخضع لقواعد النقد، وبتطبيق ذلك على المعلومات السابقة، يصبح لابد من وجود قرائن، وهى غائبة، وبخاصة أن ما تقوم به أجهزة المخابرات يخضع لأنظمة معينة، تخفى الآثار المترتبة على عملياتها. أيضًا فمن المسلم به أن ينفى إبراهيم بغدادى ما ذكرته صاحبة الكتاب. ومن المعروف أن صلاح نصر كثيرًا ما أوهم عبد الناصر بأن المؤامرات تحاك ضده، وهو دائمًا يتوصل إلى مخططيها، ويُنفِّذ أحكامه عليهم، وذلك حتى يؤمن نفسه بالاستمرار فى منصبه.

هذا ويجب أن نضع فى الحسبان أن مفهوم عبد الناصر بشأن تحرك القوى الأجنبية ضده هو حقيقى، إذ تنطق الوثائق البريطانية - خصوصا قبل عام ١٩٥٦ - بضرورة التخلص منه. ومن هنا كان يخشى من إمكانية الإطاحة به بأية طريقة، وبالتالى اتخذ النظام البوليسى موقعه لدى نظامه، سواء داخل مصر أم خارجها. ولكن ليس معنى ذلك تفسير أن ملك مصر السابق اغتيل بناء على أمر منه لصلاح نصر، حيث لا يوجد ما يثبت ذلك.

وهكذا تحول موت فاروق إلى لغز، ومازالت علامات الاستفهام قائمة، هل هو موت طبيعى، أم اغتيال درامى؟ والواقع أن هناك نماذج أخرى فى التاريخ، تحمل الاستفسار نفسه، ولم يحل لغزها بعد.

سادسًا - الوداع الأخير

كانت إيرما أول من تلقى خبر موت فاروق، فحزنت عليه وبكته كثيرا، واتصلت بأولاده فى سويسرا، فحضروا على الفور، وكذلك حضرت فريدة وأختاه فوزية وفايزة. وكُفِّن فاروق، وغطى بالعلم المصرى الأخضر الذى لازمه طوال فترة نفيه، وأقيمت صلاة الجنازة عليه، ووضع فى قبر مؤقت، وتلقى ابنه العزاء.

وبناءً على وصية فاروق بأن يدفن فى مصر بمسجد الرفاعى مقر مقابر أسرته، جرت المساعى من أجل تحقيق ذلك، وفى الوقت ذاته أبدى الملك فيصل بن عبد العزيز رغبته فى أن يستقبل جثمان فاروق ليدفن فى الأراضى المقدسة، مما سهل الأمر لنجاح محاولات إسماعيل شيرين والتى انتهت بموافقة عبد الناصر على أن يتم الدفن بمصر، بعد أن شعر

بنوع من الإحراج فى حالة الرفض، ولكنه وضع شرط السرية التامة فى التنفيذ. فهل هذا يرجع إلى أنه أراد إقصاء أى مشاعر تجاه ملك مصر السابق، برغم علمه أنه ابتعد عن أذهان المصريين؟ أو تحسبا لأى خطر نتيجة وجود بعض القلاقل حينئذ فى مصر؟ ربما أحدهما أو الاثنان معا.

* * *

وبعد عشرة أيام من تاريخ الوفاة، جاء المشهد الأخير، إذ نقل جثمان فاروق على طائرة تابعة لشركة الطيران العربية المتحدة - المصرية - ووصلت إلى القاهرة مع منتصف الليل، واستقبله فوزية وفايقة وزوجاهما إسماعيل شيرين وفؤاد صادق فقط. وفى حراسة مشددة من رجال صلاح نصر، تم الدفن فى قبر إبراهيم باشا، وليس فى مسجد الرفاعى تبعا لوصيته، ودون أية مراسم، واستغرقت الإجراءات دقائق معدودة، ووارى جسد فاروق ثرى مصر. وفى عهد أنور السادات، أمر بنقل رفاته إلى مسجد الرفاعى، وتعددت الرؤى فى هذا الشأن: هل ليحقق لفاروق وصيته، أو لتلك العلاقة التى بدأت تنسج خيوطها مع أحمد فؤاد الثانى ملك مصر السابق والأخير، أو ليظهر أمام المصريين بروح تسامح كبير العائلة؟ وأيا كان الأمر منها، فإنه بهذا الإجراء، انطوت صحفة فاروق الذى كان ملكًا.

ختـــام

حاولت هذه الدراسة وضع النقاط على الحروف فى تناولها لشخصية الملك فاروق، بحيث أصبحت واضحة المعالم، وجاء تقييمها بناء على الغوص فى أعماقها، وربطها بالظروف التى أحاطت بها.

والسؤال الذى أطل برأسه أمام السطور: هل كان فاروق فاسداً منذ بدايته أو أن البيئة التى احتضنته جعلته فاسداً قبل نهايته؟

وتم التوصل إلى أن فاروقا قضى ما يقرب من منتصف عمره حكمه يحمل البزوغ الواعد للمصريين. حقيقة أنه أثناء تلك الفترة، وهو شاب يانع، كانت له السياسة التى هندسها الثنائى على ماهر - أحمد حسنين، ورسما خطوطها الأوتقراطية، واستطاع الوفد أن يتحداها، ونال جزاءه. ولكن شخصية فاروق آنذاك، احتوت المصريين الذين غمروه بالحب بشكل لافت للنظر، وليست مبالغة إذا قيل إن أحداً من الحكام لم يحصل عليه من قبل.

* * *

أما النصف الآخر من عمر حكمه، فقد تحول مؤشره إلى النقيض، وبالتالى انعكس ذلك على الناس، وبعد أن كانت بيوتهم تحتل فيها صورة فاروق الصدارة على حوائطها، غدت تداس بالأقدام.

والواقع أن من تحلّق حول فاروق، وبخاصة الحاشية، أولئك الأشخاص غير المسئولين، حرصوا على أن يجعلوه شخصا غير الذى كان، ونجحوا فى البحث عمّا بداخله من سلبيات، ووضعوا أيديهم عليها، وأضافوا إليها، وأطلقوا لها العنان، بعد أن مهّدوا له طريقها، وفرشوه بالإغراءات المختلفة الأشكال والألوان. وكذلك الرسميون

ورجال السياسة بمن فيهم القيادة الوفدية - فى مرحلة ما قبل الانهيار - الذين تفانوا فى العمل على إرضائه، ولكل منهم كانت سياسته التى يريد تحقيقها. والنتيجة المنطقية أنه أمسى فاروقا آخر اختلف عن فاروق الأول.

* * *

وانتقل فاروق إلى حياة جديدة فى المنفى، ولكنه سار على الدرب نفسه، ولم يبد أى ندم على ما اقترفه فى حق نفسه، وحق شعبه، ذلك الذى لم يأسف عليه، حيث لم يبرح عن ذهنه سنواته الأخيرة فى الحكم، تلك التى عاشت مصر ترزح تحتها وتئن من تدهور أوضاعها. ومن أجل هذا كان التأييد لما حدث فى ٢٣ يولية ١٩٥٢، والذى سرعان ما أصبح ثورة كاملة وشاملة، سعد بها المصريون وباركوها.

مراجع للاستشارة

- أحمد بهاء الدين، فاروق ملكا، القاهرة، ١٩٥٢ .
- حسن يوسف، مذكرات، القصر ودوره فى السياسة المصرية ١٩٢٢ - ١٩٥٢، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام، القاهرة، ١٩٨٢ .
- حسين حسنى، سنوات مع الملك فاروق، الطبعة الأولى، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠١ .
- صلاح الشاهد، ذكرياتى فى عهدين، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٤ .
- عادل حمودة، الملك أحمد فؤاد الثانى، الملك الأخير وعرش مصر، دار سفنكس للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩١ .
- فاروق هاشم، فريدة ملكة مصر تروى أسرار الحب والحكم، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٣ .
- كريم ثابت، مذكرات، الجزء الأول، فاروق كما عرفته، الجزء الثانى، عشر سنوات مع فاروق ١٩٤٢ - ١٩٥٢، الطبعة الأولى، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٠ .
- لطيفة محمد سالم، فاروق وسقوط الملكية فى مصر، من الميلاد إلى الرحيل (١٩٢٠ - ١٩٦٥)، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٥ .
- محسن محمد، سقط النظام فى ٤ أيام، ثورة ٢٣ يوليو بالوثائق السرية، الطبعة الأولى، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٢ .
- محمد التابعى، مصر ما قبل الثورة، من أسرار الساسة والسياسة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٨ .

- محمد حسنين هيكل، سقوط نظام. لماذا كانت ثورة يوليو ١٩٥٢ لازمة؟ الطبعة الأولى، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٣.

- محمد حسين هيكل، مذكرات فى السياسة المصرية، الجزء الثانى، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧.

- محمد نجيب، مذكرات، كنت رئيسا لمصر، المكتب المصرى الحديث، القاهرة، ١٩٨٤.

- محمود فوزى، خفايا فاروق وناريمان فى المنفى، الطبعة الثانية، الجداوى للنشر، القاهرة، ١٩٩٤.

- Stadiem. w.. Too Rich. The High Life and Tragic Death of king Farouk. Carroll, & Gref Publishers. Inc. New York. 1991.

- Vatikiotis. P.J.. 1- The Egyptian Army in Politics. Indiana University Press. 1961.

2 - The Modern History of Egypt. Weidenfeld and Nicolson. London. 1969.

المحتويات

رقم الإيداع ٢٠٢١٨ / ٢٠٠٤
الترقيم الدولى I.S.B.N. 977 - 09 - 1164 - X

تنقسم معظم الكتابات التى ظهرت حتى الآن عن الملك فاروق إلى حزبين: حزب يراه ملكا فاسدا خائنا اتبع أهواءه وأدى بالبلاد إلى الخراب، وحزب آخر رأى فيه ملكا صغيرا غُرر به وافتُرى عليه وله جوانب مضيئة حجبت. ومن هنا تأتى أهمية هذا الكتاب الذى يحاول أن يقدم صورة متوازنة عادلة وموضوعية لهذا الملك وزمنه: كيف بدأ محبوبا متوهجا تنعقد عليه آمال الأمة، وكيف انتهى مكروها ومنفيا غير مأسوف عليه من الشعب.



